التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء . (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)

ومعه تقريرات لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

على المواضع المشكلة في العقيدة والسلوك

تحقيق

علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

المجلد الثالث

من الكهف إلى المؤمن



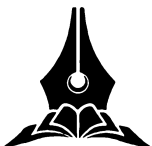
دار طيبة الخضراء

علم ينتفع به



الطَّبْعَة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



دار طيبة الخضراء

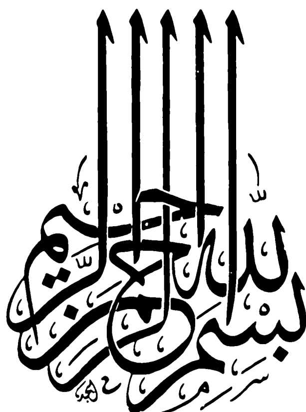
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 I yyy 01@hotmail com

 dar taibaa  @dar_tg dar taibagreen123  dar taiba

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

0503568771 I 0550428992 I yyy.01@hotmail.com I 0125562986


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الكهف ﴾

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ
وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ
نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ
زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ
حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى
ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ
ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟
أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ العبد هنا: هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وقربه.

والكتاب: القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ العوج بكسر العين: في المعاني التي لا تُحسُّ.

وبالفتح: في الأشخاص، كالعصا ونحوها.

ومعناه: عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا: معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه.

وقيل: لم يجعله مخلوقًا.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا.

وقيل: قيمًا على الخلق بأمر الله تعالى.

وقيل: قيمًا على سائر الكتب بتصديقها.

وانتصابه على الحال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والعامل فيه ﴿أَنزَلَ﴾.

ومنع الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله قيمًا[1].

﴿لِّيُنذِرَ﴾ متعلّق بـ ﴿أَنزَلَ﴾، أو بـ ﴿قَيِّمًا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب أو النبي ﷺ.

والبأس: العذاب.

وحذف المفعول الثاني[2] - وهو الناس -، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ﴾...؛ لدلالة المعنى على المحذوف.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٠٤).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكورٌ وهو (بأسًا). انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٣)، وحاشية الطيبي على الكشاف (٩/ ٤٠٧).

﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد على الله تعالى.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ هم النصارى؛ بقولهم[1] في عيسى، واليهود في عزير، وبعض العرب في الملائكة.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: على قولهم، أو على الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التميز، وقيل: على الحال.

ويعني بالكلمة قولَهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتِلُها بالحزن والأسف، والمعنى: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ استعارةٌ فصيحة؛ كأنهم مِن فَرْطِ إدبارهم قد بَعُدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسُّفًا عليهم.

وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني: ما يصلح للتزيُّن، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

---

(١) في د: «لقولهم».

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى: إخبارٌ بفناء الدنيا وزينتها.

والصعيد: هو التراب، والجُرُز: الأرض التي لا نبات فيها؛ أي: سنُفني ما على الأرض من الزينة، حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بهجةً[1].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجَبٌ؟، بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

والكهف: الغار الواسع.

والرقيم: اسم كلبهم.

وقيل: هو لوح رُقِمت فيه أسماؤهم على باب الكهف.

وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم.

وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف.

وقيل: الجبل الذي فيه الكهف.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الرقيم!.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ نذكر من قِصَّتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه؛ إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا:

---

(١) في د: «مبهجة».

وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا مِن الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهى المتبِعون لهم إلى الغار فوجدوهم، وعرَّفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا، وكان الله قد ألقى عليهم نومًا ثقيلًا، فبقوا على ذلك مدَّة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم، فعجب منها البياع وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان من أي جاءتك؟، وشاع الكلام بذلك في الناس، وقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف، فقال: هؤلاء الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى.

وأما موضع كهفهم:

فقيل: إنه بمقربة من فلسطين.

وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَةَ من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرَّقيم قد بقي بعض جُدُراتِه[1]، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دَقْيوس، والله أعلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٥)، وقال بعد إيراد ذلك: «وإنما استسهلتُ ذكرَ هذا مع بُعْده؛ لأنه عجَبٌ يتخلَّد ذكره ما شاء الله ﷻ».

ومما يُبعِد ذلك: ما روي أن معاوية مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم، ولم يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضًا فإن الموتى الذين في غار لَوْشَةَ يراهم الناس، ولم يدرك أحدًا الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ عبارةٌ عن إلقاء النوم عليهم.

وقال الزمخشري: المعنى: ضربنا على آذانهم حجابًا، ثم حذف هذا المفعول[١].

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: كثيرةً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ أي: لنعلم علمًا يظهر في الوجود؛ لأن الله قد كان علم ذلك.

والمراد بالحزبين: الذين اختلفوا في الكهف في مدة لبثهم، فالحزب الواحد: أصحاب الكهف، والحزب الآخر: القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم.

وقيل: إن الحزبين معًا أصحاب الكهف؛ إذ كان بعضهم قد قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقال بعضهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماض، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول به.

وقيل: ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل، و﴿أَمَدًا﴾ تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن «أفعلَ مِن» التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي، إلَّا في الشاذِّ.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤١٦).

[﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوّينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد:

قيامَهم من النوم.

أو قيامَهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلهًا لقلنا قولًا شططًا، والشَّطط: الجَوْر والتَّعدي.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيضٌ بمعنى التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على المفعول في ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى «غير»، وهذا استثناء:

متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره.

ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله.

وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله».

﴿فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾، والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذ[١] فارَقْنَا الكفارَ فلْنَجعل الكهف لنا مأوى، ونتَّكل على الله؛ فإنه يرحمنا ويَرْفِق بنا.

﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها: ما يُرتفَق به ويُنتفَع.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قبل هذا الكلامِ[٢] محذوفٌ تقديره: فأوى القوم إلى الكهف، ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم.

ومعنى ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾: تميل وتروغ.

ومعنى ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم؛ أي: تَبْعُد عنهم، وهو من القَرْض بمعنى القطع.

وذات اليمين والشمال[٣]: أي: جهتَه.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/ ٥٧٧).

(٢) في هـ: «كلامٌ».

(٣) في ب: «وذات الشمال».

ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛ لئلا يحترقوا بحَرِّها.

فقيل: إن ذلك كرامةُ الله لهم، وخرْقُ عادةٍ.

وقيل: كان باب الكهف شماليًّا يستقبل بناتَ نَعْشٍ[١]، فلذلك لا تصيبهم الشمس.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفَتَّحٌ لإصابة الشمس[٢]، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرْقَ عادةٍ.

وإن كان لكون بابهم إلى الشِّمال؛ فالإشارة إلى أمْرهم بجملته.

---

(١) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها نعشٌ؛ لأنها مربَّعة، قيل: شُبِّهت بحمَلة النعش في تربيعها، وثلاثةٌ بنات نعشٍ.
انظر: كتاب الأنواء، لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (١٧/ ٤١٨).

(٢) عبارة الكشاف (٩/ ٤٢٦): «مع أنهم كانوا في مكان واسعٍ مُنفَتحٍ مُعرَّض لإصابة الشمس».

[﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾
وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا
﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا
﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ
مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أيقاظًا: جمع يَقِظ، وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحةً وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظًا.

وفي قوله: ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة، وهي من أدوات البيان.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقلِّبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم.

وروي أنهم كانوا يقلَّبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به.

وقيل: كان كلبًا لراع، فمرُّوا عليه فصحبهم، وتبعه كلبُه.

وأُعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضيِّ؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، **وقيل**: عَتَبته، **وقيل**: الفناء.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة.

وقيل: لطول أظافرهم وشعورهم، وعِظَم أجرامهم.

وقيل: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنمناهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يَعلم مقدارها؛ فأَسند علمها إلى الله.

﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الوَرِق: الفضة، وكانت دراهم تزوَّدوها حين خروجهم إلى الكهف.

ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه.

ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة.

فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟.

فالجواب: أنهم كأنهم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم.

﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ **قيل**: إنها طَرَسُوسُ.

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ **قيل**: أكثرُ، **وقيل**: أحلُّ.

وروي: أنه أراد شراء زبيب، **وقيل**: تمر.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: في اختفائه وتحيُّله.

﴿إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة.

وقيل: معنى ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: بالقول.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم أطْلَعنا الناس عليهم.

﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف؛ أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿أَعْثَرْنَا﴾، أو مضمر تقديره: اذكر.

والمتنازعون: هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟.

وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بالأجساد؟، فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم، إما ليطمس أثرهم[١]، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخْذَ تربتهم تبرُّكًا.

وإما ليكون علَمًا على كهفهم يعرفُ[٢] به.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة.

وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدًا لعبادة الله.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف.

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنًّا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي.

﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال قوم: إن الواو واو الثمانية؛ لدخولها هنا، وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧]، وفي قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وفي قوله في «براءة»: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية، وإنما الواو هنا كقوله: جاء زيد وفي يده سيف.

---

(١) في ج: «آثارهم».
(٢) في د: «ليُعرف».

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[١].

وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبارٍ عن عددهم؛ لتدلَّ على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام[٢].

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عِدَّتَهم إلَّا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب.

وقال ابن عباس: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم»[٣]؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: من المراء؛ وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج.

ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلَّا مراء ظاهرًا؛ أي: غير متعمِّقٍ فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الردِّ عليهم.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥٨٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠).

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحدًا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.



[﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ سببها: أن قريشًا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتيةٍ ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه فقال: «غدًا أخبركم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يومًا، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقصَّ

عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين[١]، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديبًا له وتعليمًا، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

وقوله: ﴿غَدًا﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة.

وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل ذلك غدًا إلَّا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلَّا أن يشاء الله».

والمعنى: أن يعلِّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويبرأ هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنى: لا تقولنَّ ذلك القول إلَّا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة - على هذا- راجعة إلى القول، لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري[٢]، وحكاه ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكَى[٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس: الإشارة بذلك إلى الاستثناء؛ أي: استثنِ بعد مدةٍ إذا نسيت الاستثناء أولًا، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٤٣).
(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٩).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٠).

وأما مذهب مالك والشافعي: فإنه لا ينفع إلَّا إن كان متصلًا باليمين.

وقيل: معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت.

وقيل: اذكره إذا نسيت شيئًا؛ ليذكِّرَك ما نسيت.

والظاهر: أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره؛ أي: ارجع إلى الذكر متى غفَلت عنه، واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة ﵂: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[1].

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا كلامٌ أُمر النبي ﷺ أن يقوله، والإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى خبر أصحاب الكهف؛ أي: عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوَّتي من خبر أصحاب الكهف.

واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني[2] الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشدُ من خبر أصحاب الكهف وأقربُ إلى الله.

وقيل: إن الإشارة بـ ﴿هَٰذَا﴾ إلى المنسيِّ؛ أي: إذا نسيت شيئًا فقل: عسى أن يهديني الله إلى شيءٍ آخر هو أرشد من المنسيِّ.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب؛ يدلُّ على ذلك ما في قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم»، وهو معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

(٢) في د: «يؤتيني».

فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ ردٌّ عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

القول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيانٌ لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾، ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ - على هذا -: أنه أعلم مِن الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق؛ لأنه أعلم من الناس، فكأن قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاجٌ على صحة ذلك الإخبار.

وانتصب ﴿سِنِينَ﴾:

على البدل من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، أو عطف البيان.

أو على التمييز.

وذلك على قراءة التنوين في ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾.

وقرئ بغير تنوين: على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد.

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه!؛ لأن الله يدرك الخفيَّات كما يدرك الجليَّات.

﴿مَا لَهُم﴾ الضمير: لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ هو خبر؛ على القراءة بالياء والرفع.

وقرئ بالتاء والجزم؛ على النهي.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يَحتمل أن يراد بالكلمات هنا:

القرآن؛ فالمعنى: لا يبدِّلُ أحد القرآن ولا يغيره.

ويَحتمل أن يريد بالكلمات: القضاء والقدر.

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً تميل إليه.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسْها صابرًا.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وصهيب وخباب، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسْك نحن، فنزلت الآية.

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد الصلوات الخمس.

وقيل: الدعاء على الإطلاق.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوزْ عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه: إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ «عن»؛ لأنه تضمن معنى: نَبَتْ عينه عن الرجل: إذا احتقرَه(١).

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال، فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليلٍ لفعل المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: جعلناه غافلًا، أو وجدناه غافلًا.

وقيل: إنه يعني عيينة بن حصن الفَزَاري، والأظهر: أنها مطلقة من غير تعيين.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٦٠).

﴿فُرُطًا﴾ من التَّفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختارُ كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ السُّرداق في اللغة: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار.

وأمَّا سرادق جهنم: فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهى حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ[(١)].

وقيل: ما أذيب من الرَّصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئًا يرتفق به؛ فهو من الرِّفق[(٢)].

وقيل: يُرتَفق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ.

ويجوز أن يكونا خبرين.

أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلام مستأنف، ويَقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدَّر: من أحسن عملًا منهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧١)، والترمذي (٢٥٨١).

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (١٥/ ٢٥٣).

وروي أن النبي ﷺ قال: «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ»[(١)].

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أُسوار، أو سِوار، وهو ما يجعل في الذراع.

وقيل: أساور جمع أَسْوِرة، وأسورة جمع سِوار.

﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة والفُرُش.



(١) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٢٣٥): «عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي الى رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلى أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤).

[﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾
وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ
جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ
أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا
﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ
خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير: للكفار الذين قالوا: اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين.

وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالًا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيَّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر.

وروي أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فوطس.

وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.

﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تَنقُصْ.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة.

وقيل: هو الذهب والفضة خاصة.

وهو من ثمَّر مالَه: إذا كثَّره، ويجوز إسكان الميم تخفيفًا.

وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويَحتمل المعنى الآخر.

﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾ أي: يراجعه في الكلام.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصارَ والخدَم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخول الجنتين معًا في دَفعةٍ واحدة.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكِبْر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة:

إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلًا ببقاء هذا الوجود، كافرًا بالآخرة.

أو تكون الإشارة إلى جنته، فيكون قوله إفراطًا في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي، لأجدنَّ في الآخرة خيرًا من جنتي في الدنيا.

وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة.

﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: مرجعًا.

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرًا بالله؛ لشكِّه في البعث.

﴿سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سوَّاك إنسانًا.

ويَحتمل أنْ قَصَدَ الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا: «لكنْ أنا»، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآيةَ؛ وصيةٌ من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيضٌ.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يَحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمرًا مهلكًا، كالحرِّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ عبارةٌ عن هلاكها[١].

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارةٌ عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السُّقُف وقعت وهي العروش، ثم تهدَّمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش.

وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشُها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك:

على وجه التمني لمَّا هلَك بستانه.

أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يَحتمل:

أن يكون العامل فيه ﴿مُنتَصِرًا﴾.

أو يكون في موضع خبر ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو: بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها: من الموالاة والمودَّة.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة.

---

(١) في ب: «إهلاكها».

[﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾].

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطًا؛ أي: ملتفًا بعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتتًا، و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا بمعنى «صار».

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ أي: تفرِّقه، ومعنى المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآيةَ؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان.

وقرئ: «زينتا» بالتثنية؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٤)، (١/ ٧٢٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٨).

وقيل: الصلوات الخمس.

وقيل: الأعمال الصالحات على الإطلاق.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: نحملها، ومنه قوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨] وبعد ذلك تصير هباءً.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرةً؛ لزوال الجبال عنها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسَيِّرُ﴾؛ للدلالة على أن حشْرَهم قبل تسيير الجبال؛ ليُعاينوا تلك الأهوال[(١)].

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: لم نتركْ.

﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا، فهو إفراد تَنزَّل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون صفا»[(٢)].

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ.

و﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: حفاةً عراة غُرْلا.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، فـ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ اسم جنس.

* * *

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٢٨).

[﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾].

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة:

بأنَّ ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنى «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن.

أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عما أمره[1] به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا توبيخٌ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير:

للشياطين على وجه التحقير لهم.

---

(١) في أ، ب: «أمر».

أو للكفار.

أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ على المنجِّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرِّصة.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: مُعِينًا، ومعنى ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾: الذين يُضِلون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بيَّن هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: مَهْلكًا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبقَ الرجل: إذا هلَك.

وقد قيل: إنه وادٍ من أودية جهنم.

والضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَصْرِفًا﴾ أي: مَعدِلًا ينصرفون إليه.

* * *

[﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾].

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمَّ الجدل.

وسببها فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان[1] يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ الآية؛ معناها: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛ يعني: عذاب الآخرة.

ومعنى ﴿قِبَلًا﴾ : معاينة.

وقرئ بضمتين، وهو جمع قَبيل؛ أي: أنواعًا من العذاب.

---

(١) في د زيادة: «هنا».

﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ يعني: العذاب.

و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبةٌ على الإعراض المحكيِّ عنهم، أو تعليلٌ له.

والأكنة: جمع كِنَانٍ وهو الغطاء، والوَقْرُ: الصَّمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ يراد به: مَن قضَى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير: لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدإ، و﴿ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئةً لما ذكر بعدُ من ترك المؤاخذة.

ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ هو الخبر، و﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ بيان لمغفرته ورحمته.

والأول أظهر.

﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوۡئِلًا﴾ أي: منجًى، يقال: وأَلَ الرجلُ: إذا نجا(١).

---

(١) في أ: «أي: ملجأ.. لجأ» وهما بمعنىً واحد. تفسير الطبري (١٥٣٠٤/)، والكشاف (٥٠٣/٩).

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يعني: عادًا وثمودًا وغيرَهم من المتقدمين.

والمراد: أهل القرى؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾.

وفي ضمن هذا الإخبار تهديدٌ لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتًا معلومًا، والمُهْلَكُ هنا - بضم الميم وفتح اللام -: اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعدٍّ.

وقرئ بفتح الميم، من «هلَك»، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.



[﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ
لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ
فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾
قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا
﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا
تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هذا ابتداءُ قصة موسى مع الخَضِر، وهو موسى بن عمران نبي الله.

وقال قوم: هو موسًى آخَرُ، وذلك باطل، ردَّه ابن عباس وغيره، ويدلُّ الحديث على بطلانه.

وفتاه: هو يُوشَعُ بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا: بمعنى الخَدِيم.

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسى عليه السلام خطب يومًا في بني إسرائيل، فقيل له: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بل[1] عبدنا الخضر أعلم منك، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتًا في مِكْتَل ويسير بطول سِيف

(١) في ب، د: «بلى».

البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه[١].

﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ اختصارًا؛ لدلالة المعنى عليه.

ومعنى ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة.

و﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: عند طَنْجَةَ، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس.

وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زمانًا طويلًا، والحُقب - بضم القاف وإسكانها - ثمانون سنة.

وقيل: زمان غير محدود.

وقيل: هو جمع حِقْبة، وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسى وفتاه، والضمير في ﴿بَيۡنِهِمَا﴾ للبحرين.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نَسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقيل: نسي الفتى أن يقدِّمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل ﴿ٱتَّخَذَ﴾: الحوت، والمعنى: أنه سار في البحر:

فقيل: إن الحوت كان ميتًا مملوحًا، ثم صار حيًّا بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس: إنما حيي الحوت؛ لأنه مسَّه ماءُ عين يقال لها: عين الحياة، ما مست قطُّ شيئًا إلَّا حَيِيَ، وفي الحديث: أن الله أمسك جَرْيَة الماء عن الحوت فصار مثل السَّرَب[1]، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى ﷺ.

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرَبًا حتى وصل إلى البحر، فعامَ على العادة. ويردُّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزَا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها فسار[2] الحوت في البحر بينما كان موسى نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمارةَ لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع، فقال لفتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾.

﴿نَصَبًا﴾ أي: تعبًا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، ثم قال: فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَءَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ و﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ لا متعلَّق له؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) في ب، ج، د: «فصار».

فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يُوشَع ما رأى منه، وما اعتراه ومن نسيانه فدُهِشَ، فطَفِق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام[1].

﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ أي: نسيتُ أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسيتُ ذِكْرَ الحوت.

﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ من الهاء في ﴿أَنسَانِيهُ﴾، وهو بدل اشتمال.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

من كلام يُوشَع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس.

أو يكون إخبارًا من الله تعالى:

أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس.

أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا؛ أي: تعجَّب هو منه.

وإعراب ﴿عَجَبًا﴾: مفعول ثان لـ ﴿ٱتَّخَذَ﴾، مثل ﴿سَرَبًا﴾.

وقيل: إن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾، ثم ابتدأ التعجُّب فقال: ﴿عَجَبًا﴾، وذلك بعيد.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: فقْدُ الحوت هو ما كنا نطلب؛ لأنه أمارةٌ على وِجدان الرجل.

﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصَّان أثرهما

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٥١١ - ٥١٢).

الأول؛ لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال: إن الخضر نبيٌّ.

وقيل: إنه ليس بنبيٍّ، ولكنه وليٌّ.

وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلَّا بوحي.

واختُلف أيضًا هل مات أو هو حيٌّ إلى الآن؟ ويذكر كثيرٌ من الصُلَحاء أنهم يرونه ويكلِّمهم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسى وجد الخضر مسجًّى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنَّى بأرضك السلام؟، قال له: من أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أو لم يكن لك في بني إسرائيل ما يَشْغَلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلَّمَ منك، قال: إني على علم من علم الله علَّمَنِيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علَّمَكهُ لا أعلمه أنا[1].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ الآيةَ؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلَّم منه.

﴿رُشْدًا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما، والمعنى واحد.

وانتصَب على أنه: مفعول ثانٍ بـ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

[﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ
نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ
إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ
أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن
يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾
وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ
أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾].

﴿فَانطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر.

وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين على سِيف البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحُمِلا فيها بغير نَوْلٍ[1]؛ أي: بغير أجرة[2].

﴿خَرَقَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها.

﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في القاموس المحيط من معاني النَّوْلِ: أجرةُ السفينة خاصةً.

﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمرًّا بغِلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيءُ الصورة، فاقتلع الخضر رأسه.

وقيل: ذبحه.

وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح[١].

وروي أن اسم الغلام جَيْسُور - بالجيم -، **وقيل**: بالحاء المهملة.

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء؟.

فالجواب: أن ﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿قَتَلَهُۥ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟

فالجواب: أن خَرْق السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاءَ الغلام[٢].

﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى ﴿زَاكِيَةً﴾ ليس له ذنب.

وقيل: إنه كان بالغًا، ولكنه لم ير له الخضر ذنبًا.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأسٌ على وجه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٥٢٢).

القِصاص، وهذا يدلُّ على أن الغلام كان بالغًا؛ فإن غير البالغ لا يُقتَل وإن قتل نفسًا.

﴿شَيْـًٔا نُّكُرًا﴾ أي: منكرًا، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكْرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرتَ إليّ، فأنت معذور عندي.

وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسيانًا»[1].

﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكِيَةُ.

وقيل: بَرْقَةُ.

وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس، ويُذكَر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: طلبَا منهم طعامًا.

﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يسقط، وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقضَّ.

---

(١) تقدم تخريجه.

ووزن ﴿يَنقَضَّ﴾ يَنْفَعِل، وقيل: يَفْعَلّ -بالتشديد- كيَحْمَرّ.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسَحه بيده وأقامه فقام.

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذتَ عليه أجرًا؛ أي: طعامًا نأكله.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا؛ لأجل شرطه في قوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾، على أن قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام.

والبَيْنُ هنا: ليس بظرف، وإنما معناه: الوُصْلة والقُرْب.

وقال الزمخشري: الأصل: «هذا فراقٌ بينيَ وبينَك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية، ثم أضيف المصدر إلى الظرف[١].

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم: «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم؛ لكونهم كانوا يُغصَبون سفينتهم، أو لكونهم في لجج البحر.

وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم.

وقرئ: «مسَّاكين» بتشديد السين؛ أي: يمسكون السفينة.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٥٣٢).

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ قيل: معناه: قدَّامهم، وقرأ ابن عباس: «أمامهم».

وقال ابن عطية: إن ﴿وَرَآءَهُم﴾ على بابه، ولكن روعي به الزمان، فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي[١].

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه[٢] الخصوص في الجياد الصِّحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود: «يأخذ كل سفينة صالحة».

وقيل: إن اسم هذا الملك هُدَدُ بن بُدَد، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح.

وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخَّرٌ في المعنى عن ذكر غَصْبها؛ لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قُدِّم للعناية به.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ روي أنه كان كافرًا، وروي أنه كان يفسد في الأرض.

﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر.

وقيل: إنه من كلام الله، وتأويلُه على هذا: «فكَرِهنا».

وقال ابن عطية: إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسى» و«لعل»، وإنما هو في حق المخاطبين[٣].

ومعنى: ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: يكلِّفهما ذلك، والمعنى: أنْ يحملَهما حبُّه على اتباعه، أو يَضُرَّ بهما مخالطته[٤] مع مخالفته لهما.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٧).

(٢) في ج، هـ: «يراد به».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٩).

(٤) في د: «بمخالطته».

﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المذكور المقتول.

﴿زَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً وفضيلة في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة؛ فقيل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمانه.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم: من فقد أبويه قبل البلوغ.

وروي أن اسم الغلامين: أَصْرم وصَرِيم، واسم أبيهما: كاشح، وهذا يفتقر إلى صحة نقل.

﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم.

وقيل: كان عِلْمًا في صحف مدفونة.

والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قيل: إنه الأب السابع.

وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمرٍ مُغَيَّب مستأنف لا يَعلم ما يكون منه إلَّا الله، وأسندها الخضرُ إلى نفسه في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ لأنها لفظة[1] عيب، فتأدَّب بأن لا يُسندَها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله؛ تأدبًا.

---

(١) في أ، ب: «لفظ».

واختلف في قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ هذا[١] دليلٌ على نبوَّة الخضر؛ لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله؛ أي: بوحْيِه.



(١) في ج: «في هذا».

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ﴾ السائلون: اليهود، أو قريش بإشارة اليهود.

وذو القرنين: هو الإسكندرُ الملك، وهو يوناني - وقيل: رومي -، وكان رجلًا صالحًا.

وقيل: كان نبيًّا.

وقيل: كان ملَكًا - بفتح اللام -.

والصَّحيح أنه ملِك - بكسر اللام -.

واختُلف لم سمّي ذا القرنين؟

فقيل: كان له ضَفِيرتان من شَعرٍ هما قَرْناه، فسمي بذلك.

وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكأنه حاز قَرْنَي الدنيا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ التمكين له: أنه ملَك الدنيا، ودانت له الملوك كلُّهم.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ أي: علمًا وفهمًا، يَتوصل به إلى معرفة الأشياء.

والسبب: ما يُتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة، أو غير ذلك.

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا يوصله.

﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ قرئ بالهمز، على وزن «فَعِلة»؛ أي: ذات حَمْأةٍ[1].

وقرئ بالياء، على وزن «فاعلة».

وقد اختَلف في ذلك معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: «حمئة»، وقال معاوية: «حامية»، فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر، فقال: أمَّا العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكني أجد في التوارة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءةَ ابن عباس[2].

ومعنى: ﴿حَامِيَةٍ﴾: حارة.

---

(١) في اللسان (١/ ٥٤): «الحمأة: الطين الأسود المنتن».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٧٥).

ويَحتمل أن يكون بمعنى حمئة، ولكن سهلت همزته، فيتفق معنى القراءتين.

وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمْأَةٌ، وتكون حارَّة لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ استدلَّ بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي.

ويَحتمل أن يكون بإلهام، فلا يكون فيه دليل على نبوته.

﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم.

وقيل: الحُسْن هنا: هو الأَسْر، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ اختار أن يدعوَهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه.

والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل.

وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾: عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعَدَهم بأن ييسِّر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزِّنْج، وهم أهل الهند ومن وراءهم.

ومعنى: ﴿لَّمْ نَجْعَل﴾ الآيةَ: أنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل[(١)] أرضهم البناءَ، وإنما يدخلون من حرِّ الشمس في أسرابٍ تحت الأرض.

وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم[(٢)].

وقيل: السِّتر: اللباس، فكانوا - على هذا - لا يلبسون الثياب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أَمْرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره.

وقيل: إن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب.

وقيل: المعنى: وجَد عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وَجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ السُّدَّيْنِ﴾ أي: الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض.

وقرئ بالضم والفتح، وهما بمعنى.

وقيل: ما كان من خِلْقة الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم التُّرْك.

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارةٌ عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلَّا بالإشارة أو نحوها.

---

(١) في ج: «تحمل».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٥٧).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم، في خِلْقتهم[(١)] تشويه، منهم مُفْرِط الطول ومفرط القِصَر.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إفسادهم: بالقتل والظلم وسائر وجوه الشرّ.

وقيل: كانوا يأكلون بني آدم.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ «هل» استفهام في ضمنه عرْضٌ ورغبة.

والخَرْجُ: الجباية، ويقال فيه: خرَاج، وقد قرئ بهما.

فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالًا ليقيم بها السُّدَّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسَط الله لي من الملك خير من خرجكم؛ فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزًا حصينًا، والرَّدْم أعظم من السد.

﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ يريد نفخ الكِير؛ أي: أوقدوا النار على الحديد.

﴿قِطْرًا﴾ أي: نحاسًا مذابًا، وقيل: هو الرصاص.

وروي أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل البنيان من زُبَرِ الحديد، حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل ﴿ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾: استطاعوا، وحذفت التاء تخفيفًا.

---

(١) في هـ: «خلقهم».

والضمير في ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ للسدِّ، ومعنى ﴿يَظْهَرُوهُ﴾: يَعلوه ويَصعَدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السدِّ؛ لارتفاعه، ولا يَنقبوه؛ لقوَّته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلى الرَّدم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامةَ.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: مبسوطًا مسوًّى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿وَتَرَكْنَا﴾ لله ﷻ.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَحتمل:

أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدَّم ذكره، فالضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - لجميع الناس.

أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السدِّ، والضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ - على هذا - ليأجوج ومأجوج.

والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجُ﴾ عبارةٌ عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ الصُّور: هو القرن الذي يُنفَخ فيه يوم القيامة حسَبما جاء في الحديث[١]، يَنفخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠).

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ﴾ عبارةٌ عن عمى بصائرهم وقلوبهم، وكذلك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

* * *

[﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا
(١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)
قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا
(١٠٩) قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا (١١٠)﴾].

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكى عنهم أنهم يقولون: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبا: ٤١].

والعباد هنا: مَن عُبِد مع الله ممن لا يريد ذلك، كالملائكة وعيسى بن مريم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يسَّرنا.

﴿نُزُلًا﴾ ما ييسر[1] للضيف والقادم عند نزوله، والمعنى: أن جهنم لهم بدل النُّزُل، كما أن الجنة نزلٌ في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

ويَحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣)﴾ الآية في كفار العرب؛ لقوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾.

---

(١) في أ، هـ: «ما يتيسر»، وفي ب: «تيسر».

وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبّدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم.

وفي قوله: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف.

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم حسنةٌ توزن؛ لأن أعمالهم قد حبِطت.

﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسَبما ورد في الحديث(١)، ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حِوَلًا﴾ أي: تحوُّلًا وانتقالًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عن اتِّساع علم الله تعالى.

والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفَدْ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخَرَ مثلِه؛ وذلك لأن البحر متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول ابن جزي رحمه الله: «إخبارٌ عن اتساع علم الله تعالى» إلخ، أقول: هذا صريح بتأويل كلام الله بعلمه، فالآية عند المؤلف إخبار عن سعة علم الله، لا عن دوام كلامه، وقد بنى هذا التأويل على قول الأشاعرة في كلام الله بأنه معنى نفسي غير مسموع منه، وذلك في قوله: «والكلمات: هي المعاني القائمة بالنفس»، وهذا ظاهر في أنه يقرر القول بالمعنى النفسي، وقولُ الأشاعرة في كلام الله قول باطل مناقضٌ لدلالة العقل والشرع، فهو عندهم معنى نفسي ليس بصوت ولا حرف، واحد لا يتعدد، قديم لا تتعلق به مشيئة الله، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم، فكلام الله عند أهل السنة كلام مسموع، كما سمع موسى كلام =

﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد: هو ما يُمَدُّ به الشيء أي: يُكَثَّر.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه: فالمعنى: يرجو حُسْنَ لقاءِ ربه، وأن يلقاه لقاءَ رضًا وقَبولٍ.

وإن كان الرجاء بمعنى الخوف: فالمعنى: يخاف سوءَ لقاء ربه.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يحتمل:

أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعًا إلى قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر.

واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

(كمل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمَّ جميع النصف من البقرة من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم عليها السلام)[1].

= الله من الله، أي: بلا واسطة، وهو متعدد، فهو حروف وكلمات، وسور وآيات، وهو سبحانه يتكلم بما شاء، إذا شاء، كيف شاء، كما أخبر أنه قال، ويقول، ونادى، وينادي، كما دلَّت على ذلك الآيات. والله أعلم.

(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كمل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».
وورد في ج هكذا: «كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول، ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالى سورة مريم عليها السلام، وصلى الله على محمد».
ولم يرد في د، هـ

﴿ سورة مريم عليها السلام ﴾(1)

[﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً
خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن
لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ
ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ
ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ
وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ۝١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ۝١٥﴾].

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قد تكلَّمنا في «البقرة» على حروف الهجاء(2).

وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو «كافٍ»، والهاء من

---

(1) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

(2) انظر (1/ 261).

«هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق».

وكان علي بن أبي طالب يقول في دعائه: «يا كهيعص»[١] فيَحتمل:

أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالى.

أو ينادي بالأسماء التي اقتُطعت منها هذه الحروف.

﴿ذِكْرُ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ﴾ وصَفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وتقريبه.

ونصب ﴿عَبْدَهُۥ﴾ على أنه مفعول لـ ﴿رَحْمَتِ﴾؛ فإنها مصدرٌ أُضيف إلى الفاعل، ونَصَب المفعولَ.

وقيل: هو مفعول بفعلٍ مضمر، تقديره: رَحِم عبدَه، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلُّفُ الإضمار من غير حاجة إليه، وقطعُ العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني: دعاه.

﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أخفاه:

لأن الله يسمع الخفيَّ كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقربُ إلى الإخلاص، وأبعدُ من الرياء.

أو لئلا يلومَه الناس على طلب الولد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١).

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ استعارةٌ للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: قد سعدتُ بدعائي لك فيما تقدَّم، فاستجب لي في هذا، فتوسَّلَ إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الأقاربَ:

قيل: خاف أن يرثوه دون نسله.

وقيل: خاف أن يضيِّعوا الدِّين مِن بعده.

﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: مِن بعدي.

﴿عَاقِرًا﴾ أي: عقيمًا.

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني: وارثًا.

﴿يَرِثُنِى﴾ قيل: يعني وِراثة المال.

وقيل: وراثة العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[١].

وكذلك يرثُ من آل يعقوب العلمَ والنبوة، وقيل: الملك.

ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصحِّ.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٩٨)، وهو في الصحيحين بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

﴿رَضِيًّا﴾ أي: مرضيّ[١]، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني مَن سُمِّي باسمه.

وقيل: مثيلًا ونظيرًا.

والأوَّل أحسن هنا.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقْم امرأته، فسأل ذلك أولًا؛ لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجَّب منه؛ لأنه نادرٌ في العادة.

وقيل: سأله وهو في سنٍّ من يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿عِتِيًّا﴾ قيل: يُبسًا في الأعضاء والمفاصل.

وقيل: مبالغةٌ في الكِبَر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفْعٍ؛ أي: الأمرُ كذلك؛ تصديقًا له فيما ذَكر مِن كِبَره وعُقْم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ثم يبتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.

وقيل: إن الكاف في موضع نصبٍ بـ﴿قَالَ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى مبهم يفسِّره: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

﴿اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأته.

﴿سَوِيًّا﴾ أي: سليمًا غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في

---

(١) في د: «مرضيًا».

﴿تُكَلِّمَ﴾، والمعنى: أنه لا يكلِّمُ الناس مع أنه سليم من الخَرَس.

وقيل: إن ﴿سَوِيًّا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستوياتٍ.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار.

وقيل: كَتَبه في التراب؛ إذ كان لا يَقدِر على الكلام.

﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ **قيل**: معناه: صلُّوا، والسُّبْحة في اللغة: الصلاة.

وقيل: قولوا[١]: سبحان الله.

﴿يَـٰيَحْيَىٰ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد وِلادته: يا يحيى.

﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني: التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ **قيل**: الحكمُ: معرفة الأحكام.

وقيل: الحكمة.

وقيل: النبوَّة.

﴿وَحَنَانًا﴾ **قيل**: معناه: رحمةً.

وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان![٢].

﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً.

وقيل: ثناءً، كما يزكِّي الشاهدُ.

---

(١) في أ، ب: «قوله».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٧).

[﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ
دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ
مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ
فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ
هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا
﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا
فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ
فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾].

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: إلى جهة الشرق[١]، ولذلك يصلِّي النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل.

وقيل: عيسى.

والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثَّل لها باتفاق.

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ لما رأت الملك الذي تمثَّل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعُد عني؛ فإني أعوذ بالله منك.

وقيل: إن ﴿تَقِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشرِّ عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

﴿لِيَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: هو عيسى عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الربِّ جل جلاله.

وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه: لأنه هو الذي أرسله الله بها.

أو يكون قال ذلك حكايةً عن الله تعالى.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغيُّ: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغيٍّ: فَعُول.

---

(١) في ب: «المشرق».

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ الضمير للولد، واللام تتعلّق بمحذوف تقديره: لنجعله آيةً فعَلْنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانيةَ أشهر.

وقال ابن عباس: حملته ووَلدته من ساعته(١).

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بعُدت حياءً من قومها أن يظنوا بها الشرَّ.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه: ألجأها، وهو منقول مِن «جاء» بهمزة التعدية.

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ أي: النِّفاس.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ رُوي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾ إنما تمنَّت الموت خوفًا من إنكار قومها، وظنِّهم بها الشرَّ، ووقوعِهم في ذمِّها، وتمني الموت جائزٌ في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرٍّ نزل بالبدن؛ فإنه منهيٌّ عنه.

﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ النِّسْيُ: الشيء الحقير الذي لا يُوبَه له(٢)، ويقال بفتح النون وكسرها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرها، وقد اختُلف على كلتا القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى؟.

وعلى أنه جبريل:

قيل: إنه كان تحتها كالقابلة.

---

(١) في أ: «ساعة».

(٢) في ج، د، هـ: «به».

وقيل: كان في مكانٍ أسفلَ من مكانها.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ تفسيرٌ للنداء، فـ «أنْ» مفسِّرة.

﴿سَرِيًّا﴾ يعني: جدولًا، وهو ساقيةٌ من ماء كان قريبًا من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسَّره بذلك[1].

وقيل: يعني عيسى؛ فإن السَّرِيَّ الرجلُ الكريم.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كان جذعًا يابسًا، فخلق الله فيه الرُّطَب؛ كرامةً لها وتأنيسًا.

وقد استدلَّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبَّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزِّ النخلة.

والباء في ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة، كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بـ ﴿تُسَٰقِطْ﴾ النخلة.

وقرئ بالياء؛ والفاعل - على ذلك - الجذع.

و﴿رُطَبًا﴾ تمييز.

والجنيُّ معناه: الذي طاب وصلح لأن يُجتنَى.

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السَّرِي.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ٢٤٢) من حديث البراء مرفوعًا، ورواه الطبري في تفسيره عن البراء موقوفًا (١٥/ ٥٠٦).

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل[(١)] الله لك من وِلادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و﴿تَرَيِنَّ﴾ فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام.

وقيل: تعني: الصيام؛ لأن مِن شرطه في شريعتهم الصمت.

وإنما أُمِرت بالصمت؛ صيانةً لها عن الكلام مع المتَّهِمين لها، و[(٢)]لأن عيسى تكلَّم عنها.

وإخبارها[(٣)] بأنها نذرت الصمت[(٤)] كان بهذا الكلام.

وقيل: بالإشارة.

ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علِمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القَصيِّ إلى قومها.

﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفِرية.

---

(١) في ج، د: «جعل».
(٢) في د: «أو».
(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».
(٤) في هـ: «الصوم».

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ كان هارون عابدًا من[1] بني إسرائيل، شُبِّهت به مريم في كثرة العبادة؛ فقيل لها: أخته، بمعنى: أنها تشبهه.

وقيل: كان أخاها من أبيها، وكان رجلًا صالحًا.

وقيل: هو هارون النبي أخو موسى، وكانت من ذريته، فـ«أخت» على هذا كقولك: «أخو بني فلان»؛ أي: واحد منهم.

ولا يتصوَّر على هذا القول أن تكون أختَه من النسب حقيقةً؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلًا.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم، وصمتت هي كما أُمرت.

﴿ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾ «كان» بمعنى: يكون، والمهد: هو المعروف.

وقيل: المهد هنا: حجرها.

﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: الإنجيل، أو التوراة والإنجيل.

﴿ مُبَارَكًا ﴾ من البركة.

وقيل: نفَّاع.

وقيل: معلِّمٌ للخير.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ هما المشروعتان.

وقيل: الصلاة هنا: الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب.

---

(١) في د هـ: «في».

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على ﴿مُبَارَكًا﴾، روي أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال، على عادة البشر.

وفي كلامه هذا ردٌّ على النصارى؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردٌّ على اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدُّم السلام المنكَّر في قصة يحيى، فهو كقولك: رأيت رجلًا فأكرمت الرجل.

وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريضٌ بلعنة من اتَّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلُّه عليَّ لا عليكم، بل عليكم ضدُّه[١].

﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدلٌ، أو خبرٌ بعد خبر.

وبالنصب: منصوب على المدح بفعل مضمر، أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدِّم.

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء.

أو: يشكُّون؛ فهو من المِرية.

والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى.

وقرئ بفتح الهمزة: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ١٧).

وبكسرها: لابتداء الكلام.

وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد!، قل لهم: ذلك عيسى بن مريم، وإن الله ربي وربكم.

والأول أظهر.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداءُ إخبارٍ، والأحزاب: اليهود والنصارى؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافًا شديدًا، فكذَّبه اليهود وعبده النصارى، والحقُّ خلاف أقوالهم كلِّها.

﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ معناه: من تلقائهم، ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم.

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أسمعَهم وما أبصرَهم يوم القيامة!، على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يومُ يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت.

وقيل: هو يوم القيامة.

وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على المفعولية، لا على الظرفية.

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ يعني: في الدنيا، فهو متعلِّق[1] بقوله: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أو بـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «يتعلق».

[﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا
لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا
﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ
صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾].

﴿صِدِّيقًا﴾ بناءُ مبالغةٍ من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صدِّيقٌ قبل الوحي، نبيٌّ بعدَه.

ويَحتمل أنْ جَمع(١) الوصفين.

﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام.

﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويمًا.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني: الرجم بالحجارة.

وقيل: الشتم.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينًا طويلًا، وعطف ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ على محذوف،

---

(١) في ج زيادة «بين».

تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداعٌ ومفارقة.

وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعدٌ، وهو الذي أُشير إليه في قوله: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

قال ابن عطية: معناه: سأدعو الله أن يهديَك فيغفرَ لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز[١].

وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعلَّه كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوِّي هذا القول قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ومِثْل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»[٢].

﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارًّا متلطِّفًا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوَّة.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

وقيل: المال والولد.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني: الثناءَ الباقيَ عليهم إلى آخر الدهر.

* * *

[﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ
إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ
عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا
﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩ ﴿٥٨﴾
۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن
تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى
وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ
إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾].

﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام: أي: أخلص نفسه وأعماله لله.

وبفتحها: أي: أخلصه الله للنبوّة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبيَّ كل من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولًا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبي رسولًا.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ هو تكليم الله له.

﴿ٱلطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه.

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن.

﴿نَجِيًّا﴾ النجيُّ: فعيل، وهو المنفرد بالمناجاة.

وقيل: هو من النجاة.

والأول أصح.

﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ «من»: سببية، أو للتبعيض.

و﴿أَخَاهُ﴾:

على الأول: مفعول.

وعلى الثاني: بدل.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلًا إلى مكان، فانتظره فيه سنة.

وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا يدلُّ على قول من قال: إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبيٍّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ قال ابن عباس: رفعه الله إلى السماء، وهناك مات، وفي حديث الإسراء: أنه في السماء الرابعة[1].

وقيل: يعني: رِفعةَ النبوة وتشريفَ منزلته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

والأول أشهر، ويرجِّحه الحديث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى كل مَن ذكر في هذه السورة، من زكرياءَ إلى إدريس.

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ «مِن» هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني: نوحًا وإدريس.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يَحتمل العطفَ على «مِن» الأولى، أو الثانية.

﴿وَبُكِيًّا﴾ جمع باكٍ، ووزنه فُعُول.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عَقِب الخير: خلَف - بفتح اللام -، وفي عقب الشر: خلْف - بالسكون - وهو المعنيُّ هنا.

واختُلف فيمن المراد بذلك؟

فقيل: النصارى؛ لأنهم خلَفوا اليهود.

وقيل: كلُّ من كفر وعصى مِن بعد بني إسرائيل.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغيُّ: الخسران.

وقد يكون بمعنى الضلال؛ فيكون على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غيٍّ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناءٌ يَحتمل الاتصالَ والانقطاع.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: أخبرَهم من ذلك[١] بما غاب عنهم.

﴿مَأْتِيًّا﴾ وزنه مفعول؛ فقيل: إنه بمعنى فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي.

وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها.

﴿لَغْوًا﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناءٌ منقطع.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنى: أن زمانهم يُقدَّر بالأيام والليالي؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل.

وقيل: المعنى: أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبَّر عن ذلك بالبُكرة والعشيّ؛ على عادة الناس في أكلهم[٢].

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «أبطأتَ عني واشتقتُ إليك»، فقال: «إني كنت أشوَقَ، ولكني عبدٌ مأمور؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتَبست»، ونزلت هذه الآية[٣].

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: له ما قُدَّامنا وما خلفنا،

---

(١) في ب، ج: «بذلك».

(٢) في هـ: «في كلامهم».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤١٤).

وما نحن فيها[1] من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلَّا بأمر الله.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النفختين.

وقيل: ما مضى من أعمارنا، وما بقي منها، والحالُ التي نحن فيها.

والأول أكثر مناسبةً لسبب الآية.

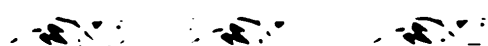
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذُّهول.

وقيل: بمعنى الترك.

والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلًا ونظيرًا، فهو من المسامي والمضاهي.

وقيل: مَن يُسمَّى باسمه؛ لأنه لم يتسمَّ بالله غيره تعالى.



(١) في ج، هـ: «فيه».

[﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ
مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا
﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ
بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ
وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا
﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا
ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ
هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ
بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾
كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾
وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ
عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾].

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ هذه حكايةُ قولِ مَن أنكر البعث من القبور.

والإنسان هنا: جنس يراد به الكفار.

وقيل: إن القائل لذلك أبيُّ بن خلف، وقيل: أمية بن خلف.

والهمزة التي دخلت على ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ للإنكار والاستبعاد.

واللام في قوله: ﴿لَسَوۡفَ﴾ سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى.

والإخراج يراد به: البعث.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاجٌ على صحة البعث، وردٌّ على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليلٌ على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قُرناءَهم من الشياطين الذين أضلُّوهم.

والواو:

للعطف.

أو بمعنى «مع»؛ فيكون ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ مفعولًا معه.

﴿جُثِيًّا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جِلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب، أو اتّباع إنسان.

ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدّمه إلى النار.

وقال بعضهم: المعنى: نبدأ بالأكبر جُرْمًا فالأكبر جُرمًا.

﴿أَيُّهُمْ﴾ اختُلف في إعرابه:

فقال سيبويهِ: هو مبنيٌّ على الضم؛ لأنه حُذِف العائدُ عليه من الصِّلة - وكان التقدير: «أيّهم هو أشدُّ» - فوجب البناء.

وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ.

وقال يونس: عُلِّق عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيًّا﴾ الصُّلِيُّ: مصدرُ: صَلِيَ النارَ، ومعنى الآية: أن الله يعلم

من هو أولى بأن يُصلَى العذابَ.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطابٌ لجميع الناس عند الجمهور.

فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تَخمُد فلا تضرُّهم، فالورود على هذا بمعنى[1]: الدخول، كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] و﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] والمراد بذلك: جواز الصراط.

وقيل: الخطاب للكفار؛ فلا إشكال.

﴿حَتْمًا﴾ أي: أمرًا لا بدَّ منه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول: فنجاة الذين اتقوا بكون النارِ عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها.

وإن كان بمعنى المرور على الصراط: فنجاتهم بالجواز، والسلامة من الوقوع فيها.

﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان: هم المؤمنون والكفار.

والمقام: اسم مكان مِن قام.

وقرئ بالضم؛ من أقام.

والنديُّ: المجلس.

---

(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».

ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا؛ أي: أحسن حالًا في الدنيا، وأجمل مجلسًا؛ فنحن أكرم على الله منكم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

ومعنى الآية: ردٌّ على الكفار في قولهم المذكور؛ أي: ليس حُسْن الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا.

﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾[1].

﴿أَثَٰثًا﴾ أي: متاع البيت.

وقال ابن عطية: هو اسمٌ عام في المال؛ العينِ والعَرْض[2] والحيوان[3].

وهو اسم جمع.

وقيل: هو جمع، واحده أثاثةٌ.

﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرِّئْي: اسم المرئي.

وقرئ بتشديد الياء من غير همز، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفِقٌ.

وقيل: هو من رِيِّ الشارب؛ أي: التنعُّم بالمشارب والمآكل.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٨٣).

(٢) في د: «والعُروض».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٦٠).

وقرأ ابن عباس: «زِيًّا» بالزاي.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ أي: يمهله ويُملي له، واختُلف هل هذا الفعل دعاءٌ، أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدًا؟.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا: غايةٌ للمدِّ في الضَّلال.

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: عذابَ الدنيا.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ ذُكر في «الكهف»[١].

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعًا وعاقبة.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بُعثتُ كما يزعم محمد ليكونَنَّ لي هناك مال وولد.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والردُّ على العاصي في قوله.

﴿كَلَّاۚ﴾ ردعٌ له عن كلامه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلًا؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه.

---

(١) انظر صفحة ٣١.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووِراثتُها: هي بأن يَهلِك العاصي ويتركَها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضي الله عنهما.

﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقيل: إن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار فالمعنى كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمَّلوه منهم، فيصير العزُّ الذي أمَّلوه ذِلةً.

وقيل: معناه: أعداءً.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ
لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا
﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ
ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾].

﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تضمَّن معنى: «سلَّطنا»، ولذلك تعدَّى بـ«على».

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطئ عذابَهم وتطلب تعجيلَه.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي: نعدُّ مدَّة بقائهم في الدنيا.

وقيل: نعدُّ أنفاسهم.

﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه: ركبانٌ[1]، ومعنى الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب؛ فلذلك قيل ذلك.

وقيل: مُكْرمون؛ لأن العادة إكرام الوفود.

---

(١) في د: «ركبانًا».

﴿وِرْدًا﴾ معناه: عطاشٌ[١]؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلَّا للعطش.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ الضمير يَحتمل:

أن يكون للكفار، والمعنى: لا يملكون أن يُشفع لهم، ويكون ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾ استثناءً منقطعًا، بمعنى «لكن».

أو يكون الضمير للمتقين، فالاستثناء متصل، والمعنى:

لا يملكون أن يَشفعوا إلَّا لمن اتخذ عهدًا.

أو لا يملكون أن يَشفع منهم إلَّا من اتخذ عهدًا.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذُكِروا قبل ذلك؛ فالاستثناء - أيضًا - متصل، و﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾: يَحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهْدًا﴾ يريد به: الإيمانَ والأعمال الصالحة.

ويَحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩].

والظاهر أن ذلك إشارةً إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»[٢].

﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: شنيعًا صعبًا.

﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشقَّقنَ من قول الكفار: اتخذ الله ولدًا.

---

(١) في د: «عطاشًا».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

﴿هَدًّا﴾ أي: انهدامًا.

﴿أَن دَعَوۡا﴾ أي: من أجل أن دعوا للرحمن وَلَدًا.

وقرئ ﴿وُلْدًا﴾ بضم الواو وإسكان اللام، وهي لغة.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ردٌّ على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده؛ فكيف يكون أحد منهم ولدًا له؟!.

و﴿إِن﴾ نافية، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ هو المحبة والقَبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده.

وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك.

﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ جمع ألَدّ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك: قريش.

وقيل: معناه: فُجَّارًا.

﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.

﴿ سورة طه ﴾

[طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ
خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا
نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى
﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ
طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾
فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ
﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾
قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾
لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾].

قيل في ﴿طه ﴿١﴾﴾: إنه من أسماء النبي ﷺ.

وقيل: معناه: يا رجل.

وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول «البقرة»(١).

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورَّمت قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفًا عنه، فالشَّقاء على هذا: إفراطُ التعب في العبادة.

وقيل: المراد به: التأسُّف على كفر الكفار.

واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل[١] عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ نصبٌ على الاستثناء المنقطع.

وأجاز ابن عطية أن يكون بدلًا من موضع ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله[٢]، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنسين[٣].

ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكرةً.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾.

وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغَيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ، وذلك هو الالتفات.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ جمع عُلْيا.

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ تكلَّمنا عليه في «الأعراف»[٤].

---

(١) في ج: «نزل».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٧٩).
(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٢٤).
(٤) انظر (٢/ ٣٤٩).

﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ هو في اللغة: التراب النديْ، والمراد به هنا: الأرض.

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السرَّ وأخفى.

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السرُّ: الكلام الخفيُّ، والأخفى: ما في النفس.

وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تكلَّمنا عليها في «الأعراف»[1].

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿حَدِيثُ﴾؛ لأن فيه معنى الفعل.

وكان من قصة موسى: أنه رحَل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدحه بزَنْدِه[2] فلم ينقدح، فرأى نارًا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلى فرعون.

﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت.

﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ يعني: هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أُمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأُمر بخلع النجاسة.

---

(١) انظر (٢/ ٤٢٠).

(٢) في ج: «بزناده».

واختار ابن عطية: أن يكون أُمر بخلعهما ليتأدبَ، ويعظِّمَ البقعة المباركة ويتواضعَ في مقام مناجاة الله[١]، وهذا أحسن.

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهَّر.

﴿طُوًى﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي[٢]، وإعرابه على هذا: بدل، ويجوز تنوينه؛ على أنه مكان، وتركُ صرفِه؛ على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه: مرتين، فإعرابه على هذا: مصدر؛ أي: قُدِّس الوادي مرةً بعد مرة، أو نُودي موسى مرةً بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ **قيل**: المعنى: لتذْكُرني فيها.

وقيل: لأذكركَ بها.

فالمصدر:

على الأول: مضاف للمفعول.

وعلى الثاني: مضاف للفاعل.

وقيل: معنى ﴿لِذِكْرِيٓ﴾: عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي ﷺ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٢).

(٢) في ب: «الوادي».

استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها[١].

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه:

فقيل: ﴿أُخْفِيهَا﴾ بمعنى أظهرها، وأخفيت - على هذا - من الأضداد.

وقال ابن عطية: هذا قول مختلٌ[٢]؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف، من الإخفاء، وخفَى بغير ألف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أَخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرىء بذلك في الشاذ.

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفى بمعنى خفَى[٣]؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلًا على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها.

وقيل: المعنى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ﴾، وتمَّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أُنفِذها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أُخْفِيهَا﴾.

وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟!.

وهذه الأقوال ضعيفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٥).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٤٧).

وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أَبْهم وقت الساعة فلم يُطْلِع عليه أحدًا[١]؛ حتى إنه كاد أن يُخفيَ وقوعَها؛ لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها؛ إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين.

﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلَّق بـ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضيمر للساعة، أي: لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها.

وقيل: الضمير للصلاة، وهو بعيد.

والخطاب لموسى عليه السلام.

وقيل: لمحمد ﷺ، وذلك بعيد.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه: تَهلِك، والرَّدى: هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا مِن قلبها حيةً، فمعنى السؤال: تقرير على أنها عصا؛ ليتبينَ له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن يقلبها.

وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويَبسُطَه بالكلام.

---

(١) في ب، هـ: «أحدٌ».

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ لينتثر[١] الورق للغنم.

﴿مَـَٔارِبُ﴾ أي: حوائجُ.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي.

﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة.

وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ على أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس.

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يريد من غير بَرص ولا عاهة.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣﴾ يَحتمل أن تكون ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: مفعولَ ﴿لِنُرِيَكَ﴾.

وأن تكون صفةً للآيات.

ويختلف المعنى على ذلك.



(١) في ج: «لينتشر».

[﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾
يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ
فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ
﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ
فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ
قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ
أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا
ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ
رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
أُخْرَىٰ﴾].

﴿ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إن قيل: لم قال ﴿ٱشْرَحْ لِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ﴾، مع أن المعنى يصحُّ دون قوله: «لي»؟

فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ وتحقيقٌ للرغبة.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ العُقْدة: هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه[١] وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجرِّبه[٢].

وإنما قال: ﴿عُقۡدَةً﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا، وإعراب ﴿هَٰرُونَ﴾:

بدلٌ.

أو مفعولٌ أول.

﴿أَزۡرِي﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوَّاه.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كلَّ ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يَحتمل أن يكون:

وحيَ كلام بواسطة ملَك.

أو وحيَ إلهام، كقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهامٌ، يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ الضمير الأول: لموسى.

والثاني: للتابوت، أو لموسى.

---

(١) في د، هـ: «فمه».

(٢) في ج: «يذبحه».

واليَمُّ: البحر، والمراد به هنا: النيل.

وكان فرعون قد ذُكر له أن هلاكه وخراب مُلكه على يد غلامٍ من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولدٍ ذكَر يولد لهم، فأوحى الله إلى أمِّ موسى أن تُلقيَه في التابوت وتُلقيَ التابوتَ في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشرِف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسِيق إليه، وامرأته معه[1] ففُتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدًا فأباح لها ذلك.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: أحببتك.

وقيل: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحدٌ إلَّا أحبَّه.

وقيل: أراد: محبةَ امرأة فرعون ورحمتَها له.

وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ يَحتمل:

أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾.

أو يكون صفةً لـ ﴿مَحَبَّةً﴾ فيتعلَّق بمحذوف[2].

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي: تُربَّى ويُحسَن إليك بمرأى مني وحفظٍ[3].

---

(١) في ج: «حوله».

(٢) قال في الكشاف (١٠/ ١٧٠): «وإما أن يتعلق بمحذوفٍ هو صفة لـ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبةً حاصلةً أو واقعةً مني».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «تُربَّى ويحسن إليك»، أقول: هذا صحيح، وهو الذي يقتضيه السياق وتدل عليه الجملة، فقوله: «تربَّى»، هو معنى تُصنع، وقوله: «بمرأى مني» يدل له قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، فدلت الآية على إثبات العين لله =

والعامل في ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ محذوفٌ.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿تُصْنَعَ﴾.

أو ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾.

أو فعل مضمر تقديره: ومننَّا عليك.

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك؛ ليُردَّ إلى أمِّه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطيَّ الذي وكزه فقضى عليه.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: الخوف من أن يُطلَب بثأر المقتول.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختبارًا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة.

وقيل: خلَّصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلَّصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل.

والفتون يَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو جمع فتنة.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني: الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب.

= بلا كيف، كما تفيده الإضافة، وعلى أن الله يَرى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وذكر الرؤية يقتضي الحفظ من كل شر، ولم يتعرض المؤلف لإثبات العين أو نفيها، فلعله آثر الإمساك على طريقة أهل التفويض من النفاة لحقائق الصفات. وهو الغالب عليه ﷺ، حسبما تقدم. والله أعلم.

﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدَّره الله[١] لنبوتك.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ عبارةٌ عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني[٢].

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقصِّرا، والونَى: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي: يَعْجل بالشرِّ.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: سرِّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرِهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعني: قلْبَ العصا حية، وإخراجَ اليد بيضاءَ، وإنما وحدَّها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنى واحدٌ.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يَحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه

---

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله في قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب» إلخ، صحيحٌ، وقوله: عبارة، أي: الاصطناع عبارةٌ عن الكرامة والتقريب، أي: معناه الكرامة والتقريب، فاصطنعتك أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني، وقوله تعالى: ﴿لِنَفْسِى﴾ أي: جعلتك من خاصتي، كقوله تعالى عن الملك: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾ يعني يوسف ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾.

الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلْقَه كلَّ شيء يحتاجون إليه، فـ ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ على هذا بمعنى[١] المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾: مفعول ثان.

وقيل: المعنى: أعطى كل شيء خِلْقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى: الخِلقة، وإعرابه: مفعول ثان، و﴿كُلَّ شَىۡءٍ﴾: مفعول أول.

والمعنى الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: هدى خَلقه إلى التوصُّل لما أعطاهم، وعلَّمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ يَحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى: محاجَّةً ومناقضة لموسى؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذَّبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

ويَحتمل أن يكون قال ذلك قطعًا للكلام الأول، ورَوَغانًا عنه وحَيْدةً؛ لمَّا رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، ثم عاد إلى وصف الله؛ رجوعًا إلى الكلام الأول.

﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ يعني: اللوحَ المحفوظ.

---

(١) في أ، ب: «على هذا المعنى».

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أي: فراشًا.

وانظر كيف وصف موسى ربَّه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعونَ أن يتَّصف بها، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبهَ ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالطَ[1] ويدعيَ ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج[2] لكم فيها طرقًا[3] تمشون فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يَحتمل أن يكون من كلام موسى، على تقدير: يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾.

ويَحتمل أن يكون كلامُ موسى تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثم ابتدأ كلام الله.

﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافًا مختلفة.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تُؤكل وتَرعاها الأنعام، وعبَّر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكأنه أمر به.

﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: العقول، واحدها نُهْية.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خِلْقَةَ[4] آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.

---

(١) في ج، د: «يغالطه».

(٢) في ج، د: «نهج»، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ب، ج، د: «طريقًا».

(٤) في ج: «خَلْقَهُ».

[﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ
يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ
كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ
لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى
يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ
سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ
أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ
عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾].

﴿أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم؛ فالإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ تجري مجرى التعريف بالعهد؛ أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لها.

﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا﴾ يَحتمل أن يكون الموعد: اسمَ مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان.

ويدلُّ على أنه اسم مكان: قوله: ﴿مَكَانٗا سِوٗى﴾، ولكن يَضْعف بقوله: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان.

ويدلُّ على أن الموعد اسمُ زمان: قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، ولكن يضعف بقوله: ﴿مكانا سِوًى﴾.

ويدلُّ على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد: قوله: ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَانٗا﴾ وبقوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

فلا بدَّ على كل وجه من تأويل، أو إضمار.

ويَختلف إعراب[1] قوله: ﴿مَكَانٗا﴾ باختلاف تلك الوجوه:

فأمَّا إن كان الموعد اسم مكان: فيكون قوله: ﴿مَوۡعِدٗا﴾ و﴿مَكَانٗا﴾ مفعولين لقوله[2]: ﴿ٱجۡعَلۡ﴾، ويطابقه قوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من طريق المعنى لا من اللفظ، وذلك أن[3] الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورةً.

وإن كان الموعد اسم زمان: فينتصب قوله: ﴿مَكَانٗا﴾ على أنه ظرف مكان، والتقدير: موعدًا كائنًا في مكان.

---

(١) سقطت من أ، ب، هـ.

(٢) في ب: «بقوله».

(٣) في ب: «لأن».

وإن كان الموعد اسم مصدر: فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ على حذف مضاف تقديره: موعدكم وعْدُ يوم الزينة.

وقرأ الحسن: «يومَ الزينة» بالنصب، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقديرِ محذوفٍ.

﴿مَكَانًا سِوًى﴾ معناه: مستوٍ في القرب منا ومنكم.

وقيل: معناه: مستوٍ في الأرض[1]، ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع.

وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متَّفق.

﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيدٍ لهم.

وقيل: يوم عاشوراء.

﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، فهو في موضع خفض.

أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع.

وقصَد موسى أن يكون موعدُهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبيَّن الحق للناس.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه: يُهلِككم، ويقال: سَحَت وأَسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها، والمعنى متفق.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرئ: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ بالياء، ولا إشكال في ذلك.

(١) في أ: «مستوي الأرض».

وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، وهي مخفَّفة من الثقيلة، وارتفع بعدها ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالابتداء.

وأما[1] قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَٰذَٰنِ﴾:

فقيل: ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: «نَعَمْ»، فلا تَنصِب، ومنه ما روي في الحديث: «إنَّ الحمدُ لله» بالرفع[2].

وقيل: اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن، تقديره: إنَّ الأمرَ، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾.

وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض.

وقالت عائشة ﵂: هذا مما لحن فيه كُتَّاب[3] المصحف[4].

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ أي: يذهبا[5] بسيرتكم الحسنة.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا، وأنفذوه.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ استدلَّ بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييلٌ لا حقيقةٌ.

---

(١) في أ، ب زيادة: «على».
(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/ ٣١).
(٣) في أ، ب، هـ: «كاتب».
(٤) انظر التعليق في (٢/ ١٣٢).
(٥) في أ، ب: «يذهب».

وقال بعضهم: إن حيلة السَّحَرة في سعي الحبال والعصيِّ هي أنهم حشَوْها بالزِّئبق، وأوقدوا تحتها نارًا، وغطَّوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيَّهم.

وقيل: جعلوها للشمس، فلما أحسَّ الزِّئبق بحرِّ النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصيِّ فحملها، فتخيَّل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانًا فابتلعتها.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إنَّ»، و﴿كَيْدُ﴾ خبرها.

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدَّم هنا[1] ﴿هَٰرُونَ﴾؛ لتعتدل[2] رؤوس الآي وتكونَ على الألف.

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوفٌ على ﴿مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

وقيل: هي واو القسم.

﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ﴾ نصبٌ على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة.

وقيل: هو من كلام الله.

---

(١) زيادة من ج، د.

(٢) في ب، ج: «لتعدل».

[﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ
دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ
قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ
عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ
أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ
﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾].

﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلى نفسه؛ تشريفًا لهم، وكانوا - فيما قيل - ست مئة ألف.

﴿يَبَسًا﴾ أي: يابسًا، وهو مصدر وصف به.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهامٌ؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾!.

فالجواب: أنه مبالغة وتأكيد.

وقال الزمخشري: هو تهكُّم بفرعون في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩][1].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد خروجهم من البحر وإغراقِ فرعون.

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ.

والأول أظهر.

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني[2] إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء؛ ليكلِّم فيه ربه.

والطور: هو الجبل، واختُلف: هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوَّته؟ أو[3] هو غيره؟.

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ ذُكر في «البقرة»[4].

﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ أي: هلَك، وهو استعارة من السقوط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدَّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢١٤).

(٢) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ١١٧)؛ فالآمر هو الله تعالى.

(٣) في ب، ج زيادة «هل».

(٤) بل ذُكر في اللغات مادة (٣٠٥).

وقالت المعتزلة: لا يغفر إلَّا لمن تاب[1].

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي: استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح.

ويَحتمل أن يكون الهدى هنا: عبارةٌ عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحًا.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قَصص هذه الآية: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدَّم هو وحده؛ مبادرةً إلى أمر الله، وطلبًا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامريُّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾؟.

وإنما سأل اللهُ موسى عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أَثَره، فيخبرَه الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدُّمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أَثَره؛ أي: قريب منه، فلم يتقدَّم عليهم بكثيرٍ يوجب العتاب.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد» إلخ، صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾، وهذه الآية لمن تاب، أما من لم يتب فما دون الشرك فمغفرته مقيدة بالمشيئة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقول المعتزلة: «لا يغفر إلا لمن تاب» بنوا عليه القول بتخليد أهل الكبائر في النار.

والثاني: أنه إنما تقدَّم طلبًا لرضا الله.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلًا من بني إسرائيل، ويقال[١]: إنه ابن خال موسى.

وقيل: لم يكن منهم، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها: سامرة. وكان ساحرًا منافقًا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني: رجع من الطور، بعد كمال[٢] الأربعين يومًا التي كلَّمه الله فيها.

﴿أَسِفًا﴾ ذُكر في «الأعراف»[٣].

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ يعني: ما وعدهم من الوصول إلى الطور.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ يعني: المدة، وهذا الكلام توبيخٌ لهم.

﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر، ومعناه: ما أخلفنا موعدك بأن مَلَكْنا أمرنا، ولكن غُلِبنا بكيد السامريِّ، فيَحتمل:

أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم.

أو اعتذروا بقلة مِلْكهم لأنفسهم في النظر، وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر.

---

(١) في ج: «يقال».
(٢) في ج: «إكمال».
(٣) انظر (٢/ ٣٨٩).

﴿حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سمِّيت أوزارًا؛ لثِقَلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُليُّ القبط قومِ فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامريُّ: اجمعوا هذا الحُليَّ في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامريُّ نارًا على الحليّ، وصاغ منه عجلًا.

وقيل: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسى: ﴿قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾.

﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحُليِّ في الحفرة.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ قد رأى جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ[1] فرسه قبضةً من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مَواتٍ صار حيوانًا، فألقاها على العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجول.

فالمعنى: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامريُّ قبضةَ التراب.

﴿جَسَدٗا﴾ أي: جسمًا بلا روح، والخُوَار: صوت البقر.

﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضُهم لبعض.

---

(١) في هـ: «وطء».

﴿فَنَسِيَ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل: موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى[1]: الذهول.

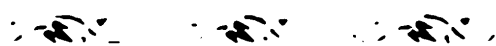
والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل: السامريُّ؛ أي: نسي دينَه وطريقَ الحق، والنسيان على هذا بمعنى: الترك.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يردُّ عليهم كلامًا إذا كلموه، وذلك ردٌّ عليهم في دعوى[2] الربوبية له.

وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾:

بالرفع، و«أنْ» مخففة من الثقيلة.

وبالنصب، وهي مصدرية.



---

(١) في أ، ب، هـ: «المعنى».

(٢) في ب: «دعواهم».

[﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا
مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى
وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ
لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾].

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة للتأكيد، والمعنى:

ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور؟.

أو تتبعني في الغضب لله، وشدَّة الزجر لمن عبد العجل، وقتالِهم بمن لم يعبده؟.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذُكر في «الأعراف»(١).

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ كان موسى قد أخذ بشَعر هارون ولحيته من

(١) انظر (٢/ ٣٩٠).

شدَّة غضبه، لمَّا وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لو قاتلت[١] مَن عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلتَ: فرَّقتَ جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في الزجر والقتال.

أو: لو اتَّبعتك في المشي إلى الطور لاتَّبعني بعضهم دون بعض، فتفرَّقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في المشي إلى الطور.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله[٢]: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ أي: قال موسى ما شأنك؟، ولفظ الخَطْب يقتضي انتهارًا؛ لأنه مستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريلَ عليه السلام وفرسَه.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من ترابٍ من أثرِ فرسِ الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول».

وإنما سمَّى جبريلَ بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى.

والقبضة: مصدر قبَض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ«ضرْب الأمير».

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد

---

(١) في أ، ب، هـ: «قتلت».

(٢) في د، هـ زيادة «له».

المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحليّ، فصار عِجلًا، أو على العجل فصار له خوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى ﷺ السامريَّ؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسَّة ولا إذاية.

وروي أنه كان إذا مسَّه أحدٌ أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يَبعُد عن الناس وصار الناس يَبعُدون عنه.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديدٌ ووعيد.

﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظَلِلْت، حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدُّؤوب على الشيء[1] ليلًا ونهارًا.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ من الإحراق بالنار.

وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى: نَبرُده بالمِبْرَدِ.

وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى؛ لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابتُه وإفساد صورته، فيصحُّ حمل قراءة الجماعة على ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نُلقيه في البحر، والنسف: تفريق الغبار ونحوِه.

---

(١) في ب، ج: «المشي».

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ من كلام موسى لبني إسرائيل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبةٌ من الله تعالى لمحمد، و﴿أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أخبار المتقدِّمين.

﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني: إعراض تكذيبٍ به.

﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة: الثِّقَل، ويعني هنا:

العذابَ؛ لقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾.

أو الذنوب؛ لأنها سبب العذاب.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحِمْل؛ لثِقَله.

قال الزمخشري: «ساءَ» تجري مجرى «بئس»، ففاعلها مضمر يفسِّره: ﴿حِمْلًا﴾(١).

وقال غيره: فاعلها مضمر يعود على الوزر.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أي: يَنفخ الملَك في القرن.

وقرئ: ﴿نَنفُخُ﴾ بالنون؛ أي: بأمرنا.

﴿زُرْقًا﴾ قيل: زرق الألوان كالسواد.

وقيل: زرق العيون من العمى.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٣٩).

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ أي: يقول بعضهم لبعض في السرِّ: إن لبثتم في الدنيا إلَّا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدَّة الدنيا.

وقيل: يعنون لبثهم[١] في القبور.

﴿يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر - بالإضافة إليهم -: إن لبثتم إلَّا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدَّة أشدَّ[٢] مما استقلَّها غيرُه.



(١) في أ، ب: «لبثتم».

(٢) في هـ: «أكثر».

[﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ
لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن
قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾].

﴿يَنسِفُهَا رَبِّى﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرّقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾ الضمير في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ للجبال، والمراد: مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة: أن العِوَج بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغةً في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدقّ من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غايةً في نفي العِوَج من كل وجه.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ الأَمْتُ: هو الارتفاع اليسير.

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ يعني: الذي يدعو الخلق إلى الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يَعْوَجُ أحدٌ عن اتباعِه والمشيِ نحوَ صوته.

أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حقٌّ.

﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفيُّ.

﴿لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يَحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ ﴿تَنفَعُ﴾، وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلَّا من أذن له الرحمن في أن يُشفَع له.

أو أن يكون الاستثناء منقطعًا، و﴿مَنْ﴾ واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يَشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ إن أريد بـ ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ المشفوع فيه، فاللام في ﴿لَهُۥ﴾ بمعنى: لأجله؛ أي: رضي قولَ الشافع لأجل المشفوع فيه.

وإن أريد الشافع فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق[1]، والمعنى ذُكر في آية الكرسيِّ[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى: لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والصحيح عندي: أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يَعرف الله على الحقيقة إلَّا الله، ولو أراد المعنى الأوَّل لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هناك، ولم يستثنِ هنا.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي: ذلَّت يوم القيامة.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الضمير للخلق».
(٢) انظر (١/ ٤٧٦).

﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكُّرًا.

وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآنَ[1] فاستمع إليه، واصبر حتى يَفرغ، وحينئذ تَقرؤه أنت، فالآية كقوله: ﴿تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتْبه في الحين، فأُمر أن يتأنَّى حتى تفسَّر له المعاني.

والأول أشهر.

(١) لم ترد في أ، ب، هـ.

[﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟
فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا
مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا
فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾].

﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسِىَ﴾ يَحتمل:

أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذُّكْر، فيكون ذلك عذرًا لآدم.

أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسيَ لا عقاب عليه[(١)].

وقد تقدَّم الكلام على قصة آدم وإبليس في «البقرة»[(٢)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٣٧).

(٢) انظر (١/ ٣٠٠).

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبَّب موضع السبب.

وخصَّ آدم بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ لأنه كان المخاطَب أولًا والمقصود بالكلام.

وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصٌّ بالرجال.

﴿لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ الظمأ: هو العطش، والضُّحِيُّ[1]: هو البروز للشمس.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في «الأعراف»[2]، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «البقرة»[3].

﴿ٱهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضيِّقةً؛ فقيل: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدَّة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرِض أحد عن ذكر الله إلَّا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه.

---

(١) في أ، ب: «والضحاء».
(٢) انظر (٢/ ٣٣٥).
(٣) انظر (١/ ٣٠١).

وقيل: ذلك في البرزخ.

وقيل: في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ يعني: أعمى البصر.

﴿فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك، لا من الذهول.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي: عذاب جهنم أشدُّ وأبقى من المعيشة الضنك، ومن الحشر أعمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: ألم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ ﴿يَهْدِ﴾ مقدَّر، تقديره: ألم يهد لهم الهُدَى، أو الأمر.

وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده[١].

وقيل: الفاعل ضمير الله ﷻ، ويدل عليه قراءة: «أفلم نهد» بالنون.

وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ يريد: أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: ذوي العقول.

* * *

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٦٩).

[﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا: القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزامًا؛ أي: واقعًا بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزامًا، وإنما أخَّره لتعتدل رؤوس الآي.

والمراد بالأجل المسمى: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري(١).

وقيل: المراد به: أجل الموت.

وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح: الصلاةَ.

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود ﷺ أنه فسر ﴿لِزَامًا﴾ بيوم بدر، وليس الأجل المسمى!.

أو قولَ: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: وأنت حامد لربك على أن وفَّقك للتسبيح.

ويَحتمل أن يكون المعنى: سبِّح تسبيحًا مقرونًا بحمد ربك، فيكون أمرًا بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: **«وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»**[(١)].

﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارةٌ إلى الصلوات الخمس عند من قال: إن معنى ﴿وَسَبِّحْ﴾: الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس: الصبح، والتي قبل غروبها: الظهر والعصر، ومن آناء الليل: العشاء الآخرة[(٢)]، وأطراف النهار: المغرب والصبح.

وكرَّر الصبح في ذلك؛ تأكيدًا للأمر بها.

وسمَّى الطرفين أطرافًا لأحد وجهين:

إما على نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف.

وآناءُ الليل: ساعاته، واحدها: أَنْيٌ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «الحجر»[(٣)]، ومدُّ العينين: هو تطويل النظر،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».
(٣) انظر (٢/ ٧٢٩).

ففي ذلك دليل[١] أن النظر غير الطويل معفوٌّ عنه.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزهر وهو[٢] النُّوَّار؛ لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل.

وفي نصب ﴿زَهْرَةَ﴾ خمسة أوجه:

[١-] أن ينتصب بفعل مضمر على الذم.

[٢-] أو يضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنى: أعطينا، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولًا ثانيًا له.

[٣-] أو يكون بدلًا من موضع الجار والمجرور.

[٤-] أو يكون بدلًا من ﴿أَزْوَٰجًا﴾، على تقدير: ذوي زهرة.

[٥-] أو ينتصب على الحال.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾ أي: نختبرهم.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرَّغْ أنت وأهلك للصلاة؛ فنحن[٣] نرزقك.

وكان بعض السلف إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ قال: «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله»، ويتلو هذه الآية[٤].

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ البينة هنا: البرهان، والصحف

---

(١) في ب، د زيادة «على».

(٢) في أ، ب: «وهي».

(٣) في أ، هـ: «نحن».

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٦/ ٢٦٧) عن بكر بن عبد الله المزني.

الأولى: هي التوراة والإنجيل وغيرهما[1] من كتب الله.

والضمير في ﴿وَقَالُوا۟﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش، لما اقترحوا على وجه العناد والتعنيت أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهانٌ ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأيِّ شيء تطلبون آية أخرى؟.

ويَحتمل أن يكون المعنى: قد جاءكم القرآن، وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى، فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية؛ معناها: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و«لولا» هنا: عَرْضٌ، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: قل كل واحد منا ومنكم منتظرٌ لما يكون من هذا الأمر.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ تهديدٌ.

﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ المستقيم.



(١) في أ، ب، هـ: «وغيرها».

﴿ سورة الأنبياء عليهم السلام ﴾

[﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي
يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا
كَانُوا خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩
لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾].

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس: لفظٌ(١) عام.

وقال ابن عباس: المراد به هنا: المشركون من قريش؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم.

وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثرُ مما بقي لها، ولأن كل آتٍ قريب.

---

(١) في أ، هـ: «لفظه».

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ يعني بالذكر: القرآن، و﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: محدث النزول[١].

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في ﴿أَسَرُّوا﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من الضمير.

وقيل: إن الفاعل هو ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن.

ويَحتمل أن يكون ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

منصوبًا بفعل مضمر على الذمّ.

أو خبرَ ابتداء مضمر.

والأول أحسن.

﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلًا من ﴿النَّجْوَى﴾؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: «قوله: (يعني بالذكر: القرآن، و(محدث) أي: محدث النزول» لا إشكال فيه؛ فالذكر من أسماء القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، وقوله: «أي: محدث النزول» موافق لما نقله ابن جرير عن أهل التأويل، فإنه قال: «ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس»، وأسنده إلى قتادة، وهذا موافق لبعض أجوبة الإمام أحمد رحمه الله حين احتجت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق. والله أعلم.

وينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٥، ٤٠٠) ط. دار هجر.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ إخبارٌ بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسرُّوه.

فإن قيل: هلَّا قال: «يعلم السر»؛ مناسَبةً لقوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾؟

فالجواب: أن القول يشمل السرَّ والجهر؛ فحصل به ذكر السرِّ وزيادة.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ أي: أخلاط منامات، وحَكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم.

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدِّمون بالآيات فليأتنا محمد بآية، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات.

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ لما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلَكوا، ثم قال: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَن قبلهم.

ويَحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية هلَكت لم تؤمن، فهؤلاء كذلك، ولا يكون -على هذا- جوابًا لقولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾، بل يكون إخبارًا مستأنفًا على وجه التهديد.

و﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ في موضع الصفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، والمراد: أهل القرية.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ والمعنى: أن الرسل المتقدمين رجالٌ من البشر؛ فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولًا؟!.

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار أهل الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجسادًا غيرَ طاعمين، ووحَّد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدًا﴾.

وفي الآية ردٌّ على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم.

وقيل: تذكيركم.



[﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ
أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ
حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ
وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾].

﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله مِن: قَصْمِ الظهر أي: كسْرُه.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية.

قال ابن عباس: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم نبيًّا فقتلوه، فسلَّط الله عليهم بُختَ نَصَّر[1] ملكَ بابل، فأهلكهم الله بالقتل.

---

(١) انظر (١/ ٤٨٠).

وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارةٌ عن فرارهم، فيَحتمل:

أن يكونوا ركبوا الدواب، وركضوها؛ لتسرع الجري.

أو شُبِّهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يَركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾، والقائل لذلك: هم الملائكة، قالوه تهكُّمًا بهم.

أو رجال بختِ نصَّر إن كانت القرية المعيَّنة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوهم.

﴿مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾ أي: نُعِّمتم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ تهكُّمٌ بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم[١] ومساكنكم؛ لعلكم تسألون عما جرى عليكم.

ويَحتمل أن يكون ﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ بمعنى: يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضًا تهكُّمٌ.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ﴾ الآيةَ؛ اعترافٌ وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ شُبِّهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى ﴿خَٰمِدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيهٌ بخمود النار.

﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب،

---

(١) في أ، ب، هـ: «نِعَمكم».

بل للاعتبار بها، والاستدلالِ على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ اللهو في لغة اليمَن: الولد، وقيل: المرأة، و﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من[1] الملائكة، فالمعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردٌّ على من قال: المسيح ابن الله وعزيز ابن الله.

والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾.

وقال الزمخشري: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة[2].

وفي كلا القولين نظرٌ.

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿إِن﴾:

شرطيةً، وجوابها فيما قبلها.

أو نافيةً.

والأول أظهر.

﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الحق: عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل: عام في أضداد ذلك.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يَقمعه ويُبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

---

(١) لم ترد في ب، ج.

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٠٦).

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يَعْيَوْن[١]، ولا يَملُّون.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ «أم» هنا: للإضرابِ عما قبلها، والاستفهامِ على وجه الإنكار لما بعدها.

و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق بـ ﴿يُنشِرُونَ﴾.

والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن يُنشروا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمَآ﴾ للسموات والأرض، و﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صفة لـ ﴿ءَالِهَةٌ﴾، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «غير».

فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحدًا.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلَّ على ذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وأما الأوَّل فكانت الآية تدلُّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة.

وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليلُ التَّمانعِ الذي أورده

---

(١) في ب: «لا يلعبون».

الأصوليون، وذلك أنَّا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضَه، فإما أن تَنفُذَ إرادة كل واحد منهما، وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحدٍ منهما، وذلك أيضًا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معًا، ولأن ذلك يؤدِّي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد.

وهذا الدليل إن سلَّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألَا ترى أنه لا يوجد ملِكان اثنان بمدينة[1] واحدة، ولا واليان[2] لخِطَّةٍ[3] واحدة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلُّها جاريةٌ على الحكمة.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لفَقْد العلتين.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرَّر هذا الإنكار؛ استعظامًا للشرك، ومبالغةً في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به

(١) في ج: «المدينة».
(٢) في أ، ج، د: «وليان».
(٣) في ب: «بخطة».

ما ذكر بعده من تعجيز[1] المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم. وقد تكلمنا على ﴿هَاتُوا۟﴾ في «البقرة»[2].

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ ردٌّ على المشركين، والمعنى[3]: هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المشركين، والمعنى: أن كل رسول إنما أتى بـ «لا إله إلا الله».

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذي قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوَّة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرَّ الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو؛ تأدُّبًا معه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضى أن يُشفَع له.

ويَحتمل أن تكون هذه الشفاعة:

في الآخرة.

---

(١) في أ، هـ: «تعجيزهم»!.

(٢) انظر (١/ ٣٤٩).

(٣) في ج زيادة: «أنّ».

أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض.

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصود[1] الآية الردُّ على المشركين.

وقيل: إن الذي قال: «إني إله»: هو إبليس لعنه الله.



(١) في ب: «مقصد».

[﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا
فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن
وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾].

﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الرَّتق: مصدرٌ وُصِف به، ومعناه: الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفَتْق: الفتح:

فقيل: كانت السماء مُلْصقةً[١] بالأرض ففتقهما[٢] الله بالهواء.

وقيل: كانت السماوات[٣] ملصقةً بعضها ببعض، والأرضون[٤] كذلك،

(١) في د، هـ: «ملتصقة».

(٢) في ب، ج: «ففتقها».

(٣) كذا في هامش د، وهامش هـ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «السماء».

(٤) في ب، ج: «والأرض».

ففتقهما[١] الله سبعًا سبعًا.

والرؤية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ على هذا: رؤية قلب.

وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا: رؤية عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بالماء: المنيَّ.

وقيل: الماء الذي يُشرَب؛ لأنه سببٌ لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال.

﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهةَ أن تميد.

﴿فِجَاجًا﴾ يعني: الطرق الكبار.

وإعرابه عند الزمخشري: حال من السُّبُل؛ لأنه صفةٌ تقدَّمت على النكرة[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: في طريقهم وتصرفاتهم.

﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي: حُفِظ من السُّقوط، ومن الشياطين.

﴿عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني: الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

---

(١) في هـ: «ففتحهما».

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٣٩).

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبْح في الفلك، فالجملة:

في موضع حال من ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.

أو مستأنفةٌ[١].

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مطالعهما[٢] كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري[٣].

وقال الغَزْنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة.

وعبَّر عنها بضمير الجماعة[٤] العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبْح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟

فالجواب: أنه أراد: كل واحد يَسْبَح في فلكه[٥]، وذلك كقولك[٦]:

---

(١) في أ، ب: «مستأنف».
(٢) في ج: «مطالعها».
(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٤٢).
(٤) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.
(٥) في أ، هـ: «فلك».
(٦) في أ، ج: «كقوله».

«كساهم الأمير حُلَّةً»؛ أي: كسا كلَّ واحد منهم حلة.

ومعنى الفلك: جسم مستدير.

وقال بعض المفسرين: إنه من موج، وذلك بعيد.

والحقُّ: أنه لا تُعلم صفته وكيفيته إلَّا بإخبارٍ صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُون، أو يدورون، وهو مستعارٌ من السَّبْح بمعنى العوم في الماء.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ سببها: أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت.

وقيل: إنهم تمنَّوا موته؛ ليَشمَتوا به، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ وقُدِّمت[1]؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كلُّ نفسٍ مخلوقةٍ لا بدَّ لها أن تذوق الموت. والذَّوْق هنا استعارة.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى، والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر، والشكر على

(١) في ج: «وتقدمت».

الخير، أو خلافُ ذلك.

﴿فِتْنَةً﴾ مصدرٌ من معنى ﴿وَنَبْلُوكُم﴾.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلَّت على ذلك قرينة الحال؛ فإن الذكر قد يكون بذمٍّ أو مدح.

والجملة تفسير للهزء؛ أي: يقولون: أهذا الذي..

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال؛ أي: كيف ينكرون ذمَّك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحقُّ بالملامة.

وقيل: معنى ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: تسميته بهذا الاسم؛ لأنهم أنكروها.

والأول أغرق في ضلالهم.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: خلق شديدَ الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولك: خُلِق حاتم من جُودٍ.

والإنسان هنا: جنس.

وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذابَ الذي طلبوه، فذكر الله هذا توطئةً لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

وقيل: المراد هنا: آدم؛ لأنه لما وصل الروح إلى صدره أراد أن يقوم. وهذا ضعيف.

وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: من طين، وهذا أضعف.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ على ما[1] طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الضمير الفاعل: للنار،

وقيل: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ الآية؛ تسليةٌ بالتأسي.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط.



---

(١) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

[﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ
﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا
نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ
وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾].

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟، و«مَن» استفهامية.

والمعنى: تهديدٌ، وإقامةُ حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله.

وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلًا عن أن يخافوا بأسه[١].

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و﴿أَمْ﴾ هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥١).

أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾، فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره.

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبون منا بنصرٍ ولا حفظ.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا، فطغَوا بذلك ونسُوا عقاب الله.

والإضراب بـ«بل» عن معنى الكلام المتقدِّم؛ أي: لم يحملْهم على الكفر والاستهزاء نصرٌ ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متَّعناهم وآباءهم.

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ ذُكِر في «الرعد»[1].

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ﴾ إشارةٌ إلى الكفار، والصَّمَم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطْرةٌ، وفيها تقليل العذاب.

والمعنى: أنهم لو رأوا أقلَّ شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدْلَ، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع:

لأنه مصدرٌ وُصِف به، كعَدْلٍ ورضًا.

أو على تقدير: ذوات القسط.

---

(١) انظر (٢/ ٦٨٩).

ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَّتانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّة والثِّقَل متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله.

وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارةٌ عن العدل في الجزاء.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لحُكمه فهو على حذف مضاف[١].

وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لستٍّ خَلَوْنَ من الشهر[٢].

﴿مِثۡقَالُ حَبَّةٖ﴾ أي: وزنُها، والرفع على أنَّ «كان» تامة، والنصب على أنها ناقصة واسمها مضمر.

﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ هنا: التوراة.

وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَـٰذَا ذِكۡرٞ﴾ يعني: القرآنَ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٣).

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥٧).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾].

﴿رُشْدَهُۥ﴾ يعني: إرشادَه إلى توحيد الله، وكسر الأصنام، وغيرِ ذلك.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى وهارون.

وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: عَلِمنا[١] أنه يستحق ذلك.

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنامَ، وكانت على صور بني آدم.

﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هل[٢] هذا الذي تقول جِدٌّ أو[٣] مزاحٌ؟!.

وانظر كيف عبَّروا[٤] عن الحق بالفعل، وعن اللَّعِب بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم.

﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن، والضمير للسموات والأرض، والتماثيل[٥] وهذا[٦] أليق بالردِّ عليهم.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ يعني: خروجَهم إلى عيدهم.

﴿جُذَٰذًا﴾ أي: فُتاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذِّ بمعنى القطع.

---

(١) في أ: «علمناه».

(٢) لم ترد في أ، هـ.

(٣) في ج، د: «أم».

(٤) في ج، د: «عبر».

(٥) كذا في جميع النسخ الخطية!، ولعل صواب العبارة: «أو للتماثيل»؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله: «وهو أليق بالرد عليهم»؛ أي: كون الضمير للتماثيل أليق من كونه للسماوات والأرض، وهذا هو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٣٦٥) حيث قال: «الضمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم».

(٦) في ج، د: «وهو».

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ترَك الصنم الكبير لم يكسره، وعلّق القَدوم على يده[١].

﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء.

وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبيّن لهم الحق.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبلَه محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فـ ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾.

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذمّ، وبقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ منادى.

وقيل: خبر ابتداء مضمر.

وقال الأعلم[٢]: هو رفعٌ على الإهمال[٣].

والصحيح أنه مفعول لم يسمَّ فاعله بـ ﴿يُقَالُ﴾؛ لأن المراد الاسمُ

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!.

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشَّنْتَمري الأشبيلي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالما بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقِّب بالأعلم؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقًّا واسعا، وتوفي باشبيلية سنة (٤٧٦هـ). أنظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٦/ ٢٨٤٨).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأى وجوه الرَّفع كلها لا توضِّح المعنى الذي قصدوه؛ ذهب إلى رفعه بغير شيء، كما قد يَرفع التجرُّد والعُرُوُّ عن العوامل الابتداءَ» المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

لا المسمَّى. وهذا اختيار ابن عطية[١] والزمخشري[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما فعل، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتَهم وإقامةَ الحجة عليهم، كأنه يقول: إن كان إلهًا فهو قادر على أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض؛ لأنه كَذِبٌ.

فإن قيل: فقد جاء في الحديث: «إن إبراهيم كذب ثلاث كَذَبات، إحداها[٣] قوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾»[٤]؟

فالجواب: أن معنى ذلك: أنه قال قولًا ظاهره الكذب، وإن كان القصدُ به معنى آخر، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾؛ لأنه أراد به أيضًا تبكيتَهم وبيانَ ضلالهم.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة.

﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء.

أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وفي تعنيفه على أعين الناس.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).
(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٧٠).
(٣) في د: «أحدها».
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارةٌ لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟!، فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم.

ويَحتمل أن يكون ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنى رجوعهم عن[1] المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ اعترافٌ يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة.

ويَحتمل على هذا أن يكون ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقةً؛ أي: أطرقوا من الخجل لمَّا قامت عليهم الحجة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدَّم الكلام على ﴿أُفٍّ﴾ في «الإسراء»[2].

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه[3] بالظلم.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختُلف كيف برَدت النار؟

فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحرِّ والإحراق.

---

(١) في أ: «من».
(٢) انظر (٢/ ٨٠٢).
(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

وقيل: دَفع عن جسم إبراهيم حرَّها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها.

وقيل: خَلق بينه وبينها حائلًا.

ومعنى السلام هنا: السلامة، وقد روي أنه لو لم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لهلَك إبراهيم بالبرد[١].

وقد أضربْنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق.

وبركتُها: بخِصْبها، وكثرة الأنبياء فيها[٢].

﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل[٣]: العطاء.

وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكأنه تبرُّع.

وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأُعطي يعقوبَ؛ زيادةً على ما سأل.

واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَٰقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كلِّ قولٍ.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

---

(١) في هـ: «من البرد».

(٢) «فيها» زيادة من ج، د.

(٣) في ب، ج: «والتنفل».

﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسِّره ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾.

والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، أو[1] ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا.

وقيل: بفعل مضمر تقديره: اذكر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي: حكمًا بين الناس، أو حكمةً.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي سَدُوم[2] من أرض الشام.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: في الجنة، أو في أهل رحمتنا[3].

---

(١) في ، د: «و».

(٢) في ب: «سدام».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: كل من التفسيرين صحيح، وإن كان الأول هو الجاري على الظاهر، ويدل لصحة التفسيرين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقوله سبحانه عن سليمان ﷺ: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال الله في الحديث القدسي للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء». والله أعلم.

[﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ
لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ
لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ
أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ
وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ
أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾].

﴿نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط.

﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني: الغرق.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ تعدَّى ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ بـ ﴿مِنَ﴾:

لأنه مطاوع «انتصَر» المتعدِّي بـ «مِن».

أو تضمَّن[1] معنى: نجَّيناه، أو أجرناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ كان داود نبيًّا ملكًا، وكان ابنه سليمان حينئذٍ ابنَ[2] أحد عشر عامًا.

﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كَرْم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ رعَتْ فيه بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمَين.

وقيل: لداود وسليمان خاصةً؛ على أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تخاصم إلى داود رجلان، دخلت غنمُ أحدِهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضى داودُ بأن يأخذ صاحبُ[3] الزرع الغنمَ، ووجْه هذا الحكم: أن قيمة[4] الزرع[5] مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبيَّ الله لو حكمتَ بغير هذا كان[6] أرفق للجميع!، قال: وما هو؟ قال:

---

(١) في ج: «أو ضُمِّن»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «من»!.

(٣) في ب: «ربُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة: «كانت».

(٦) في ب، د: «لكان».

يأخذ صاحب الغنم الأرضَ؛ ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفعُ بألبانها وصوفها ونَسْلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنمُ إلى صاحبها، والأرضُ بزرعها إلى ربِّها، فقال له داود: وُفِّقتَ يا بنيَّ، وقضى بينهما بذلك، ووجْه حكمِ سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان.

ويَحتمل أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

واختَلف الناس: هل كان حكمهما باجتهادٍ أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود رجع عن حكمه لمَّا تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختُلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء.

وعلى القول بالجواز اختُلف: هل وقع أم لا؟.

وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ﴾ أنه كان باجتهادٍ، خصَّ الله سليمان فيه بفهم القضية.

ومن قال: كان بوحي: جعل حكم سليمان ناسخًا لحكم داود.

وأما حكم إفساد المواشي للزرع[1] في شرعنا:

فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون

---

(١) في ج: «الزرعَ».

النهار؛ للحديث الوارد في ذلك[١]، وعلى هذا يدلُّ حكم داود وسليمان؛ لأن النَّفْش لا يكون إلَّا بالليل.

وقال أبو حنيفة: لا يَضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جُبَارٌ»[٢].

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ **قيل**: يعني في هذه النازلة، وأنَّ داود لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلُّ هذا القول على أنَّ كل مجتهد مصيبٌ.

وقيل: بل يعني: حكمًا وعلمًا في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله».

وقيل: الصلاة معه إذا صلَّى.

وقدَّم الجبال على الطير؛ لأن تسبيحها أغرب؛ إذ هي جمادٌ.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا.

---

(١) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٣٤) وابن ماجه (٢٣٣٢): عن حرام بن محيصة عن أبيه أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠).

وقال ابن عطية: معناه: كان ذلك في حقه؛ لأجل أن داود استوجب ذلك منا[١].

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني: دروعَ[٢] الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية: اللَّبوس في اللغة: السلاح[٣].

وقال الزمخشري: اللَّبوس: اللِّباس[٤].

﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتَقِيَكم في القتال.

وقرئ بالياء والتاء والنون:

فالنون: لله تعالى.

والتاء: للصَّنعة.

والياء: لداود، أو للبوس.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاءٌ إلى الشكر.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، والعاصفة: هي الشديدة.

فإن قيل: كيف يقال ﴿عَاصِفَةً﴾ وقال في «ص»: ﴿رُخَآءً﴾ [ص: ٣٦] أي: ليِّنة؟

(١) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٨).
(٢) في أ، ب: «درع».
(٣) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٩).
(٤) الكشاف (١٠/ ٣٨٥)

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليِّنةً طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجَمعت الوصفين.

وقيل: كانت رُخاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراعُ في الرجوع.

وقيل: كانت تشتدُّ إذا رَفعت البساط، وتلين إذا حملته.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنَه وموضعَ[1] مُلكه، فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه[2] يدلُّ على الانتقال منها.

﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: يَدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقلَّ من الغَوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه.

وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك[3] الأولاد فصبر، ثم سلَّط البلاءَ على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشمِتوا

---

(١) في ج، د: «وأرض».

(٢) في أ، ب: «فإنه».

(٣) في ج: «هلك».

به، فحينئذٍ دعا إلى الله[١] تعالى.

على أن قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء ولكنه ذكَر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربَّه بغاية الرحمة؛ ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطُّف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ لما استجاب الله له أنبع[٢] له عينًا من ماء، فشرب منه واغتسل، فبرئ من المرض والبلاء.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ روي أنَّ الله أحيا أولاده الموتى[٣]، ورزقه مثلهم معهم في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

وقيل: وَلَدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى، ومثلهم معهم.

وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: رحمةً لأيوب، وذكرى لغيره من العابدين؛ ليصبروا كما صبر.

ويَحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معًا للعابدِين.

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: نبيٌّ بُعِث إلى رجل

---

(١) في د: «دعا الله».
(٢) في هـ: «فتح»
(٣) هذه الكلمة زيادة من ج، د.

واحد[١]، وقيل: رجل صالح غير نبي.

وسُمِّي ذا الكفل أي: ذا الحظِّ من الله.

وقيل: لأنه تكفَّل لليسَع بالقيام بالأمر[٢] مِن بعده.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، نُسِب إليه؛ لأنه الْتقمه.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي: مغاضبًا لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجَرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

ولا يصحُ قول من قال: مغاضبًا لربه.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيِّق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦].

وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظنَّ أن لن نقدِّر عليه بعقوبة.

ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوفٌ؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرُمِي في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت.

---

(١) في ب: «وحده».

(٢) في ب، هـ: «بأمره».

ويَحتمل أنْ عبَّر بالظلمات عن بطن الحوت؛ لشدَّة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة، أو مصدرية على تقدير: نادى بأن.

والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلى البرِّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يَحتمل:

أن يكون مطلقًا.

أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك[1] قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلَّا استجيب له»[2].

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثًا فأنت خير الوارثين، فهو استسلامٌ لله.

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ يعني: وَلَدت بعد أن كانت عقيمًا، واسم زوجته: أشياع، قاله السهيلي[3].

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

---

(١) في أ، هـ: «وكذلك».
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٣)، والترمذي (٣٥٠٥)، النسائي في الكبرى (٩/ ٢٤٣)
(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرَّغب: الرجاء، والرَّهَب: الخوف.

وقيل: الرغب: أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها[(١)].

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفته عن[(٢)] الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لمَّا نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره.

والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يثنَّ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملَّتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعِث الأنبياء المذكورون بما أُمرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا أَمْرَهُم﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارةٌ مِن جَعْل الشيء قِطَعًا.

والضمير للمخاطَبين قبلُ، فالأصل: تقطَّعتم.

---

(١) في ج، د: «ظهورهما».

(٢) في أ، ب، هـ: «من».

[﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ
فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ
لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ
أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ
بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ
عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ
إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ
وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ
مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ
وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾].

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ قرئ ﴿حِرْمٌ﴾ بكسر الحاء، وهو بمعنى حرام.

واختُلف في معنى الآية:

فقيل: حرام بمعنى: ممتنع:

(أي: ممتنعٌ)[1] على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة.

أو ممتنعٌ على قرية)[2] قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا.

و﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين.

وقيل: حرام بمعنى: حتمٌ واقع لا محالة، ويُتصوَّر فيه الوجهان، وتكون ﴿لَا﴾ نافيةً فيهما:

أي: حتمٌ عدمُ رجوعهم إلى الله بالتوبة.

أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا.

وقيل: المعنى: ممتنعٌ على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و﴿لَا﴾ على هذا نافيةٌ أيضًا، ففيه ردٌّ على من أنكر البعث.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا:

حرف ابتداء.

أو غايةٌ متعلِّقة بـ ﴿يَرۡجِعُونَ﴾.

وجواب ﴿إِذَا﴾: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾.

وقيل: الجواب: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾؛ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

و﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِح سدُّها، فحذف المضاف.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الحدَب: المرتفع من الأرض، و﴿يَنسِلُونَ﴾: أي يسرعون.

والضمير ليأجوج ومأجوج؛ أي: يَخرجون من[1] كل طريق؛ لكثرتهم.

وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني: [2] القيامة.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ «إذا» هنا للمفاجأة، والضمير:

عند سيبويه: ضمير القِصَّة.

وعند الفراء: للأبصار.

و﴿شَاخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطابٌ للمشركين.

والحصَب: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «حطب جنهم».

والمراد بـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرَق في النار؛ توبيخًا لمن عبدها.

---

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

﴿وَٰرِدُونَ﴾ الورود هنا: دخول[١].

﴿زَفِيرٌ﴾ ذُكر في «هود»[٢].

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يُجعلون في توابيت من نار، فلا يسمعون شيئًا.

وقيل: يُصِمُّهم الله كما يُعميهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل، و﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: السعادة.

ونزلت الآية لما اعترض ابن الزِّبَعْرى على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسى وعزيرَ والملائكةَ قد عُبدوا.

فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل مَن سبقت له السعادة.

﴿حَسِيسَهَا﴾ أي: صوتها.

﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة.

وقيل: ذَبح الموت.

وقيل: النفخة الأولى في الصور؛ لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَٰبِ﴾ السِّجِلُّ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛

---

(١) في هـ: «الدخول».

(٢) انظر (٢/ ٦١١).

أي: كما يُطوَى السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف.

وقيل: هو ملَك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي: كما قَدَرْنا على البَدْأة نَقدِر على الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

وقيل: المعنى: نعيدهم على الصورة التي بدأناهم[1] كما جاء في الحديث: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا**»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[2].

والكاف متعلِّقة بقوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾.

﴿فَٰعِلِينَ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذِّكر هنا على هذا: التوراة التي أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في

---

(١) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩).

الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهرُ وأكثر استعمالًا ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النصَّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها(١) الصالحون.

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها.

وقيل: الأرض المقدسة.

وقيل: أرض الجنة.

والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمَّة محمد ﷺ، ففي الآية ثناءٌ عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر(٢) مصداقُه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ، وفيه تشريف عظيم.

وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة.

---

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «وإخبار بظهور غيب»!.

ويَحتمل:

أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين.

أو يكون مفعولًا من أجله.

والمعنى على كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

فإن قيل: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عمومٌ، والكفار لم يُرحموا به؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرَّضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رُحِموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدِّمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك.

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواءٍ في الإعلام، وتبليغٍ إلى جميعكم لم يختصَّ به واحد دون[1] آخر.

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافيةٌ، و﴿أَدْرِىٓ﴾ فعل عُلِّق عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب، وما بعده

---

(١) في أ، ب زيادة: «واحد».

في موضع المعمول من طريق المعنى؛ فيجب وصْلُه معه، والهمزة في قوله: ﴿أَقَرِيبٌ﴾ للتسوية، لا لمجرَّد الاستفهام.

وقيل: يوقف على ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ﴾ في الموضعين، ويبتدأ بما بعده، وهذا خطأ؛ لأنه يَطلب ما بعده.

﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت، أو القيامة.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.



﴿ سورة الحج ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ
فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ
لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا
يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ٧ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ١٠﴾].

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ تكلّمنا على التقوى في أول «البقرة»[1].

---

(١) انظر (١/ ٢٦٥).

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: شدَّتها وهَوْلها[١]، كقوله: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حينئذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

والجملة تعليلٌ للأمر بالتقوى.

واختُلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك:

في الدنيا بين يدي القيامة؟

أو بعد أن تقوم القيامة؟.

والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾.

والضمير للزلزلة.

وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلَّا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذهول: هو الذهاب عن الشيء مع دهشة.

﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمةً ثديها للصبي، والمرضع: التي شأنها أن تُرضِع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الذهول؛ إذ تنزع ثديها من فمِ الصبي حينئذ.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ تشبيهٌ بالسُّكارى؛ لشدَّة الغمِّ.

﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ نفيٌ لحقيقة السُّكر.

وقرئ ﴿ سَكْرَىٰ ﴾، والمعنى متَّفق[1].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل.

وهي تتناول كلَّ مَن اتصف بذلك.

﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديدِ الإغواء، ويَحتمل أن يريد: شيطان الجن، أو الإنس.

﴿كُتِبَ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر، كأنه مكتوب.

ويَحتمل أن يكون بمعنى: قُضي، كقوله: كتَب الله.

﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسَمَّ فاعله، و﴿فَأَنَّهُۥ﴾ عطفٌ عليه، وقيل: تأكيد.

﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: تبعه، أو اتخذه وليًّا.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، وفي ﴿أَنَّهُۥ﴾ في الموضعين، وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾: للشيطان.

وفي ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: للمتولِّي له.

ويَحتمل أن تكون تلك الضمائر أوَّلًا لـ ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾.

---

(١) في ج زيادة «عليه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن شككتم في البعث الأُخراوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خِلْقتكم؛ فتعلموا أن الذي قدَر على خِلْقتكم أول مرة، قادرٌ على أن يعيدكم ثانيَ مرة، وأن الذي قدَر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر على أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ إشارةٌ إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِن عَلَقَةٖ﴾ العلقة: قطعةٌ من دمٍ جامدةٌ.

﴿مِن مُّضۡغَةٖ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة: غير التامة، كالسِّقْط.

وقيل: المخلَّقة: المسوَّاة السالمة من النقصان.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ اللام تتعلَّق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبيِّن لكم قدرتنا على البعث.

﴿وَنُقِرُّ﴾ فعلٌ مستأنَف.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يعني: وقتَ وضع الحمل، وهو مختلِفٌ، أقلُّه ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.

﴿نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ أفرده: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كل واحد منكم طفلًا.

﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ هو كمال القوَّة والعقل والتمييز، وقد اختُلف فيه من ثمان عشرة سنة إلى خمس وأربعين.

﴿أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ ذُكر في «النحل»[(١)].

﴿هَامِدَةٗ﴾ يعني: لا نبات فيها.

﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحرَّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لمَّا دخلها الماء.

﴿وَرَبَتۡ﴾ انتفخت.

﴿زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ أي: صنف عجيب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، مِن أمر الإنسان والنبات، حاصلٌ بأن[(٢)] الله هو الحق. هكذا قدَّره الزمخشري[(٣)]، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسَّرها ابن عطية[(٤)].

ويلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ معطوفًا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذُكِر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبطٌ بعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة[(٥)].

---

(١) انظر (٢/ ٧٦٢).

(٢) في هـ: «لأن».

(٣) الكشاف (١٠/ ٤٤٥).

(٤) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

(٥) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

وهذان الجوابان اللذان ذكَر ابن عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط بعضه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح.

وأما قوله: «على تقدير: الأمر: أن الساعة»؛ فذلك استئنافٌ، وقطعٌ للكلام الأول، ولا شكَّ أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعًا مما قبله؟!.

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خِلْقة الإنسان والنبات شاهدٌ[1] بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي[2] الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخِلْقة الإنسان والنبات.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شَرِيق.

﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ كنايةٌ عن المتكبِّر المعرض.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسره ثم قلته، وكذلك قتل أبي جهل.

---

(١) في د: «تشهد».

(٢) في ج: «محيي».

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له: ذلك بما فعلتَ، وبعدل الله؛ لأنه لا يظلم العباد.



[﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ۞هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾].

﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتّفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دينٌ حسَن، وإن اتّفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدّ عن الإسلام.

فالحرف هنا: كنايةٌ عن المقصِد، وأصله:

من الانحراف عن الشيء.

أو من الحرف بمعنى الطرَف؛ أي: أنه في طرفٍ من الدين لا في وسَطه.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا: بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة: بارتداده، وسوء اعتقاده.

﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ﴾ يعني: الأصنامَ، و﴿يَدْعُوا﴾ بمعنى: يعبد (في الموضعين)[1].

﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ فيها إشكالان:

الأول: في المعنى، وهو كونه وصَف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأنَّ ضَرَّها أكثر من نفعها، فنفى الضرَّ ثم أثبته!.

والجواب: أن الضر المنفي أوَّلًا يراد به ما يكون مِنْ فِعْلها، وهي لا تفعل شيئًا، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام على «مَن»، وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول!.

وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدَّمة على موضعها، كأنَّ الأصل أن يقال: يدعو مَن لضرُّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدإ.

وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُوا﴾ هنا كُرِّر تأكيدًا لـ ﴿يَدْعُوا﴾ الأول، وتمَّ الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾، فـ«من» مبتدأ، وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

---

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

وثالثها: أن معنى ﴿يَدْعُواْ﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مضرَّة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدإ في أول الكلام.

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هنا: بمعنى الوليّ.

﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ الصاحب؛ فهو من العِشْرة[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع مَن عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ السبب هنا: الحبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعلَّق[2] منها الحبال.

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالحبل، يقال: قَطَع الرجلُ: إذا اختَنق.

ويَحتمل أن يراد به: قَطْعُ الرِّجْل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرته، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر على غير ذلك.

وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظنُّ أن لن ينصر اللهُ محمدًا فليختنق بحبل؛ فإن الله

---

(١) في أ، ب، هـ: «العشيرة»!.

(٢) في ج، د، هـ: «يعلق».

ناصره ولا بدَّ؛ على غيظ الكفار.

فموجِب الاختناق: هو الغيظ من نصرة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائدٌ على ﴿مَن﴾، والمعنى على هذا: مَن ظنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمِّه أن لن ينصره الله فليختنق، وليمت بغيظه؛ فإنه لا يَقدِر على غير ذلك.

فموجب الاختناق على هذا: القنوط، والتسخُّط من القضاء، وسوءُ الظنِّ بالله حتى ييئس[١] مِن نصره، ولذلك فسَّر بعضهم ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾ بمعنى: أن لن يرزقه.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

أحدهما: أن هذا القول مناسبٌ لمن يعبد الله على حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنِط، حتى ظنَّ أن الله لا ينصره[٢]، فيكون هذا الكلام متصلًا بما قبله، ويدلُّ عليه[٣] قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخَّط من قضاء الله، ولا ينقلبَ إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ على هذا القول يعود على ما تقدَّم[٤]، وأما في القول الأول فلا يعود على مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم

(١) في ج: «ييأس».
(٢) في أ، ب: «أن لن ينصره».
(٣) في د: «على ذلك».
(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

يُذكَر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدلُّ سياق الكلام عليه دلالةً ظاهرة.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به: اختناقه، وسُمّيَ كيدًا؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ إذ هو غاية حيلته.

والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يُذهِب ذلك ما يَغيظه من الأمر؟، أي: ليس يُذهِبه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كلَّه آياتٍ بيِّناتٍ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: «أنَّ» في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله[1]، وهذا ضعيف؛ لأن فيه تكلُّفَ إضمار، وقطعًا للكلام عن المعنى الذي قبله.

وقال الزمخشري: التقدير: لأنَّ الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات[2]، فجعل «أنَّ» تعليلًا للإنزال، وهذا ضعيف؛ للفصل بينهما بالواو.

والصحيح عندي: أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ معطوفٌ على ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير: أنزلناه آياتٍ بينات وهدًى لمن أراد الله أن يهديَه.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ ذُكر في «البقرة»[3]، وكذلك ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٢٢٤).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٦).

(٣) انظر (١/ ٣٢٢)، والمادة (٣٧٦) في اللغات.

﴿وَٱلۡمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشرَّ من الظلمة.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآيةَ، وكُرِّرت ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد.

وفَصْلُ اللهِ بينَهم: بأن يبين لهم أنَّ الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

﴿يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ دخل في هذا: مَن في السموات مِن الملائكة، ومَن في الأرض مِن الملائكة والجنِّ، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكَرهم في آخر الآية، إلَّا أن يكون ذكَرهم في آخرها على وجه التجريد.

وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، ثم إن الانقياد يكون على وجهين:

أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعًا.

والآخر: الانقياد لما يُجرِي الله على المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبَوا.

﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ إنْ جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة؛ فيكون ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوفًا على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفًا يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويُوقَف على قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾، وهذا القول هو الصحيح.

وإنْ جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدبيره؛ فلا يصح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى.

فقيل[1]: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري على هذا المعنى: بأن أعربَ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ فاعلًا بفعل مضمر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعًا بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب[2]. وهذا تكلُّف بعيد.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدلُّ على ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس[3].

---

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٩).

(٣) في نسبة هذا القول إلى ابن عباس نظر!، فابن عباس يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار على العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٩١)، والمحرر الوجيز (٦/ ٢٢٨).

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والخَصْم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة.

والإشارة بـ ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفريقين.

﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ لجماعة الفريقين.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيةَ؛ حكَم بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللمؤمنين الجنةَ المذكورة بعد هذا.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصِّلت على قدر أجسادهم، وهو مستعارٌ من تفصيل الثياب.

﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحارُّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حرُّه إلى بطونهم، فأذاب ما فيها.

وقيل: معنى ﴿يُصْهَرُ﴾: يُنضَج.

﴿مَّقَٰمِعُ﴾ جمع مِقْمَعة؛ أي: مِقْرَعة مِن حديد يُضرَبون بها.

وقيل: هي السِّياط.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدلٌ من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُوا۟﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾].

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنۡ﴾ لبيان الجنس، أو التبعيض.

وفسَّرنا الأساور في «الكهف»[1].

﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ بالنصب:

مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعطَون لؤلؤًا.

أو معطوف على موضع ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾؛ إذ هو مفعول.

وبالخفض: معطوفٌ:

على ﴿أَسَاوِرَ﴾.

أو على ﴿ذَهَبٖ﴾.

﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ قيل: هو «لا إله إلا الله».

واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله.

ويَحتمل أن يريد: الصراطَ الحميدَ، وأضاف الصفة إلى الموصوف

---

(١) انظر صفحة ٢٦.

كقولك: مسجد الجامع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوفٌ، يدلُّ عليه قوله: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقيل: الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

وإنما قال: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بلفظ المضارع؛ ليدلَّ على الاستمرار على الفعل.

﴿سَوَآءً﴾ بالرفع: مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ «جعلنا».

وقرئ بالنصب؛ على أنه المفعول الثاني، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ فاعل به.

﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ العاكف: المقيم في البلد، والبادي: القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواءٌ في المسجد الحرام، لا يختصُّ به أحد دون أحد[1]، وذلك إجماعٌ.

وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام: جميع مكة.

وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملَّكة.

﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ الإلحاد: الميل عن الصواب.

---

(١) في ج، هـ: «دون آخر».

والظلم هنا : عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر ؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها .

وقيل : هو استحلال الحرام[١] .

ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ محذوف ، تقديره : مَن يُرِد أحدًا ، أو مَن يرد شيئًا ، و﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ : حالان مترادفان .

وقيل : المفعول قوله : ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ على زيادة الباء .



(١) في ب ، ج : «الحرم» .

[﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ
اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ
الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ
الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ
الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن
تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إذ» مضمر، تقديره: اذكر.

و﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله: باءَ بمعنى رجَع، ثم ضوعف ليتعدَّى، واستعمل بمعنى: أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١].

إلَّا أن هذا المعنى يشكل هنا؛ لقوله: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فتعدَّى الفعل باللام وهو يتعدَّى بنفسه، حتى قيل: اللام زائدة، وقيل: معناه: هيَّأنا، وقيل: جعلنا.

و﴿الْبَيْتِ﴾ هنا: الكعبة، وروي أنه كان آدم يعبد الله فيه، ثم دَرَس بالطوفان، فدلَّ الله إبراهيمَ عليه السلام على مكانه، وأمره ببنيانه.

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ ﴿أَن﴾: مفسِّرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما

فُسِّرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك والأمرِ بالتطهير؛ لأن التبوئة إنما قُصِدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عامٌّ في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك.

﴿وَالْقَآئِمِينَ﴾ يعني: المصلين.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم.

وقيل: لمحمد ﷺ.

والأول هو الصحيح.

روي[1] أنه لما أُمِر بالأذان بالحج صَعِدَ على جبل أبي قُبيس، ونادى: أيها الناس!، إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحُجُّوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره: «لبيك اللهم لبيك»، فجرَت التلبية على ذلك.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجِلٍ؛ أي: ماشيًا على رجليه.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به: ما يُركَب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضُّمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلَّا بعد ضموره.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال؛ كأنه قال: رجالًا وركبانًا.

---

(١) في ب، د: «وروي».

واستدلَّ بعضهم بتقديم الرِّجال في الآية على أن المشي[١] إلى الحج أفضل من الركوب[٢].

واستدلَّ بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفةٌ لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد.

﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ التجارة.

وقيل: أعمال الحج وثوابه.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني: التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا[٣].

وقيل: يعني الذِّكرَ على الإطلاق.

وإنما قال: ﴿اسْمَ اللَّهِ﴾؛ لأن الذاكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك: يوم النحر وثانيه وثالثه خاصةً؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يُجِزْ ذبحَها بالليل؛ لقوله: ﴿فِي أَيَّامٍ﴾.

---

(١) في أ، ب: «الماشي».
(٢) في أ: «الراكب».
(٣) في أ: «والهدي».

وقيل: الأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، ويوم النحر، والثلاثة[١] بعده.

وقيل: عشر ذي الحجة خاصةً.

وأما الأيام المعدودات؛ فهي الثلاثة بعد يوم النحر.

فيوم النحر من المعلومات، لا من المعدودات.

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات.

ورابع النحر من المعدودات، لا من المعلومات.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ ندبٌ، أو إباحة.

ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا، ويتصدق بالأكثر.

﴿الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه البؤس.

وقيل: هو المتكفِّف.

وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التَّفَث في اللغة: الوسَخ، فالمعنى: ليقضوا إزالة تفثهم بقصِّ الأظفار، والاستحدادِ، وسائرِ خصال الفطرة، والتنظفِ بعد أن يَحِلُّوا من الحج.

وقيل: التفث: أعمال الحج.

---

(١) في أ: «والثالثة»، وفي ب: «وثالثة».

وقرئ بكسر اللام وإسكانها، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلْيُوفُوا﴾ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ المراد هنا: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب.

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

وقيل: العتيق: الكريم، كقولهم: فرس عتيق.

وقيل: أُعتق من الجبابرة؛ أي: مُنع منهم.

وقيل: العتيق: أي: لم يملكه أحد(١) قط.

﴿ذَلِكَ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوعٌ على تقدير: الأمر ذلك، كما يقدِّم الكاتبُ جملةً من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا».

وأجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي:

[١-] هذا.

[٢-] و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾(٢).

لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمر.

---

(١) في ج زيادة: «منهم».

(٢) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله») باعتبارها الموضع الثالث!، وهذا وهمٌ؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾.

والأحسن: وصْلُها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًا.

ومثلها:

[٣-] ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٦٠].

و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال».

و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص: ٥٥] في «ص».

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جمع حُرْمة، وهو ما لا يحلُّ هَتْكه من جميع الشريعة، فيَحتمل أن يكون هنا:

على العموم.

أو يكون خاصًا بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: التعظيم للحرمات خير.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرَّمه في غير هذا الموضع، كالميتة.

﴿ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ﴿مِّنَ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان.

والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرُّبًا إليها، كما كانت العرب تفعل.

﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الكذب.

وقيل: شهادة الزور.

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيةَ؛ تمثيلٌ للمشرك بمن أهلك نفسه أشدَّ الهلاك.

﴿سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد.

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمُها: بأن تُختار سِمانًا عِظامًا غالية الأثمان.

وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمُها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها.

وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمُها: القيام بها وإجلالها.

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعْلة التي يتضمَّنها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعَظِّمْ﴾.

وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات[١].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من قال: إن شعائر الله هي الهدايا: فالمنافع بها: شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى: نحرها.

ومن قال: إن شعائر الله مواضع الحج، فالمنافع: التجارة فيها، أو الأجر، والأجل المسمى: الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٤٨٣).

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا فمحِلُّها: موضع نحرها، وهو[1] منى ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي.

و﴿ثُمَّ﴾ على هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محِلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجُمل.

ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج، فمحِلها: مأخوذٌ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كلِّه الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يَحِلُّ المحرم من إحرامه.

ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾.



(١) في ج، هـ: «وهي».

[﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة.

والمنسك: اسم مكان؛ أي: موضعًا[1] لعبادتهم.

ويَحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى: عبادةً، والمراد بذلك: الذبائح؛ لقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقرُّبًا إلى الأصنام.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبنا بقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: هو الذي شرع المناسك لكم، ولمن تقدَّم قبلكم.

والثاني: أنه إشارةٌ إلى الذبائح؛ أي: إلهكم إله واحد؛ فلا تذبحوا تقرُّبًا لغيره.

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين.

---

(١) في أ، ب: «موضعها».

وقيل: المتواضعين.

وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وكذلك قوله بعد ذلك: و﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

واللفظ فيهما أعم من ذلك.

﴿وَجِلَتْ﴾ خافت.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنة، وهو ما أُشعِر من الإبل، واختُلف هل يقال للبقرة بدنة؟.

وانتصابه بفعل مضمر.

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و﴿مِّن﴾ للتبعيض، وبذلك استدَلَّ من قال: إن شعائر الله المذكورة أوَّلًا على العموم في أمور الدين.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الخير هنا: المنافع المذكورة قبلُ.

وقيل: الثواب.

والصواب: العموم في خير الدنيا والآخرة.

﴿صَوَآفَّ﴾ معناه: قائماتٍ قد صَففْن أيديَهن وأرجلهن.

وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحده صافَّة.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره: إذا سقط.

﴿ٱلْقَانِعَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قَنَع الرجل -بفتح النون-: إذا سأل.

وقيل: معناه: المتعفِّف عن السؤال، فهو -على هذا- من قولك: قنِع -بالكسر-: إذا رضي بالقليل.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتعِل، يقال: اعتررت القومَ[1]: إذا تعرَّضتَ لهم.

فالمعنى: أطعموا مَن سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله.

أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكليَّة، ومن تعرَّض للعطاء.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كلِّه سخَّرناها لكم.

وقال الزمخشري: التقدير: مثلَ التسخير الذي عَلِمْتم سخَّرناها لكم[2].

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنَّما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالُ﴾ مبالغةً وتأكيدًا[3]، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

---

(١) في ج، د: «بالقوم».
(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٠).
(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

وقيل: كان أهل الجاهلية يضرِّجون البيت بالدماء، فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه، ونزلت الآية.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كُرِّر[1] تأكيدًا.

﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ قيل: يعني قول الذابح: «بسم الله والله أكبر».

واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) في ج زيادة «هنا».

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ
يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم
بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ
وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ
مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ
مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ
فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن
يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرَّهم وأذاهم.

وحذف مفعول ﴿يُدَٰفِعُ﴾؛ ليكون أعظم وأعمّ.

وقرىء ﴿يُدَٰفِعُ﴾ بالألف، و﴿يَدْفَعُ﴾ بسكون الدال من غير ألف، وهما بمعنى واحد؛ أجريتْ «فاعَلَ» مُجرَى «فَعَل»، كقولك: عاقبتُ اللصَّ.

وقال الزمخشري: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة،

وفعل المغالِب أقوى[(١)].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الخوَّان: مبالغةٌ في خائن، والكفور: مبالغةٌ في كافر.

قال الزمخشري: هذه الآية علَّةٌ لما قبلها[(٢)].

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونَسخت الموادعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة.

وقرئ ﴿أُذِنَ﴾:

بضم الهمزة؛ على البناء لما لم يسَمَّ فاعله،

وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

والمعنى: أُذِن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ عليه.

وقرئ ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في مَعْرِض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البدل عند سيبويه[(١)].

وقال الزمخشري: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقٍّ﴾[(٢)].

﴿وَلَوۡلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآيةَ؛ تقويةٌ للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين.

وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة.

والأول أليق بسياق الآية.

وقرئ: ﴿دِفَاعُ﴾ بالألف: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفَع.

﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد؛ للمبالغة.

﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صَومَعة - بفتح الميم -، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمِّي بها في الإسلام موضع الأذان.

والبِيَع: جمع بِيعة - بكسر الباء -، وهي كنائس النصارى.

والصَّلوات: شنائغ[(٣)] اليهود.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٢٥٣).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٤).

(٣) جاء في تكلمة المعاجم العربية (٦/ ٣٦٥): «شُنُوغَة: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شَنائِغ»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجيَّاني المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، وتجمع شنوغة على شنائغ وشُنُوغات.

وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها: مواضع الصلوات.

والمساجد: للمسلمين.

فالمعنى: لولا دفاع الله؛ لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدِّمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة، فهدموا مواضع عبادتهم.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدَّم من المتعبَّدات.

وقيل: للمساجد خاصة.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَن ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمَّن الحضَّ على القتال.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: يعني أمة محمد ﷺ.

وقيل: الصحابة.

وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مُكِّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له، والوعيد لهم.

﴿نَكِيرِ﴾ مصدر بمعنى الإنكار.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العروش[1]: السُّقُف، فإن تعلَّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فالمعنى: أن العروش سقطت، ثم سقطت[2] الحيطان عليها، فهي فوقها.

---

(١) في أ، ب، هـ: «العرش».

(٢) في ب: «العرش سقط ثم سقط».

وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنى: أنها خاوية مع بقاء عروشها.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: لا يُستقى الماء منها؛ لهلاك أهلها.

ورُوي أن هذه البئر هي الرسُّ، وكانت بعدَنٍ لأمة من بقايا ثمود.

والأظهر أنه لم يُرِد التعيين؛ لقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾، وهذا اللفظ(١) يراد به التكثير.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أي: مبنيّ بالشِّيْدِ، وهو الجِصُّ.

وقيل: المشيَّد: المرفوع البنيان(٢).

﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ دليلٌ على أن العقل في القلب، خلافًا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تعمى الأبصار عمًى يُعتدُّ به، وإنما العمى الذي يعتدُّ به عمى القلوب.

أو إن(٣) هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم؛ ولكن عميت قلوبهم.

فالمعنى الأول: لقصد المبالغة.

والثاني: خاصٌّ بهؤلاء القوم.

﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ مبالغةٌ، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

---

(١) في ب، هـ: «لفظ».

(٢) في ج: «البناء».

(٣) في أ، ج: «وأن».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدًا؛ لأن المراد به مفهوم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى: إن يومًا من أيام الآخرة مقداره[1] ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»[2].

وقيل: المعنى: إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة؛ لطول العذاب؛ فإن أيام البؤس طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرةً.

وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين استعجلوا العذاب، إلَّا أن الأول أرجح؛ لأن الألف سنةٍ فيه حقيقة.

وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ذكر أوَّلًا القرى التي أهلكها بغير إملاء، وذَكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء.

والإملاء: هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد.

وعطف هذه الجملة بالواو على الجملة[3] المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولى: ﴿فَكَأَيِّن﴾؛ لأنه بدلٌ من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

---

(١) في ب: «مقدار».

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦٥٤)، والترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢).

(٣) في أ، د، هـ: «الجمل».

[﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ
ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى
ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ
يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾].

﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جدَّ[1] فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالبين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة.

وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعجِّزون الناس عن الإسلام؛ أي: يثبِّطونهم عنه.

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ النبيُّ أعم من الرسول، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولًا، فقدَّم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النبي؛

---

(١) في أ: «أكدَّ»، وفي ج: «أخذ».

لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على ﴿رَسُولٌ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبيًا غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرانقة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد.

واختُلف في كيفية إلقاء الشيطان:

فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلَّم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرَّب صوته من صوت النبيِّ ﷺ حتى التبس الأمر.

وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد.

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة.

والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

واختلف في معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ و﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في هذه الآية:

فقيل: تمنَّى بمعنى: تلا، والأمنيَّة: التلاوة؛ أي: إذا قرأ . . . .

الكتاب[١] ألقى الشيطان من عنده في تلاوته.

وقيل: هو من التمني؛ بمعنى: حب[٢] الشيء.

وهذا المعنى أشهر في اللفظة؛ أي: تمنَّى النبي ﷺ مقاربةَ قومه واستئلافهم، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنيَّة؛ ليُعجبَهم ذلك.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: يبطله، كقولك: نسخت الشمسُ الظلَّ.

﴿لِّيَجۡعَلَ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَيَنسَخُ﴾ و﴿يُحۡكِمُ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أهل الشك، ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ المكذِّبون.

وقيل: الذين في قلوبهم مرض: عامة الكفار، ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾: أشدُّهم كفرًا وعتوًّا، كأبي جهل.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ يعني بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المذكورين قبلُ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر؛ ليقضيَ عليهم بالظلم.

والشِّقاق: العداوة، ووصفه بـ﴿بَعِيدٖ﴾؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ قيل: يعني الصحابة.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكتب».

(٢) في د: «أحب».

وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء[١].

﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي: تخشع.

﴿فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعَقيم[٢]؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتَلون فيه.

وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدِّماته، ويقوّي ذلك قولُه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، ثم تقسيمُ[٣] الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشاف (١٠/ ٥١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

[﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾].

﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ روي أن قومًا قالوا: يا رسول الله قد عَلِمنا[1] ما أعطى الله مَن قُتِل مِن الخير، فما لمن مات معك؟، فنزلت الآية مُعْلِمةً أن الله يرزق من قتل ومن مات معًا، ولا يقتضي ذلك المساواةَ بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يحتمل أن يريد به:

الرزق في الجنة بعد يوم القيامة.

أو رزق الشهداء في البرزخ.

والأول أرجح؛ لأنه يعمُّ الشهداء والموتى.

﴿مُّدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان

---

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

كذا . . » إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر .

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سَمَّى الابتداء عقوبةً باسم الجزاء عليها تجوُّزًا، كما تُسمَّى العقوبةُ أيضًا باسم الذنب، ووعَد بالنصر لمن بُغِي عليه .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إن قيل : ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة(١)، فكأنه حضٌّ على العفو .

والثاني: أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقِب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ أي : ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل .

ومعنى الإيلاج هنا : أنه يُدخِل ظلمة هذا مكان ضوءِ هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا .

وقيل : الإيلاج هو ما يَنقص من أحدهما ويزيد في الآخر .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي : ذلك الوصف الذي وُصِف الله به هو بسبب أنه الحق .

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ تصبح هنا : بمعنى تصير .

---

(١) في هـ: «العقوبة».

وفَهِم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض مخضرَّة إلَّا بمكة، والبلاد الحارة.

وأما على معنى تصير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابًا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لنصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود.

وإنما قال ﴿ تُصْبِحُ ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾].

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: البهائمَ والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، على تقدير: عن أن تقع.

وقال الزمخشري: كراهةَ أن تقع؛ فهو مفعول من أجله(١).

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ يحتمل:

أن يريد يوم القيامة، فجعل(٢) طيَّ السماء كوقوعها.

أو يريد بإذنه لو شاء متى شاء.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبَّر عن ذلك بالحياة؛ لأن

---

(١) الكشاف (١٠/ ٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جَحُودٌ للنعم.

﴿مَنسَكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿نَاسِكُوهُ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه».

﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يَسع[1] النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي.

وقيل: المعنى: لا تنازعهم[2] فينازعوك، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه.

ويَحتمل أن يكون نهيًا لهم عن المنازعة على ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة ربك.

﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادعةً منسوخة بالقتال.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

(١) في ج، د: «لا يُسمع».

(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».

إلى معلومات الله(١).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة:

إلى كَتْب المعلومات في الكتاب.

أو إلى الحكم في الاختلاف.

والأول أظهر.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفى أوَّلًا البرهان النظري، ثم العلم الضروري.

وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معًا.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، فـ ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ مصدر، كالمُكرَم بمعنى الإكرام.

ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها(٢) وإعراضها.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «يعني: اللوح المحفوظ» صحيح، وكذلك قوله: «والإشارة بـ(ذلك) إلى معلومات الله» صحيح أيضا، ومعلومات الله المشار إليها هي ما تضمنه الاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فكل ما في السماء والأرض معلوم لله، ومكتوب في أم الكتاب اللوح المحفوظ، والآية دالة على مرتبتي الإيمان بالقدر، وهما مرتبتا العلم والكتابة، والله أعلم.

(٢) في أ: «لعبوسها».

﴿يَسْطُونَ﴾ من السَّطْوة، وهي سرعة البطش.

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يحتمل:

أن تكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره.

أو يكون ﴿النَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمر[1]، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟، فقيل: هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.



(١) زيادة من د.

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾].

﴿ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين.

﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ تنبيهٌ بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى.

والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تَقدِر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبَد من دون الله الذي خلق كل شيء؟!، ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه.

﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ بيانٌ أيضًا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئًا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه.

وقد قيل: إن المراد بما يَسلب الذباب منهم: الطِّيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب: الأصنام، وبالمطلوب: الذباب؛ لأن الأصنام تَطلب من الذباب ما[1] سلبته منها.

وقيل: الطالب: الكفار، والمطلوب: الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حق تعظيمه.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك[2]، خلافًا للمالكية.

﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدَّمها؛ لأنها أهم العبادات.

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم.

وقال ابن عطية: هي في الندب فيما[3] عدا الواجبات.

واللفظ أعم من ذلك كله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بما».

(٢) وهو حديث قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما» أخرجه أحمد (١٧٣٦٤)، وأبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)

(٣) في أ، ب، هـ: «مما».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد:

جهاد الكفار.

أو جهاد النفس والشيطان والهوى.

أو العموم في ذلك كله.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قيل: إنه منسوخ، كنسخ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] بقوله: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي ذلك نظر.

وإنما أضاف الجهاد إلى الله؛ ليبين بذلك فضله واختصاصَه بالله.

﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم.

﴿مِنۡ حَرَجٖ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج: الضيق.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ انتصب ﴿مِّلَّةَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: أعني بالدين ملةَ إبراهيم، أو: التزِموا ملةَ إبراهيم.

وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال: «كمِلَّةِ[1]».

وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدَّم، كأنه قال: وسَّع عليكم توسعةَ ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف[2].

فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبًا للمسلمين كلهم؟!

فالجواب: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أبًا لأمَّته؛ لأن أمة الرسول في

---

(١) في هـ زيادة «إبراهيم».

(٢) الكشاف (١٠/ ٥٣).

حكم أولاده؛ ولذلك قرىء: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وهو أبٌ لهم﴾ [الأحزاب: ٦].

وأيضًا؛ فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: في القرآن.

وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومعنى ﴿مِن قَبْلُ﴾ على هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتمُّ الكلام على هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ مستأنفًا؛ أي: وفي هذا بلاغٌ.

والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلُّفًا، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين».

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدَّم معنى هذه الشهادة في «البقرة»[1].

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لاقترانها مع الزكاة.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ معناه هنا: وليُّكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.

(١) انظر (١/ ٣٦٩).

﴿ سورة المؤمنين ﴾

[﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥
إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ الخشوع: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتذلُّل لعظمة المولى ﷻ، ثم يظهر أثرُ ذلك على الجوارح، بالسكون والإقبال على الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوعَ في فرائض الصلاة؛ لأنه جعَله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقَل منها»[١].

والصواب: أن الخشوع أمرٌ زائدٌ على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ١١٦): «لم أجده مرفوعًا.. ولابن المبارك في الزهد موقوفًا على عمار: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه».

﴿عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو هنا: الساقطُ من الكلام، كالسبِّ واللَّهوِ، والكلامُ بما لا يعني.

وعددُ أنواع المنهيِّ عنه من الكلام عشرون نوعًا[1].

ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه، والدخولِ فيه.

ويحتمل أن يريد: أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى.

﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدّون.

فإن قيل: لم قال ﴿فَٰعِلُونَ﴾ ولم يقل: «مؤدُّون»؟

فالجواب: أن الزكاة لها معنيان:

أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي؛ أي: أداء ما يجب على المال.

والآخر: المقدار المخرَج من المال، كقولك: هذا زكاة مالي.

والمراد هنا: الفعل؛ لقوله: ﴿فَٰعِلُونَ﴾.

---

(١) عدَّها ابن جزيٍّ وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦)، وهي إجمالًا: (١) الغيبة، (٢) والبهتان، (٣) والكذب، (٤) واليمين الغموس، (٥) وشهادة الزور، (٦) والنميمة، (٧) والاستهزاء، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه علىٰ الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون، (١٠) والسحر، (١١) والفحش من الكلام، (١٢) والشعر والغناء، (١٣) والمدح، (١٤) وكلام ذي الوجهين، (١٥) وتزكية الإنسان لنفسه، (١٦) وإفشاء السر، (١٧) والكذب في الوعد، (١٨) والجدال والخصام، (١٩) وذم الأشياء، (٢٠) والكلام فيما لا يعني.

ويصح المعنى الآخر على حذفٍ؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: لا يُلامُون على أزواجهم.

ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَٰفِظُونَ﴾ على أن يكون ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى «عن».

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يعني: النساء المملوكات.

قال الزمخشري: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتْ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء[1].

﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما سوى الزوجات والمملوكات.

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

أماناتِ الناس وعهدَهم،

أو أمانةَ الله وعهدَه:

في دينه.

أو العموم.

والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهدٍ، وبغير عهد متقدم.

﴿رَٰعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظةُ عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٥٥٠).

فإن قيل: كيف كرَّر ذكر الصلوات أوَّلًا وآخرًا؟

فالجواب: أنه ليس بتَكرار؛ لأنه قد[1] ذكر أوَّلًا الخشوعَ فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان.

وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم؛ دلالةً على ثبوت فعلهم لها.

﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ أي: المحصِّلون[2] للجنة، فالميراث استعارة.

وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة.

﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعناب.

وأعاد الضمير عليها مؤنَّثًا؛ على معنى الجنة.



---

(١) لم ترد في أ، هـ.

(٢) كذا في هامش أ، وفي بقية النسخ: «المخلصون»، والمثبت هو الأصوب، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ٢٨٠).

[﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا
ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا
كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا
وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ اختُلف هل يعني آدمَ؟، أو جنسَ بني آدم؟.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السُّلالة: هي ما يُسَلُّ من الشيء؛ أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أُخذت من الطين وخلق منها آدم.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنى: أنه خُلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ لا بدَّ أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود على غير مَن ذكر أوّلًا، ولكن يفسّره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابنَ آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنى خَلْقِه من سلالةٍ من طين: أي: خَلْقُ أصْلِه، وهو أبوه آدم.

ويَحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمُّ آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أوّلًا، ثم فصّله بعد ذلك إلى الخِلْقة المختصَّة بآدم، وهي من طين،

وإلى الخِلْقة المختصَّة بذريته، وهي النطفة.

فإن قيل: ما الفرق بين ﴿مِن﴾ و﴿مِّن﴾؟

فالجواب - على ما قال الزمخشري -: أن الأول للابتداء، والثاني للبيان، كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][1].

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رَحِم الأمِّ.

ومعنى ﴿مَّكِينٍ﴾: متمكِّن، وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقِرَّة، لا من صفة المحلِّ المستقَرِّ فيه، ولكنه كقولك: «طريق سائرٌ» أي: يسير الناس فيه.

وقد تقدَّم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول «الحج»[2].

﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه.

وقيل: خروجه إلى الدنيا.

وقيل: استواء الشباب.

وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ هو مشتقٌّ من البركة.

وقيل: معناه: تقدَّس.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٥٦).

(٢) انظر صفحة ١٧٨.

وفسَّر بعضهم ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ بالمقدِّرين؛ فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق.

ولا يجب أن يُنفَى عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، وإنما الذي يجب أن يُنفَى عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: الخلق في اللغة يأتي بمعنى الإيجاد بعد عدم، ويأتي بمعنى التقدير، ومنه قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبعـ ... ـضُ القوم يخلُق ثم لا يفري

وقد جاء المعنيان في القرآن فيما يضاف إلى الله، ولكن المعنى الأول هو الأكثر، وشواهده بتصاريف مادته لا تحصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾، ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، ومن الخَلق بمعنى التقدير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ فالخالق هو المقدر لما يريد إيجاده، والبارئ هو المخرج لما قدَّره إلى الوجود، ويحتمل المعنيين قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. ولم يأت في القرآن الخلقُ مضافا إلى غير الله إلا ما جاء في الخبر عن عيسى ﷺ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾، والأظهر أن الخلق هنا بمعنى التقدير، فهو ﷺ لا يوجد طيرا، وإنما يخلق ما هو كهيئة الطير، فينفُخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وبذا يعلم أنه لم يأت الخلق بمعنى الإيجاد في القرآن مضافا لغير الله مطلقا، ولا يكاد يستعمل في لسان المسلمين إضافةُ الخلق لغير الله، بل نفى ﷻ الخلق عن كل ما يعبده المشركون: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، حتى ما ينحته المشركون من الأصنام أضاف الله خلقها إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، وعلى هذا فلا يجوز إضافة خلق مصنوعات البشر إلى صانعيها، بل الله خالقها بالأسباب التي خلقها وقدَّرها، وعلى هذا فتعقب المؤلف لمن قال: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أحسنُ المقدرين، ضعيفٌ.

﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني: السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ[١] فوق بعض كمُطارقة النعل[٢].

وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ يَحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ يعني: المطرَ الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض.

وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودِجلة، وسَيحان.

ولا دليل على هذا التخصيص.

ومعنى ﴿بِقَدَرٖ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه[٣] ولا ينقص منه.

﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ يعني: الزيتونَ.

وإنما خصَّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

و﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، ونُسِب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة.

---

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٦٣).

(٢) طارقَ النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (١٢/ ٨٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

و﴿سِينَاءَ﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك[١]: جبل أحد.

وقرئ بفتح السين، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعُجْمة، أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك.

وقيل[٢]: ذو شجرٍ.

ويلزم على ذلك صرْفُه.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ يعني: الزيتَ.

وقرئ ﴿تَنۢبُتُ﴾ بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه.

وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن أنبت بمعنى نَبت.

والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنبِت ثمرتَها بالدهن.

والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ الصِّبغ: الغمس في الإدام.

﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذِّكر: الإبل؛

---

(١) في ج، د: «كقوله».

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

لقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وقد تقدَّم في «النحل» ذكْرُ المنافعِ التي فيها[١]، وتذكيرِها وتأنيثها[٢].

* * *

(١) انظر (٢/ ٧٣٢).

(٢) انظر (٢/ ٧٥٩).

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾].

﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوَّة لبشر؛ فيا عجبًا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر!.

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله.

أو: بمثل الكلام الذي قال لهم.

وهذا يدلُّ على أنه كان قبلَ نوح فترةٌ طويلة.

﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون.

فانظر اختلافَ قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعيِّنوه، ولكن أرادوا: وقتَ زوال جنونه

على قولهم، أو وقتَ موته.

﴿ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾ تضمَّن هذا دعاءً عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم.

وقد تقدَّم في «هود» تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، و﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، و﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾[1].

﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخِل فيها.

وقد تقدَّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[2].

﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون:

بمعنى[3] الاختبار.

أو إنزال البلاء.

﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود؛ لأنهم الذين يلون قومَ نوح.

وقيل: إنهم ثمود، ورسولهم صالح، وهذا أصحُّ[4]؛ لقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وثمود هم الذين هَلَكوا بالصيحة، وأما عاد فهَلكوا بالريح.

---

(١) انظر (٢/ ٥٨٦).
(٢) انظر (٢/ ٥٨٦).
(٣) في ب، د: «من».
(٤) في أ، ب، هـ: «أصلح».

[﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾].

﴿مِن قَوْمِهِ﴾ قدَّم هذا المجرور على قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لئلا يُوهم أنه متَّصل بقوله: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بخلاف قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ في غير هذا الموضع(١).

﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي: نعَّمناهم.

---

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير (٨٧٥/٢).

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يَحتمل أنْ قالوا ذلك:

لإنكارهم أن يكون نبيٌّ[1] من البشر.

أو قالوه أنفةً من اتِّباع بشر مثلهم.

وكذلك قول قوم نوح.

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ كرَّر «أنَّ» توكيدًا[2] للأولى؛ و﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبرٌ عن الأولى.

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا من حكاية كلامهم.

و﴿هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل بمعنى: بَعُدَ.

وقال الغزنوي: هي للتأسُّف والتأوُّه[3].

ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان.

وتارةً يجيءُ فاعله دون لام، كقوله:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهله[4] ....

---

(١) في د، هـ: «النبي».

(٢) في د: «تأكيدًا».

(٣) انظر: عين المعاني..

(٤) هذا صدر بيت لجرير بن عطية، كما في ديوانه (ص: ٣٨٥)، وروي البيت هكذا «فهيهات هيهات..»، وروي «فأيهات أيهات..» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل الهمزة هاءً وبالعكس. انظر: تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر اللَّبْلي (١/ ٢٤٢).

وتارةً يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: البعد لما توعدون(١)؛ فنزَّله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعَد ما هو، بعد التَّصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المُهَيَّت به(٢).

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلَّا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِىَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾(٣) صفةٌ للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليلٍ يندمون.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً﴾ يعني: هالكين كالغثاء، والغثاء: ما يحمله السيل من الورَق وغيرها مما يبلى ويسوَدُّ، فشبَّه به الهالكين.

﴿فَبُعْدًا﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنى: بَعِدُوا؛ أي: هَلكوا، والعامل فيه مضمرٌ لا يظهر.

﴿تَتْرَا﴾ مصدرٌ وزنه: فَعْلَى، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضعَ

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ١٣).

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٨٢).

(٣) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٨٤).

الحال؛ أي: متواترين واحدًا بعد واحد.

فمن قرأه بالتنوين: فألفه للإلحاق.

ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة.

والتاء الأولى فيه بدلٌ من واو هي فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدَّث الناس بما جرى عليهم، ويَحتمل أن يكون:

جمعَ حديث.

أو جمع أُحدُوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشرِّ.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي: خادمون[1] متذلِّلون.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ الرُّبوة: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الراء وضمُّها وكسرها.

واختُلف في موضع هذه الربوة:

فقيل: بيت المقدس.

---

(١) في د: «حامدون».

وقيل: بغوطة دمشق.

وقيل: بفلسطين[١].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار: المستوي من الأرض، فمعناه: أنها بسيطة يتمكَّن فيها الحرث والغِراسة.

وقيل: القرار هنا: الثمارُ والحبوب.

والمعين: الماء الجاري:

فقيل: إنه مشتقٌّ من قولك: مَعَن الماءُ: إذا كثر؛ فالميم على هذا أصلية، ووزنه فَعِيل.

وقيل: إنه مشتق من العين؛ فالميم زائدة، ووزنه مفعول.



(١) في أ، ب، هـ: «فلسطين».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ
هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا
لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ
﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ
ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ
﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى
غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ
إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ
أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾
أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ
أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾
۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا
هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرِّقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك.

وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب.

أو من المستلَذَّات، فالأمر للإباحة.

﴿وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قرئ ﴿وَأَنَّ﴾:

بالكسر على الاستئناف.

وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلِّقة بقوله آخِرًا: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

وقيل: تتعلَّق بفعل مضمر تقديره: واعلموا.

والأمَّة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرٗا﴾ جمع زَبور، وهو الكتاب[1]، والمعنى:

أنهم افترقوا في اتِّباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك.

أو وضعوا كتبًا[2] من عند أنفسهم.

﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ الضمير لقريش، والغَمْرة: الجهل والضلال، وأصلها من غَمْرة الماء[3].

---

(١) في أ، هـ: «الكتب».

(٢) في ب، ج: «كتابًا».

(٣) قال في الكشاف (١٠/ ٥٩٣): «الغَمْرة: الماء الذي يغمر القامة، فضُربتْ مثلًا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، أو شُبِّهوا باللاعبين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل».

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا: يوم بدر، أو يوم موتهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم(١).

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر «أنَّ»، والضمير الرابط محذوفٌ، تقديره: نسارع به.

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم، ففيه معنى التهديد.

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ قيل: معناه يُعطُون ما أعطوا من الزكوات(٢) والصدقات.

وقيل: إنه عامٌّ في جميع أفعال البرِّ؛ أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنى عن النبي ﷺ(٣)، إلَّا أنها قرأت: «يَأْتون ما أَتوا» بالقصر، فيَحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا لهذه القراءة.

وقيل: إنه عامٌّ في الحسنات والسيئات؛ أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ «أنَّ»:

في موضع المفعول من أجله.

أو في موضع المفعول بـ ﴿وَجِلَةٌ﴾؛ إذ هي في معنى: خائفة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيه معنيان:

أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات.

---

(١) في أ: «ولسبب رضا الله عنهم»، وفي ب: «وبسببها رضيَ الله عنهم».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٩).

والآخر: أنهم يتعجَّلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدِّمة[(١)]؛ لأنه أُثبِت فيه ما نُفِي عن الكفار من المسارعة[(٢)].

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وَصف به الصالحين غيرُ خارج عن الوُسْع والطاقة.

وقد تقدَّم الكلام على تكليف ما لا يطاق في «البقرة»[(٣)].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديدٌ، وتأمينٌ من الظلم والحيف.

﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجلمته.

وقيل: من القرآن.

وقيل: من الكتاب المذكور.

وقيل: من الأعمال التي وَصف بها المؤمنين.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغَمْرة التي هم فيها، فالمعنى: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

(١) الآية المتقدمة قوله تعالى في الكفار: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

(٢) انظر: الكشاف وتعليق الطِّيبي (١٠/ ٥٩٧).

(٣) انظر (١/ ٥١٠).

-على هذا- إلى الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير[١]؛ لأنها في معنى الكفر.

وقيل: الإشارة إلى قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك المعنى)[٢] المشار إليه حسَبما اختُلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال.

وقيل: عن الاستقبال.

وقيل: المعنى: أنهم يتمادون على عملها حتى يأخذهم الله، فجعل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ غايةً لقوله: ﴿عَٰمِلُونَ﴾.

﴿مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءَهم[٣] وكبراءَهم.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون.

فإن أراد بالعذاب قتلَ[٤] المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ لسائر قريش؛ أي: ناحوا وصاحوا[٥] على القتلى.

وإن أراد بالعذاب شدائدَ الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا، ويَحتمل: أن يكون هذا القول حقيقةً.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».
(٢) سقط من أ، ب، هـ.
(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».
(٤) في أ، هـ: «قتال».
(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

أو[(١)] يكون بلسان الحال.

ولفظه نهيٌ، ومعناه: أن الجُؤَار لا ينفعهم.

﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجعون إلى وراء، وذلك عبارةٌ عن إعراضهم عن الآيات، وهي القرآن.

﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ قيل: إن الضمير عائدٌ على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يُذْكَر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله ووُلَاته.

وقيل: إنه عائد على القرآن؛ من حيث ذُكِرت الآيات، والمعنى على هذا: أن القرآن يحدث لهم عتوًّا وكِبْرًا[(٢)].

وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ، وهو على هذا متعلّق بـ ﴿سَٰمِرًا﴾.

﴿سَٰمِرًا﴾ مشتقٌّ من السَّمَر، وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع[(٣)] بالليل في المسجد، فيتحدَّثون، وكان أكثرُ حديثهم سبَّ النبي ﷺ، و﴿سَٰمِرًا﴾ مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للنبي ﷺ، فالمعنى: أنهم سامرون بذكره وسبِّه.

﴿تُهۡجِرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه: تقولون الهُجْر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام.

---

(١) في ج، د: «وأن».

(٢) في د: «وتكبرًا».

(٣) في ب: «يجتمعون».

ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم: فهو من الهَجْر - بفتح الهاء -؛ أي: تَهجرون الإسلام، والنبيَّ ﷺ، والمؤمنين.

أو من قولك: هَجَر المريض: إذا هَذَى؛ أي: تقولون اللغو من القول.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، وهذا توبيخٌ لهم.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ معناه: أنَّ النبوَّة ليست ببدْعٍ فينكرونها بل قد جاءت آباءَهم الأولين، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمدًا ﷺ، ويعلموا أنه أشرفَهم حسَبًا، وأصدقَهم حديثًا، وأعظمَهم أمانةً، وأرجحهم عقلًا؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى الجنون أو غير ذلك من النقائص؟، مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ الاتِّباع هنا: استعارة، والحق هنا يراد به: الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالى، وهذا بعيد في المعنى، وإنما حمَله عليه أنْ جعَل الاتباع حقيقةً ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكورة في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد:

بتذكيرهم ووعظهم.

أو بفخرهم وشرفهم، وهذا أظهر.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخَرْج: هو الأجرة، ويقال فيه: خَراج، والمعنى واحد، وقد قرئ[1] بالوجهين في الموضعين، فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٤٠، القلم: ٤٦]؛ أي: لست تسألهم أجرًا فيثقل عليهم اتباعك.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم؛ فهو يرزقك ويغنيك عنهم.

﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون[2] عن الصراط المستقيم المذكور.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى: لو رحمناهم بالخِصْب، وكشفنا ما بهم من ضرِّ القحط والجوع؛ لتمادوا على طغيانهم.

وفي هذا عندي نظر؛ فإنَّ الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسَبما ورد في الحديث.

وقيل: المعنى: لو رحمناهم بالردِّ إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه.

---

(١) في أ، ب: «وقد روي».

(٢) في أ، ب، هـ: «ويعرضون».

وهذا القول لا يَلزم عليه ما لزم على الآخر، ولكنه خارج عن معنى الآية.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَهُم بِالْعَذَابِ﴾ قيل: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط، وإن الباب ذا العذاب الشديد المتوعَّد به بعد هذا: يوم بدر.

وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر.

وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعَّد به هو القحط.

وقيل: الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدَّة؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه مبلسون؛ أي يائسون[1] من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢].

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما تذلَّلوا لله ﷻ.

وقد تقدَّم الكلام على هذه الكلمة في «آل عمران»[2].

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلَّا قال: «فما استكانوا وما تضرعوا»، أو «فما يستكينون وما يتضرعون» باتِّفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟

فالجواب: أن ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ عند العذاب الذي أصابهم، و﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ حتى يفتح عليهم بابُ عذابٍ شديد، فنفى الاستكانة فيما مضى، ونفى التضرُّع في الحال والاستقبال[3].

---

(١) في ب: «آيسون».
(٢) انظر (١/ ٥٨٢).
(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٦١٥).

[﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾].

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا تشكرون.

وذكر السمع والبصر والأفئدة - وهي القلوب -؛ لعظيم[1] المنافع التي فيها؛ فيجب شكر خالقها، ومِن شكره: توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمةٍ وإقامة حجة.

﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نشركم فيها.

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: هو فاعله ومختصٌّ به، فاللام للاختصاص.

---

(١) في ج: «العظم».

وقد ذُكر في «البقرة» معنى اختلاف الليل والنهار[١].

﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١﴾ أي: قالت قريش مثلَ قول الأمم المتقدِّمة، ثم فسَّر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾.

وقد ذُكر الاستفهامان في «الرعد»[٢].

و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في «الأنعام»[٣].

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ هذه الآيات[٤] توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلَّا الإقرار بها، وإذا أقرُّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جوابًا لقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثانيَ والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في معنى: «لمن هي».

وقرأ أبو عمرٍو الثانيَ والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدرٌ في بنائه مبالغةٌ.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان[٥]، يقال: أجرتُ

---

(١) انظر (١/ ٣٨٧).

(٢) انظر (٢/ ٦٦٩).

(٣) انظر (٢/ ٢٥٤).

(٤) في أ، ب، د: «الآية».

(٥) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا!، والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٦/ ٣١٦).

فلاناً على فلان: إذا منعتَه من مضرَّته وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحدٌ منه أحدًا.

﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ أي: تُخدَعون عن الحق، والخادعُ لهم الشيطان، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التَّخليط والوقوع في الباطل.

ورُتِّبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج، فقال أوَّلًا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، ثم قال ثانيًا: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وذلك أبلغُ؛ لأن فيه زيادةَ تخويف، ثم قال ثالثًا: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني: فيما يَنسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك ردَّ عليهم بنفي ذلك.

﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوَحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إلهٌ آخرُ لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدَّ كل واحد منهما بمُلكه، وطلب غلَبةَ الآخر والعلوَّ عليه، كما ترى[١] حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطةً بعضُها ببعض حتى كأن العالم كلَّه كُرَةٌ واحدة: علمنا أن مالكه ومدبِّره واحد، لا إله غيره.

وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية[٢] وغيره، بل هو دليل آخر.

---

(١) في ج، د: «نرى».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٣١٧).

فإن قيل: «إذًا» لا تدخل إلَّا على كلامٍ هو جزاءٌ وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدَّم قبلها شرطٌ ولا سؤال سائلٍ؟

فالجواب: أن الشرط محذوفٌ تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حُذِف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾، وهو جواب للكفار الذين وقع الردُّ عليهم(١).

﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ بالرفع: خبر ابتداء، وبالخفض: صفة لله.



(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٢).

[﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾
وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ
﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ
كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ
﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي
وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ
﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾].

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ الآية؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعوَ لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قُضِي أن يَرى ذلك، وفيها تهديدٌ للظالمين وهم الكفار.

و«إن» شرطية، و«ما» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾، وكرَّر قوله: ﴿رَبِّ﴾ مبالغةً في الدعاء والتضرُّع.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله، والسيئةُ: الشرك.

والأظهر أنه أمرٌ بالصَّفح والاحتمال وحسن الخلق، فهو محْكَمٌ غير منسوخ، وإنما نُسِخ ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ يعني: نزَغاته ووَسواسه[1].

وقيل: يعني الجنون.

واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أن يكونوا معه.

وقيل: يعني: حضورَهم[2] عند الموت.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا حرف ابتداءٍ[3]؛ أي ليست غايةً لما قبلها.

وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تتعلَّق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت[4].

---

(١) في ب، ج: «ووساوسه».
(٢) في أ، ب: «بحضورهم».
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٢٠).
(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٥).

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ يعني: الرجوعَ إلى الدنيا، وخاطب ربَّه مخاطبةَ الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري[1] وغيره، ومِثْلُه قول الشاعر:

أَلَا فارحموني يا إلهَ محمَّدٍ[2] ....

وقيل: إنه نادى ربَّه ثم خاطب الملائكة.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركتُ من المال.

وقيل: فيما تركتُ من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحًا في الإيمان الذي تركه أوَّل مرة.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ له عما طلب.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعني: قولَه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ فسمَّى هذا الكلام كلمةً، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالةَ؛ لإفراط ندمه وحسرته، فهو إخبار بقوله.

والثاني: أن المعنى: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئًا.

والثالث: أن يكون المعنى: أنه يقولها كاذبًا فيها، ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحًا.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٦).

(٢) هذا صدر بيت وتمامه: «فإن لم أكن أهلًا فأنت له أهلُ»، أورده الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٦٢٦)، ولم أقف على قائله.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان.

والضمير للجماعة المذكورين في قوله: ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾.

﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني: المدة التي بين[1] الموت والقيامة، وهي تَحُول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا.

وأصل البرزخ: الحاجز بين شيئين.

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاشتغال كل أحد بنفسه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٥]، فتكون الأنساب كأنها معدومةٌ.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا؛ لاشتغال كل أحد بنفسه.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٥]؟

فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى، ثم يتساءلون بعد ذلك؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة[2].

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق.

﴿كَٰلِحُونَ﴾ الكُلُوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرًا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري[3] للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث:

---

(١) في أ، ب، هـ: «بعد».

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «تجري».

«إن شفَة الكافر ترتفع في النار[١] حتى تبلغ وسَط رأسه»[٢]، وفي ذلك عذابٌ وتشويه.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: ما قُدِّر علينا[٣] من الشقاء.

وقرئ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾، والمعنى واحد.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ كلمةٌ تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانةٌ وإبعاد.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تكلمونِ في رفع العذاب، فحينئذ ييأسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته.

﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين من السُّخْرة بمعنى التَّخديم.

وبالكسر: من السَّخَر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم.

وقرئ هنا بالوجهين؛ لاحتمال المعنيين، على أن معنى الاستهزاء هنا أليقُ؛ لقوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: في جوف الأرض أمواتًا.

وقيل: أحياءً في الدنيا.

فأجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم؛ لاستقصار[٤] المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدُّون شيئا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالنار».
(٢) أخرجه أحمد (١١٨٣٦)، والترمذي (٢٥٨٧).
(٣) في أ: «ما قدرنا عليهم».
(٤) في ج، د: «لاستقصارهم».

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل من يَقدِر على أن يَعُدَّ، وهو: مَن عُوفي مما ابتلوا به.

أو يعنون الملائكة.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليلٌ بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين(١) أبدًا.

﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلًا، والمعنى: إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب.

﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفةٌ لقوله: ﴿إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن.

وانظرْ كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البون(٢) بين الفريقين، والله أعلم.



(١) في ج، د زيادة: «فيها».

(٢) في د، هـ: «الفرق».

﴿ سورة النور ﴾

[﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى
فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ
لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ
يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ
وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾
وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ
شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾].

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ السورة:

خبر ابتداء مضمر.

أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أُنزل عليكم سورة.

و﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها.

وقرئ بالتشديد للمبالغة.

﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال.

وقيل: معنى ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ هنا: ليس فيها مُشْكل.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾: يراد بهما الجنس، وقدَّم الزانية؛ لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر؛ فإنه كان منهنَّ إماء وبغايا يجاهرن[1] بذلك.

وإعراب ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ كإعراب: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقد ذكر في «المائدة»[2].

وهذه الآية ناسخةٌ بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة، ومن الأذى في الأخرى[3].

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومه؛ فإنَّ جلْد المئة إنما هو حدُّ الزانية والزاني إذا كانا مسلمَينِ حُرَّين[4] غيرَ محصنين.

فيخرج منها الكفار؛ فيُرَدُّون إلى أهل دينهم.

ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة.

فأما العبد والأمة: فحدُّهما خمسون جلدةً، سواءٌ كان محصنين أو غير محصنين.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجاهرون».
(٢) انظر (٢/ ١٧٦).
(٣) انظر (٢/ ٢٦).
(٤) في ب زيادة: «بالِغين».

وأما المحصنان الحرَّان فحدُّهما الرجم.

هذا على مذهب مالك.

وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب:

فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهرُ العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصَّصوا من هذا العموم أشياءَ؛ منها باتفاق، ومنها باختلاف.

فأما الكفار:

فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلدُ مئة؛ أُحصِنوا أو لم يُحصَنوا؛ أخذًا بعموم الآية.

ورأى الشافعي أن حدَّهم كحدِّ المسلمين؛ الجلدُ إن لم يُحصَنوا، والرجم إن أُحصِنوا؛ أخذًا بالآية، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذا زنيا.

ورأى مالك أن يُرَدُّوا إلى أهل دينهم؛ لقوله في سورة «النساء»: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [النساء: ١٥]، فخصَّ نساء المسلمين؛ على أنها قد نسخَتها هذه، ولكن بقيت في محلها.

وأما العبد والأمة:

فرأى أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدةً؛ لقوله تعالى: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥]، وأن حدَّ العبد الجلدُ مئةً؛ لعموم الآية.

وقال غيرهم: يُجلَد العبد خمسين؛ بالقياس على الأَمَة؛ إذا لا فرق بينهما.

وأما المحصن:

فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخًا، ثم اختلفوا في المخصص أو الناسخ:

فقيل: الآيةُ التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذ زنيا فارجموهما ألبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[(١)].

وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب: يُجلد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة، فجمعوا عليه الحدَّين، ولم يجعلوا الآية منسوخةً بالرجم[(٢)]، ولا مخصَّصةً.

وقال الخوارج: لا رجمَ أصلًا؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله.

ولا يُعتدُّ بقولهم.

وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك بالجلد والتغريب سَنةً؛ للحديث، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»[(٣)].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٨٥)، وأحمد في مسنده (٢١٢٠٧)، (٢١٥٩٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣).

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك.

وصفة الجلد:

عند مالك: في الظهر، والمجلودُ جالسٌ.

وقال الشافعي: يفرَّق على جميع الأعضاء، والمجلود قائم.

وتُستَر المرأة بثوبٍ لا يقيها الضرب.

ويجرَّد الرجل عند مالك.

وقال قوم: يجلد على قميص.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني: في إسقاط الحدِّ؛ أي: أقيموه ولا بدَّ.

وقيل: في تخفيف الضرب.

وقيل: في الوجهين.

فعلى القول الأول: يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرِّح، وهو مذهب مالك والشافعي.

وعلى القول الثاني والثالث: يكون الضرب في الزنا أشدَّ.

واختُلف: هل يجوز أن تُجمَع مئةُ سوط ويضرب بها مرة واحدة؟

فمنعه مالك.

وأجازه أبو حنيفة؛ لما ورد في قصة أيوب عليه السلام.

وأجازه الشافعي للمريض؛ لورود ذلك في الحديث.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزُّناة، والغلظة عليهم.

واختُلف في أقل ما يجزئ من الطائفة؟

فقيل: أربعة؛ اعتبارًا بشهادة الزنا[1]، وهو قول ابن أبي زيد.

وقيل: عشرة.

وقيل: اثنان[2]، وهو مشهور مذهب مالك.

وقيل: واحد.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ معناها: ذمُّ الزناة، وتشنيعُ الزنا، وأنه لا يقع فيه إلَّا زانٍ أو مشرك، ولا يوافقه عليه من النساء إلَّا زانية أو مشركة، و﴿يَنكِحُ﴾ على هذا بمعنى: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحلُّ لزانٍ أن يتزوج إلَّا زانيةً أو مشركة، ولا يحلُّ لزانية أن تتزوج إلَّا زانيًا أو مشركًا، ثم نُسِخ هذا الحكم، وأُبيح لهما التزوُّجُ ممن شاءَا[3].

والأول هو الصحيح.

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارةُ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

إلى الزنا؛ أي: حُرِّم الزنا على المؤمنين.

---

(١) في أ، ب: «الزناة».

(٢) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٣) في د: «شاؤوا».

وقيل: الإشارة إلى تزوُّج المؤمن غيرِ الزاني لزانية؛ فإن قومًا منعوا أن يتزوَّجها، وهذا على القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد.

وأجاز تزوُّجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفِرْية التي عبَّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ هنا يراد به: العفائف من النساء، وخصَّهنَّ بالذِّكر؛ لأن قذفهنَّ أكثرُ وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحدٌ.

وقيل: إن المعنى: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظ - على هذا - النساءَ والرجال.

ويُحتاج هنا إلى الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرَّمي بالزنا؛ اتفاقًا.

أو بفعلِ قوم لوط عند مالك والشافعي؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافاً لأبي حنيفة.

أو النفيُ من النَّسب.

ومذهب مالك أن التعريض بذلك كلّه كالتصريح، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة.

وأما القاذف:

فيُحدُّ؛ سواءٌ كان مسلمًا أو كافرًا؛ لعموم الآية، وسواءٌ كان حرًّا أو عبدًا.

إلَّا أن العبد والأمة إنما يحدَّان[١] أربعين عند الجمهور، فنصَّفوا حدَّهما قياسًا على تنصيفه في الزنا، خلافاً للظاهرية.

ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غيرَ مكلَّفَين.

وأما المقذوف:

فمذهب مالك: أنه يشترط فيه: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رُمِي به، والتمكُّن من الوطء؛ تحرُّزًا من المجبوب وشبهه، فلا يحدُّ عنده مَن قذف صبيًّا أو كافرًا أو مجنونًا أو عبدًا أو مَن لا يمكنه الوطء.

وقد قيل: يحدُّ مَن قذف واحدًا منهم؛ لعموم الآية.

واتُّفِقَ على اشتراط البراءة مما رُمي به.

وأما الشهادة التي تُسقِط حدَّ القذف:

فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدٌ أو كافرٌ[٢]، أو يشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذِف به كالمِرْوَدِ في المُكْحلة، ويؤدُّون الشهادةَ مجتمعين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ تقدَّم قبل هذا الاستثناء ثلاثةُ أحكام؛ وهي الحدُّ، وردُّ شهادة القاذف، وتفسيقُه.

---

(١) في ب: «يجلد».

(٢) في ب، ج، د: «عبدًا أو كافرًا».

فاتُّفِق على أن الاستثناء راجعٌ إلى التَّفسيق، وأن ذلك يزول عنه بالتوبة.

واتُّفِق على أنه لا يرجع إلى الحدِّ، وأنه لا يَسقط عنه بالتوبة.

واختُلف هل يرجع إلى ردِّ الشهادة أم لا؟

فقال مالك: إذا تاب قُبِلت شهادته.

خلافًا لأبي حنيفة.

وتوبته: هو صلاح حاله في دينه.

وقيل: إكذاب نفسه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته؛ فيجب اللِّعان بذلك.

وسببها: أن رجلًا قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلًا؛ أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟، فسكت عنه نبيُّ الله ﷺ، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أُنزل فيك وفي صاحبتك، فائتني[1] بها» فتلاعنَا، وفرَّق رسول الله ﷺ بينهما[2].

ومُوجِب اللعان عند مالك شيئان:

أحدهما: أن يدَّعيَ الزوج أنه رأى امرأته تزني.

والآخر: أن ينفيَ حملها ويدعي الاستبراء قبله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فأتى».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٨)، مسلم (١٤٩٢).

فإذا تلاعن الزوج تعلَّقت به ثلاثة أحكام:

[١-] نفي حدِّ القذف عنه.

[٢-] وانتفاء سبب الولد منه.

[٣-] ووجوب حدِّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحدُّ عنها.

ولفظ الآية عامٌّ في الزوجات؛ الحرائرِ والمماليك، والمسلماتِ والكافرات، والعدولِ وغيرهم، وبذلك أخذ مالك.

واشترط مالك في الزوج: الإسلامَ.

واشترط أبو حنيفة: أن يكونا مُسلمَين حرَّين عدلين.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربعَ مرَّات: «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني»، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني، ولقد زنت، وإني في ذلك لمن الصادقين»، ثم يقول في الخامسة: «لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين».

وزاد أشهب: أن يقول: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو».

وانتصب: ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ﴾ على المصدرية، والعامل فيه: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو خبر ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ مِن صلَة ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾،

أو من صلة[١] ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ هنا وفي الموضع الثاني، وانتصب:

بفعل مضمر تقديره: ويشهد الشهادةَ[٢] الخامسة.

أو بالعطف على ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ على قراءة النصب.

وقرئ بالرفع:

على الابتداء.

أو عطف على ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ بقراءة الرفع.

وقرئ ﴿أَنْ لَعْنَتُ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾:

بتشديد ﴿أَنَّ﴾، ونصب اسمها.

وتخفيفها، ورفع اللعنة والغضب على الابتداء.

﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ العذابُ هنا: حدُّ الزنا؛ أي: يدفعه الْتِعان المرأة، وهو[٣] أن تقول أربع مرات: «أشهد بالله ما زنيت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين»، ثم تقول في الخامسة: «غضب الله عليها إن كان من الصادقين».

---

(١) في ج: «لا مِن صلة».
(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب.
(٣) في أ، ب، هـ: «وهي».

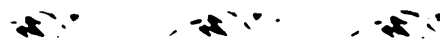
ويتعلق بالْتِعانها ثلاثة أحكام:

[١-] دفع الحدِّ عنها.

[٢-] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣-] وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخَر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لوَاخذكم[1]»، أو نحو هذا.



---

(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أ خ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وآخذه بالمد مؤاخذةً كذلك، والأمر منه آخِذْ بمد الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: واخذه مواخذةً، وقرأ بعض السبعة: ﴿لا يُوَاخِذُكُم اللهُ﴾ بالواو على هذه اللغة».

[﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الإفك: أشدُّ الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى تمام ستَّ عشرةَ آيةً في شأن عائشة رضي الله عنها وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برَّأ أربعة بأربعة:

[١-] برَّأ يوسف بشهادة الشاهد من أهلها.

[٢-] وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.

[٣-] وبرأ مريم بكلام ولدها في حجرها.

[٤-] وبرأ عائشة من الإفك بإنزال[١] القرآن في شأنها.

---

(١) في أ، ب: «فأنزل».

ولقد تضمَّنت هذه الآيات الغايةَ العظمى في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتَّشديد على من قذفها.

وقد خرَّج حديثَ الإفك البخاري ومسلم وغيرهما[١]، واختصاره: أن عائشة خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عِقْدٌ، فتأخرت على الْتماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطَّل، فرآها فنزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟، والله ما علمت على أهلي إلَّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلَّا خيرًا»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إلَّا ما يعلمه الصَّائغ على تبر الذهب الأحمر».

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذْكَر في الحديث من أهل الإفك إلَّا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، وحَمْنة بنت جحش، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت.

وقيل: إن حسَّانَ لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصۡبَةٌ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾.

واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصۡبَةٌ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿جَآءُو﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك[٢].

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٥٣).

والأول أظهر.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه:

[١-] تبرئة أم المؤمنين.

[٢-] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها.

[٣-] والأجر الجزيل لها في الفرية[١] عليها.

[٤-] وموعظة المؤمنين.

[٥-] والانتقام من المفترين.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلولٍ المنافقُ.

وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية، وهو غير معين.

والعذاب العظيم هنا: يَحتمل أن يراد به:

الحدُّ.

أو عذاب الآخرة.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هنا: عَرْضٌ، والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمرَ على أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد في حقِّهم فهو في حق عائشة أبعدُ؛ لفضلها.

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوبَ الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟، قالت: لا والله!، قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم.

---

(١) في ب: «بالفرية».

فإن قيل: لم قال: ﴿سَمِعۡتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب، ثم عدل إلى لفظ الغَيْبة في قوله: ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، ولم يقل: «ظننتم»؟

فالجواب: أن ذلك الْتفاتٌ، قُصِد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدِّق المؤمن على المؤمن شرًّا[١].

﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ ﴿لَوۡلَا﴾ هنا عَرْضٌ، والضمير في ﴿جَآءُو﴾ لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء.

﴿أَفَضۡتُمۡ فِيهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه: إذا أكثر الكلام فيه.

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ العامل في ﴿إِذۡ﴾: ﴿لَمَسَّكُمۡ﴾ أو ﴿أَفَضۡتُمۡ﴾.

ومعنى ﴿تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾: يأخذه بعضكم من بعض.

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم على خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاءُ عن ذكره والتركُ له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء، وهي:

تلقِّيه بالألسنة؛ أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول.

والثاني: قولهم ذلك.

والثالث: أنهم حسِبوه هيِّنًا وهو عند الله عظيم.

وفائدة قوله: ﴿بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ و﴿بِأَفۡوَاهِكُم﴾: الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ٣٤).

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم[1] له.

و﴿لَوْلَا﴾ أيضًا في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حقُّها أن يَلِيَها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقتٍ سمعوه[2].

ومعنى ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك.

وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجُّبُ من عِظَم الأمر، والاستبعادُ له، والأصل في ذلك أن يسبِّحَ الله عند رؤية العجائب[3].

﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغِيبة: أن يقال ما فيه.

﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ تقديره: يعظكم كراهةَ أن تعودوا، ثم عظَّم الأمر وأكَّده بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين

---

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «اسمعتموه».

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ٤١).

أحبُّوا أن يَشيع حديث الإفك، ثم هو عامٌّ في غيرهم ممن اتصف بصفتهم.

والعذاب في الدنيا الحدُّ.

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعذَّب[١] عليه في الآخرة[٢]، فأشكل اجتماع الحدِّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيَحتمل:

أن يكون القاذف يعذَّب في الآخرة، ولا يُسقِط الحدُّ عنه عذابَ الآخرة، بخلاف سائر الحدود.

أو يكون هذا مختصًا بمن قذف عائشة؛ فإنه روي عن ابن عباس أنه قال: من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلت توبته إلَّا من خاض في أمر عائشة[٣].

أو يكون[٤] لمن مات مصِرًّا غيرَ تائب.

أو يكون للمنافقين.



(١) في د: «يعاقب».
(٢) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٨)
(٤) في أ، ب: «تكون».

[﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾].

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ ذُكِر في «النحل»[2].

﴿زَكَىٰ﴾ أي: تطهَّر من الذنوب، وصلَح دينُه[3].

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ معنى ﴿يَأۡتَلِ﴾: يحلف؛ فهو من قولك: آليتُ: إذا حلفتَ.

وقيل: معناه: يُقصِّر؛ فهو من قولك: أَلَوْتُ أي: قصَّرتُ؛ ومنه: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ [آل عمران: ١١٨].

---

(١) انظر (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر (٢/ ٧٧٣).

(٣) في د: «حاله».

و﴿ٱلْفَضْلِ﴾ هنا: يَحتمل أن يريد به:

الفضلَ في الدين.

أو الفضل في المال؛ وهو أن يَفْضُل له عن مقدار ما يكفيه.

و﴿وَٱلسَّعَةِ﴾: هي اتساع المال.

ونزلت الآية بسبب أنَّ أبا بكر الصديقَ ﷺ حلف أن لا يُنفق على مِسْطَح، لمَّا تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته، ولأنه قريبه، وكان ابنَ بنت خالته[1]، فلما نزلت الآية رَجَع إلى مسطحٍ النفقةَ والإحسان، وكفَّر عن يمينه.

قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف.

ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحدٌ على ترك عمل صالح.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون أن يَغفر الله لكم؛ كذلك اغفروا أنتم لمن أساءَ إليكم.

ولما نزلت قال أبو بكر ﷺ: «إني لأحبُّ أن يغفر الله لي»، ثم ردَّ النفقة إلى مسطح.

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ معنى ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هنا: العفائف ذواتُ الصَّوْن.

ومعنى ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: السَّليمات الصدور؛ فهو من الغفلة عن الشرِّ.

---

(١) في أ، ب، ج: «ابن خالته»، والمثبت هو الصواب كما في الإصابة لابن حجر (١٠/١٣٩).

﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة، ولذلك لم يَذكر فيه توبةً، قال[1] ابن عباس: كلُّ مذنب تقبل توبته إذا تاب إلَّا من خاض في حديث عائشة.

وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يَحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ﴾ العامل فيه: ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، وكرَّر ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ تأكيدًا.

وقيل: العامل فيه ﴿عَذَابٌ﴾، أو فعل مضمر.

﴿دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: جزاءَهم الواجبَ لهم.

﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين.

ومعنى ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا شك فيه.

﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيِّبات من النساء للطيِّبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيِّبين؛ فزوجته[2] أطيب الطيِّبات.

وقيل: [3] المعنى: أن الخبيثات[4] من الأعمال للخبيثين من الناس،

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «فقال».

(٢) في أ، ب، هـ: «وزوجته».

(٣) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».

(٤) في ب: «الخبائث».

والطيِّبات من الأعمال للطيِّبين من الناس؛ ففيه أيضًا ردٌّ على أهل الإفك؛ لأن عائشة لا يليق بها إلَّا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك.

وقيل: المعنى: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلَّا خبيث مثلهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ الإشارة بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الطيبين والطيبات والضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ للخبيثات والخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ
أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ
يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٢٨) لَّيۡسَ
عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا
تَكۡتُمُونَ (٢٩) قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ
أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ
ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٣١) وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ
إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (٣٢) وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ
عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ
تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٣٣)
وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾].

﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ هذه الآية أمرٌ بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأمّ؛ خِيفةَ أن يراها عُريانة.

ومعنى ﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾: تستأذنوا، وهو مأخوذ من قولك: آنستُ الشيءَ: إذا عَلِمتَه؛ فالاستئناس: أن يستعلم هل يريد أهلُ الدار الدخول أم لا؟.

وقيل: هو مأخوذ من الأُنْس ضد الوَحْشة.

وقرأ ابن عباس: «حتى تستأذنوا».

والاستئذان واجب، وأما السَّلام فلا ينتهي إلى الوجوب.

واختُلف أيَّهما يقدِّم؟

فقيل: يقدِّم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أأدخل؟».

وقيل: يقدِّم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاث مرات[1]، وهو تفسير للآية.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ سبب هذه الآية: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمَّق قومٌ؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلِّمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان.

واختُلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية؟

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأويَ إليها كلُّ ابن سبيل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣).

والمتاع على هذا: التمتع بالنزولِ فيها والمبيتِ وغير ذلك.

وقيل: هي الخِرَب التي تُدخَل للبول والغائط.

والمتاع على هذا: حاجة الإنسان.

وقيل: هي حوانيت القَيْسَارِيَّة[(١)].

والمتاع على هذا: الثياب والبُسط وشبهُها.

وهذا القول خطأ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] في «إبراهيم»، وقد ذُكِر[(٢)].

و﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ للتبعيض.

والمراد: غضُّ البصر عما يَحرم، والاقتصار به على ما يحل.

وقيل: معنى التبعيض فيه: أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويُمنَع ما بعدها.

وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنْ﴾ زائدة.

وقيل: هي لابتداء الغاية؛ لأن البصر مفتاح القلب.

والغضُّ المأمور به: هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحلُّ من

---

(١) جاء في تكلمة المعاجم العربية (٨/ ٤٣٥): «قيسارية: .. ميدان عام يقام فيه سوق، أو هي بالأحرى: بناية مربعة في شكل رواق الدير، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجار».

(٢) انظر (٢/ ٧٠٤).

النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُستَر.

وحفظ الفروج المأمور به: هو عن الزنا.

وقيل: أراد ستر العورة.

والأظهر أن الجميع مراد.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضِّ بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعًا.

واختُلف هل يجب عليها غضُّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟

فعلى القول بذلك: تشتمل الآية عليه.

والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهَى عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدَّ من النظر إليه عند حركتها، أو إصلاح شأنها، وشبه ذلك.

فقيل: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: الثيابَ؛ فعلى هذا: يجب سَترُ جميع جسدها.

(وقيل: الثياب والوجه)[1].

---

(١) سقط من أ، ج، د. ومثبت في ب، هـ، وهو قولٌ في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٦/ ٣٧٤).

وقيل: الثياب والوجه والكفَّان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفَّيها في الصلاة.

وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة[1] الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلْنَها من وراء الظهر، فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا سِتر عليها، فأمرهنَّ الله بِلَيِّ الأخمرة على الجيوب؛ ليستر جميع ذلك.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ الآيةَ؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذَكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذَكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذو المحارم[2] من الزينة الباطنة.

وبدأ بالبُعولة - وهم الأزواج -؛ لأن اطِّلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم ثنَّى بذوي المحارم، وسوَّى بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.

والمراد بالآباء: كل من له وِلادة من والدٍ وجدٍّ، وبالأبناء: كل من عليه وِلادة من ولد وولد ولد.

---

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

ولم يَذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمَّ والخال:

ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي المحارم.

وكره ذلك قوم.

وقال الشَّعبيُّ[١]: إنما لم يذكر العمَّ والخال؛ لئلا يصفَا زينة المرأة لأولادهما.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني[٢]: جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفِهن، ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتابيات.

وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال:

منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي.

والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة.

والجواز بشرط أن يكون العبد وغْدًا[٣]، وهو مذهب مالك، وإنما أَخذ جوازه من قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾.

---

(١) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٣).

(٢) في ب: «يدخل».

(٣) المراد بالوغد: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٣/ ٢٢١»، وفي المدونة (٤/ ٥٢) سأل ابن القاسم الإمام مالكًا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا خَطْب فذلك الوغد».

واختُلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبيّ أم لا؟ على قولين.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ شَرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين:

أحدهما: أن يكونوا[1] تابعِين، ومعناه: أن يَتْبَع لشيءٍ يُعطاه كالوكيل والمتصرِّف، ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهِمَّتُه بطنُه.

والآخر: أن لا يكون لهم إِربةٌ في النساء، كالخَصِيِّ والمخنَّث والشيخ الهَرِم والأحمق.

فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلَّا باجتماع الشرطين.

وقيل: بأحدهما.

ومعنى ﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾: الحاجة إلى الوطء.

﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ أراد بـ ﴿ٱلطِّفۡلِ﴾: الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل: ما لم يراهق الحُلُم.

و﴿يَظۡهَرُواْ﴾ معناه: يطَّلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه: الذين لم يطؤوا النساء.

وقيل: الذي لا يدرون ما عوراتُ النساء. وهذا أحسن.

﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ﴾ روي أن امرأةً كان لها خَلخالان، فكانت تضرب بهما؛ فيسمعُهما الرجال، فنهى الله ﷻ عن ذلك.

---

(١) في أ: «يكونا»!.

قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشدُّ تحريكًا للشهوة من إبدائها[١].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف؛ بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وفرائضها ثلاثة:

[١-] الندم على الذنب؛ مِن حيث عُصِي به ذو الجلال[٢]، لا من حيث أضرَّ ببدن أو مال.

[٢-] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير ولا توانٍ.

[٣-] والعزم أن لا يعود إليها أبدًا، ومهما قُضِي عليه بالعَوْد أحدث عزمًا مجدَّدًا.

وآدابها ثلاثة:

[١-] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

[٢-] والإكثار من التضرع والاستغفار.

[٣-] والإكثار من الحسنات لمحْوِ ما تقدَّم من السيئات.

ومراتبها سبع:

[١-] فتوبة الكفار: من الكفر.

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠).

(٢) في ب، د: «عَصى به ذا الجلال».

[٢-] وتوبة المخلِّطين[١]: من الذنوب الكبائر[٢].

[٣-] وتوبة العدول: من الصغائر.

[٤-] وتوبة العابدين: من الفَتَرات.

[٥-] وتوبة السالكين: من عِلل القلوب والآفات.

[٦-] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.

[٧-] وتوبة أهل المشاهدة: من الغَفَلات.

والبواعث على التوبة سبعة:

[١-] خوف العقاب.

[٢-] ورجاء الثواب.

[٣-] والخجل من الحساب.

[٤-] ومحبة الحبيب.

[٥-] ومراقبة الرقيب القريب.

[٦-] وتعظيم المقام.

[٧-] وشكر الإنعام.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيامى: جمع أيِّمٍ، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالًا كانوا أو نساء، أبكارًا أو ثيِّباتٍ.

---

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

والخطاب هنا: للأولياء والحكام؛ أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهيَ عن عضلهنَّ من التزويج.

وفي الآية دليلٌ على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراطِ الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي، خلافًا لأبي حنيفة.

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني: الذين يَصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم.

وقال الزمخشري: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ بمعنى: الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر؛ ليَحفظ عليهم صلاحهم(١).

والمخاطبون هنا ساداتهم(٢).

ومذهب الشافعي: أن السيد يُجبَر على تزويج عبيده؛ لهذه الآية، خلافًا لمالك.

ومذهب مالك: أن السيد يُجبِر عبده وأمته على النكاح، خلافًا للشافعي.

﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ وعَد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوَّجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أمرٌ بالاستعفاف، وهو الاجتهاد في طلب العفَّة من الحرام لمن لا يقدر على التزوُّج.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ٧٣-٧٥).

(٢) في ج، د، هـ: «سادتهم».

فقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه:

لا يجدون استطاعة على التزوُّج بأيِّ وجهٍ تعذَّر التزوج.

وقيل: معناه: لا يجدون صَداقًا للنكاح.

والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿الْكِتَٰبَ﴾ هنا: مصدرٌ بمعنى الكتابة، وهي مقاطعة العبد على مال مُنَجَّم، فإذا أدَّاه خرج حرًّا، وإن عجَز بقي رقيقًا.

وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى، سأل[1] مولاه أن يكاتبه فأبى عليه.

وحكمها مع ذلك عامٌّ؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب ﷺ لأنس بن مالك حين سأله مملوكُه سيرينُ الكتابة، فتلكَّأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنَّه أو لأُوجعنك بالدِّرَّة[2].

وإنما حمله مالك على الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها.

---

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية!، والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قريش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ٦٥٦، ٥/ ٢١٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٧٦).

واختُلف هل يُجبِر السيدُ عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا: القوة على أداء الكتابة بأيِّ وجهٍ كان.

وقيل: هو المال الذي يؤدِّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس.

وقيل: هو الصلاح في الدين.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتَب على كتابته، واختُلف فيمن المخاطب بذلك؟

فقيل: هو خطاب للناس أجمعين.

وقيل: للولاة.

والأمر على هذين القولين: للندب.

وقيل: هو خطاب لسادات المكاتَبين، وهو على هذا القول:

ندب عند مالك.

ووجوب عند الشافعي.

فإن كان الأمر للناس: فالمعنى: أن يعطوهم صدقات[1] من أموالهم.

وإن كان للولاة: فيعطوهم من الزكوات[2].

وإن كان للسَّادات[3]: فيَحُطُّوا عنهم من كتابتهم.

---

(١) في د، هـ: «صدقة».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) في أ، ب: «للسادة».

وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة.

وعلى القول بالحطِّ من الكتابة؛ اختُلف في مقدار ما يُحَطُّ؟

فقيل: الربع، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ.

وقيل: الثلث.

وقال مالك والشافعي: لا حدَّ في ذلك، بل أقلُّ ما ينطلق عليه[1] شيء، إلَّا أن الشافعيَّ يُجبِره على ذلك، ولا يُجبِره مالك.

وزمان الحطِّ عنه: في آخِر الكتابة عند مالك.

وقيل: في أول نَجْم.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ معنى ﴿الْبِغَاءِ﴾: الزنا، نهى الله المسلمين أن يُجبروا مملوكاتهم على ذلك.

وسبب الآية: أن عبد الله بن أبيِّ بن سلولٍ المنافقَ كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما على ذلك، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجعٌ إلى إكراه الفتيات على الزنا؛ إذ لا يتصوَّر إكراهُهن إلَّا إذا أردن التحصُّن، وهو التعفُّف.

وقيل: هو راجع إلى قوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ﴾. وذلك بعيد.

﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: ما تَكسِبه الأمةُ بفرجها، وما تلده من الزنا.

---

(١) في د زيادة: «اسم».

ويتعلَّق ﴿لِّتَبۡتَغُواْ﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ﴾.

﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ المعنى: غفورٌ لهنَّ رحيم بهن، لا يؤاخذهنَّ بالزنا؛ لأنهن أُكرهن عليه.

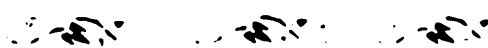
ويَحتمل أن يكون المعنى: غفور رحيم للسيد الذي يُكرههن إذا تاب من ذلك.

﴿ءَايَٰتٖ مُّبَيَّنَٰتٖ﴾ بفتح الياء: أي بيَّنها الله.

وبالكسر: مبيِّنات للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلٗا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حرامًا في كل ملة.

أو في براءة عائشة، كما برَّأ يوسف ومريم.



[﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾].

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقةً: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازًا: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء؛ فتأويل الآية: الله ذو نور السموات والأرض.

أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرَك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم.

أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «الله نَوَّرَ السماواتِ والأرضَ» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو؛ أي: جعل فيهما النور.

وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب: فمعنى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض، ولهذا قال ابن عباس: معناه: هادي أهلِ السموات والأرض(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرَك بالأبصار، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب» إلخ، أقول: ما ذكره المصنف من أن النور نوعان حسي ومعنوي، هو صحيح ومعلوم، وهذا يقتضي أن معنى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: منورهما بالنور الحسّيّ، وهو ما خلقه فيهما من الأنوار، كالشمس والقمر، وبالنور المعنوي، وهو هداه الذي يجعله في قلوب أنبيائه وأوليائه وملائكته، وقد سمَّى الله وحيه الذي بعث به رسله نورا وهدى، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾، وقال في الوحي: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، ونظائر هذا متعددة. وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس، قال: «نور السموات والأرض، أي: هادي أهل السموات والأرض»، كما ذكره المصنف رحمه الله. وقد جاء في السنة نظير ما في آية النور، قال ﷺ: «ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض»، وإذا كان الله منوِّرَ السماوات والأرض، والنورُ كمالٌ فهو أحق أن يكون النور وصفَه؛ إذ كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، ومعطي الكمال أحق به، ولم يثبت أن النور اسم من أسمائه تعالى؛ بل الاسم الذي نطق به الكتاب والسنة: نور السماوات والأرض، فيُدعى بهذا الاسم كما دعا به الرسول ﷺ.

وأما قول المؤلف: «أو وصَف نفسه بأنه نور»؛ فهذا لا يصح؛ لأن لفظ النور في الآية مقيَّد بالإضافة إلى السماوات والأرض، فلم يقل تعالى: الله نور، بل قال: نور السماوات والأرض، وتقدم معنى نور السموات والأرض، وهذا الاسم ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نظير: رب السماوات والأرض، وقيوم السماوات والأرض، لكن (قيوم) جاء في القرآن معرفا غير مضاف، وفي السنة جاء مضافا وغير مضاف. والله أعلم.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة: هي الكَوَّة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديدَ الإضاءة.

وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه.

والأول أصح وأشهر.

والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوَّره البشر من الإضاءة والإنارة.

وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه.

وقيل: الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائدٌ على محمد ﷺ.

وقيل: على القرآن.

وقيل: على المؤمن.

وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدَّم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟

فالجواب: أن ذلك يصحُّ مع التأويل الذي قدَّمناه؛ أي: الله ذو نور السموات والأرض.

أو كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ، ثم تقول: يَنْعَش الناسَ بكرمه(١).

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلى الغنى. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ المصباح: هو الفَتيل بناره، والمعنى: أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دريٍّ، وذلك يَحتمل معنيين:

إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها.

وإما أن يريد أنها في نفسها شديدةَ الضوء؛ لصفائها ورقَّة جوهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح.

والمراد بالكوكب الدرِّيِّ: أحد الدراري المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهرة وسهيل، ونحوها.

وقيل: أراد الزهرة.

ولا دليل على هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّىٌّ﴾ بضم الدال وبشدِّ الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان:

إما أن ينسب الكوكب إلى الدُّرِّ لبياضه وصفائه.

أو يكون مسهَّلًا من الهمز.

وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتقٌّ من الدَّرء بمعنى الدفع.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلى المصباح.

ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة.

والمعنى: يوقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة: لكثرة منافعها.

أو لأنها تنبت في الأرض المباركة، وهي الشام.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني: أنها بالشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام.

وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصةً للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب.

وقيل: إنها في وسط دَوْحة، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب.

وقيل: إنها من شجر الجنة، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقيةً أو غربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغةٌ في وصف صفائه وحسنه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: اجتماعَ نورِ المصباح وحسنِ الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك: كمال النور الممثَّل به.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق.

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ يعني: المساجدَ.

وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن.

والأول أصح.

والجارُّ يتعلَّق بما قبله؛ أي: كمشكاة في بيوت، أو تُوقَد في بيوت.

وقيل: بما بعده، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾، وكرر الجارَّ بعد ذلك تأكيدًا.

وقيل: بمحذوف؛ أي: سبِّحوا في بيوت.

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ المراد بالإذن: الأمرُ.

ورفعها: بناؤها.

وقيل: تعظيمها.

﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أي: غُدْوةً وعشيَّةً[1].

وقيل: أراد الصبح والعصر.

وقيل: صلاة الضحى والعصر.

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء.

وأما على القراءة بالفتح: فهو مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه الأول.

﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تشغلهم.

ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كلَّ شغل وبادروا إليها.

والبيع من التجارة، ولكنه خصَّه بالذِّكر تجريدًا؛ كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

---

(١) في ج: «وعشيًّا».

أو أراد بالتجارة الشراء.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: تضطرب من شدة الهول والخوف.

وقيل: تفْقهُ القلوب وتُبصِر الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ.

والأول أصح؛ كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تجنيس.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلّق: بما قبله، أو بفعل من معنى ما قبله.

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ تقديره: جزاءَ أحسنِ ما عملوا.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: زيادةً على ثواب أعمالهم.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذُكِر في «البقرة»(١).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذَكر الله حال المؤمنين؛ أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكفَّار:

الأول: يقتضي حالَ أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعُهم، بل يضمحلُّ ثوابها كما يضمحل السراب.

والثاني: يقتضي حالَ أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض.

---

(١) انظر (١/ ٤٣٠).

والسَّراب: هو ما يرى في الفلَوات من ضوء الشمس في الهَجيرة حتى يَظهر كأنه ماءٌ يجري على وجه الأرض.

والقِيعة: جمع قاعٍ، وهو المنبسط من الأرض.

وقيل: القيعة بمعنى القاع، وليس بجمع.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ الظَّمآن: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربَه، فإذا جاء خاب ما أمَّل، وبطَل ما ظنَّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعْه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ ضمير الفاعل: للظمآن، وضمير المفعول: للسراب، أو لموضع السراب.

أو يكون ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: شيئًا يُنتفع به، أو شيئًا موجودًا على العموم؛ لأنه معدوم.

ويَحتمل أن يكون:

ضمير الفاعل: للظمآن، وضمير المفعول للسراب.

أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ضمير الفاعل في ﴿وَجَدَ﴾ للكافر، والضمير في ﴿عِندَهُۥ﴾ لعمله.

والمعنى: وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله[(١)(٢)].

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ هذا هو المثل الثاني، وهو عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾.

والمشبَّه بالظلمات: أعمال الكفَّار؛ أي: هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ منسوب إلى اللُّجِّ، وهو معظم الماء.

وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثال[(٣)] قوبلت به أجزاء الممثَّل به؛ فالظلمات: أعمال الكافر، والبحر اللجي: صدره، والموج: جهله، والسحاب: الغطاء الذي على قلبه.

وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة.

وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغةٌ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ المعنى: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة.

---

(١) في أ، ب: «زِبْنِيَّةَ الله» وهو مفرد الزبانية، وفي ج: «زبانيته».

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «وجد الله عنده بالجزاء» أي: وجد جزاء عمله الذي أعده الله له، أقول: هذا معنى صحيح؛ ولا ينفي أن يكون من معنى الآية أن الكافر يجد الله يوم القيامة، أي: يلقاه، فيوبخه على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾. والله أعلم.

(٣) في ج، د: «المثل».

واختُلف في تأويل الكلام:

فقيل: المعنى: إذا أخرج يده لم يقارِب رؤيتَها، فنفَى الرؤية ومقاربتَها.

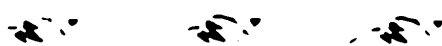
وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة؛ لأنَّ كاد إذا نُفِيت تقتضي الإيجاب، وإذا أُوجِبت تقتضي النفي.

وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على «كاد» كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يَحتمل النفي والإيجاب(١).

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كنايةٌ عن الهدى والإيمانِ في الدنيا.

وقيل: أراد: في الآخرة؛ أي: من لم يرحمه الله فلا رحمةَ له.

والأول أليق بما قبله.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى: العلم.

والتسبيح: التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لايعقل:

فقال الجمهور: إنه حقيقي، ولا يَبعد أن يلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء.

وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه.

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ يصففْنَ أجنحتهنَّ في الهواء.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في ﴿عَلِمَ﴾: لله، أو لـ ﴿كُلٌّ﴾.

والضمير في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: لـ ﴿كُلٌّ﴾.

﴿يُزْجِى﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سَوْق كل ثقيلٍ، كالسحاب.

﴿رُكَامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر.

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كجبل وجبال.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ **قيل**: إن الجبال هنا حقيقةٌ، وإن الله جعل في السماء جبالًا من برَدٍ.

وقيل: إنه مجاز، كقولك: عند فلان جبالٌ من مالٍ أو علمٍ؛ أي: هي في الكثرة مثل الجبال.

و﴿مِنَ﴾:

في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لابتداء الغاية.

وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعيض فتكون مفعول ﴿يُنَزِّلَ﴾.

و﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿وَيُنَزِّلُ﴾.

وقال الأخفش: هي زائدة. وذلك ضعيف.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ السَّنا بالقصر: الضوء، وبالمدِّ: المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا.

﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ يعني: بني آدم والبهائم والطيور؛ لأن ذلك كلَّه يَدِبُّ.

﴿مِّن مَّآءٖ﴾ يعني: المنيَّ.

وقيل: الماء الذي في الطين الذي خُلِق منه آدم وغيره.

﴿عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيَّات والحوت.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، وسببها: أن رجلًا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف.

﴿مُذۡعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيفٌ يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده.

﴿أَن يَحِيفَ﴾ معناه: أن يجور، والحَيْف: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر[١] الله وشرعه.



---

(١) في أ: «بما أمر».

[﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ
طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ
فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا
ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾
لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾].

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: «سمعنا وأطعنا» إذا دعوا إلى الله ورسوله.

وجعَل الدعاء إلى الله؛ من حيث هو إلى شرعه.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية؛ قال ابن عباس: معناها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾: في فرائضه، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: في سننه[1]، ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: فيما مضى من ذنوبه، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما يُستقبل.

وسأل بعض الملوك عن آيةٍ كافية جامعة، فذُكِرت له هذه الآية.

وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كلَّ ما في التوراة والإنجيل.

---

(١) في ج، د: «سنته».

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكَّدوها.

﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يعني: إلى الغزو.

﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ نهى عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثلُ وأولى بكم.

أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشَكُّ فيها.

﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة واتباع الشريعة.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وقيل: إن المراد بالآية: خلافةُ أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ؛ لقول رسول الله ﷺ: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»(١)، وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة عليّ.

فإن قيل: أين القَسَم الذي جاء قولُه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جوابًا له؟

فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم.

أو جعل الوعد بمنزلة القَسَم؛ لتحقُّقِه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦).

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾].

﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل: المراد بـ ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الرجال خاصة.

وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يَستأذنون في كل وقت.

وقيل: الرجال والنساء.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني: الأطفال غير البالغين.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ نصب على الظرفية لأنهم أُمروا[(١)] بالاستئذان في ثلاثة مواطن.

فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسَط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجرِّدين للنوم في غالب أمرهم.

وهذه الآية محكمة.

وقال ابن عباس: ترك الناس العمل بها.

وحملها بعضهم على الندب.

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ يعني: تتجرَّدون.

﴿ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وسَط النهار.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣].

ومَن رفع ﴿ثَلَٰثُ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها.

ومَن نصبه فهو بدلٌ مِن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدِّمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

---

(١) في ج: «لأنه أمر».

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلأجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان[١] في كل وقت.

﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾؛ أي: بعضكم يطوف على بعض.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضكم طائفٌ[٢] على بعض، أو فاعل بفعل مضمر[٣].

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ لما أُمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز:

فقيل: هي التي قعدت عن الولد.

وقيل: التي قعدت عن التصرُّف.

وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها.

﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُبح لغيرهنّ من وضع الثياب.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فلأجل ذلك يؤمر بالاستئذان»!، والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٠٧)، والكشاف (١١/ ١٤١).

(٢) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ١٤٥)، وتقدير الفعل المضمر: «يطوف».

قال ابن مسعود: إنما أبيح لهنَّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء.

وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهنَّ وضع الثياب، بشرط أن لا يقصِدْنَ إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنى: أن استعفافَهنَّ عن وضع الثياب المذكورة خيرٌ لهنَّ من وضعها، والأولى لهنَّ أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من السِّتر.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختُلف في المعنى الذي رَفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية:

فقيل: هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخُّرهم[١] عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله على هذا القول؛ كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلُّها في معنى الأكل، واختَلف الذاهبون إلى ذلك:

فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنَّبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقذَّرَهم[٢] الناس، فنزلت الآية مبيحةً لهم الأكل مع الناس.

وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو، وخلَّفوا أهل هذه الأعذار

---

(١) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستقذرهم».

في بيوتهم؛ كانوا[1] يتجنَّبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك.

وقيل: إن الناس كانوا يتجنَّبون الأكل معهم تقذُّرًا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف؛ لأن رفْع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم.

وقيل: إنَّ رفْع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم[2] منه أعذارهم من الجهاد وغيره.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى الإنسان الأكلَ من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم.

ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾؛ لأن بيتَ ابن الرجل بيتُه؛ لقوله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»[3].

واختَلف العلماء فيما ذُكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة:

فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلَّا بإذنه، والناسخ قولُه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقولُه ﷺ: «**لا يحل مال امرىء مسلم إلَّا عن طيب نفس منه**»[4].

وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك.

---

(١) في أ، هـ: «فكانوا».
(٢) في أ، ب، هـ: «يمنعهم».
(٣) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩١).
(٤) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥).

وقيل: بإذن وبغير إذن.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ يعني: الوكلاءَ والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازنِ أموال ساداتهم، فأُبيح[1] لهم الأكل منها.

وقيل: المراد: ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه. وهذا ضعيف.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة، كالعدوِّ، والمراد به هنا: جمْعٌ ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله: ﴿ءَابَآئِكُمْ﴾ و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ وغير ذلك.

وقرَن الله الصديق بالقرابة؛ لقرب مودَّته، وقال ابن عباس: الصديق أوكد من القرابة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحةٌ للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأنَّ بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلًا؛ خيفةً من البخل، فأباح لهم الله ذلك.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتًا مسكونةً فسلموا على مَن فيها من الناس، وإنما قال: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بمعنى: صنفكم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقيل: المعنى: إذا دخلتم بيوتًا خاليةً فسلموا على أنفسكم؛ بأن يقول الرجل: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

---

(١) في ج: «فأباح الله».

وقيل: يعني بالبيوت: المساجد، فأمر[١] بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلمْ على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين.

***

(١) في ج: «وأمر»، وفي د: «أمر»، وفي هـ: «والأمر».

[﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾].

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية؛ الأمرُ الجامع: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه.

ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان.

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ في معناها ثلاثة أقوال:

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمرٍ جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ فالمعنى: أن إجابتكم له إذا دعاكم[1] واجبةٌ عليكم، بخلاف إذا دعا بعضكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

(١) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاهم».

ويقوي هذا القولَ: مناسبتُه لما قبله من الاستئذان والأمرِ الجامع.

والقول الثاني: أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

وقيل: المعنى: لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض؛ أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه.

ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنى على أن المعنى صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني: الذي ينصرفون عن حفر الخندق.

واللِّواذ: الرَّوَغان والمخالفة.

وقيل: الانصراف في خُفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦ﴾ الضمير لله أو[1] لرسوله ﷺ.

واختُلف في ﴿عَنْ﴾ هنا:

فقيل: إنها زائدةٌ، وذلك ضعيف.

وقال ابن عطية: معناه: يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح[2].

---

(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١١/ ١٦٤)..
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤١٥).

وقال الزمخشري: يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صدَّ الناس عنه؛ فمعنى ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: يصدُّون الناس عنه؛ فحَذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف[1].

﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة: في الدنيا؛ بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل.

والعذاب: في الآخرة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد.

وقيل: معناها: التقليل على وجه التهكُّم.

والخطاب: لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين.

والعامل في الظرف: ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾.

---

(١) انظر: الكشاف (١١/ ١٦١).

﴿ سورة الفرقان ﴾

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ
تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى
يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ
يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا
﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾].

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختصٌّ بالله تعالى لم يُنْطَق له بمضارع.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك على وجه التَّشريف له والاختصاص.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير: لمحمد ﷺ.

أو للفرقان.

والأول أظهر.

وقوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

وتضمَّن صدرُ هذه الآية إثباتَ النبوة والتوحيد، والردَّ على من خالف في ذلك.

﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ ﴿خَلَقَ﴾: عبارةٌ عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير: عبارةٌ عن إتقان الصَّنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله، وغير ذلك.

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى.

﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون: قومًا من العبيد، منهم: عدَّاسٌ ويسارٌ وأبو فُكَيهةَ الرُّوميُّ.

﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نَسبوا إليه، وكذَبوا في ذلك عليه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطَره الأوَّلون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ، ثم صارت تملى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار.

وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الردِّ عليهم.

ولو كان ذلك لقال: «أكتَتَبها» بفتح الهمزة لمعنى[(١)] الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا.

وينبغي على قول الحسن أن يوقف على ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ردٌّ على الكفار في قولهم، ويعني[(٢)] بالسرِّ: ما أسرَّه الكفار من أقوالهم.

أو يكون ذلك على معنى التنصُّل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرِّي؛ فهو العالم بأني ما افتريتُ عليه، بل هو أنزله عليَّ.

فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار: أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يَعْجَلْ عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآيةَ، قال هذا الكلام قريشٌ؛ طعنًا على النبي ﷺ، وقد ردَّ[(٣)] الله عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾:

على وجه التهكُّم، كقوله فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الشعراء: ٢٧].

---

(١) في د: «بمعنى».

(٢) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٣) في ج: «رده».

أو يعنون: الرسول بزعمه.

ثم ذَكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم.

وقد ذكرنا معنى ﴿مَّسۡحُورًا﴾ في «سبحان»[(١)].

﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال.

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يَقدِرون على الوصول إلى الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراطِ جهلهم.



(١) انظر (٢/ ٨١٠).

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا
رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ
دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلۡ
أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ
فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا
يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ
﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا
تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا
قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا
بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾].

﴿خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يعني: جناتِ الآخرة وقصورَها.

وقيل: يعني: جناتٍ وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِن شَآءَ﴾.

﴿إِذَا رَأَتۡهُم﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يَحتمل أن تكون: حقيقةً.

أو مجازًا؛ بمعنى: صارت منهم بقَدْر ما يُرى على البعد.

﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ التغيُّظ لا يسمع، وإنما المسموع أصواتٌ دالة عليه، ففي لفظه تجوُّزٌ.

والزفير: صوتٌ ممدودٌ كصوت الحمار.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تُضيَّق عليهم زيادةً في عذابهم.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ أي مربوطٌ بعضهم إلى بعض، ورُوي أن ذلك بسلاسلَ من نار.

﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور: الويل، وقيل: الهلاك.

ومعنى دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون: يا ثبوراه!، كقول القائل: واحسرتى! وا أسفى!.

﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثَمَّ قولٌ.

وإنما دعوا ثبورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائمٌ، فالثبور يتجدَّد عليهم في كل حين.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخٌ، وإنما يُمنَع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان الكلام خبرًا.

﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾.

وقيل: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتَمه.

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القائل لذلك هو الله ﷻ.

والمخاطَب[١] هم:

المعبودون مع الله على العموم.

وقيل: الأصنام خاصَّةً.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، وقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أأنتم أظللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضلُّوهم أنتم؟، ولأجل ذلك بيَّن هذا المعنى بقوله: ﴿هُمْ﴾؛ ليُحقِّقَ[٢] إسنادَ الضلال إليهم.

وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور؛ ليوبِّخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبودون؛ قالوه على وجه التبرِّي ممن عبدهم كقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، والمراد بذلك: توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب

---

(١) في ب، د: «والمخاطبون».

(٢) في أ، ب: «ليتحقق».

نسيانهم لذكر الله وعبادته.

﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين، وهو من البوار بمعنى: الهلاك.

واختُلف: هل هو جمع بائرٍ؟ أو مصدرٌ وُصِف به؛ ولذلك يقع على الواحد والجماعة؟.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة؛ أي: قد كذَّبكم[1] آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم.

وقيل: هو خطاب للمعبودين؛ أي: كذَّبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا.

وقيل: هو خطاب للمسلمين؛ أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة.

وقرئ ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ بالياء من أسفل.

والباء في قوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾:

على القراءة بالتاء: بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبُوكُم﴾.

وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبتُ بالقلم؛ أي: كذَّبوكم بقولهم.

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق، ويحتمل على هذا:

أن يكون الخطاب: للمشركين أو للمعبودين، والصَّرف على هذين

---

(١) في د: «كذبوكم».

الوجهين: صرْفُ العذاب عنهم.

أو يكون الخطاب: للمسلمين، والصرف على هذا: ردُّ التكذيب.

وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلى المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف العذاب.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب للكفار.

وقيل: للمؤمنين.

وقيل: على العموم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلًا أو رجالًا قبلك، وعلى هذا المفعولِ المحذوفِ يعود الضميرُ في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

وهذه الآية ردٌّ على الكفار في استبعادهم بعثَ رسولٍ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنةٌ للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يَحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر(١) هل تصبرون.

---

(١) في ب، هـ: «لينظر».

[﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾﴾].

﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون.

والصحيح: أنه على بابه؛ لأن لقاء الله يُرجى ويُخاف.

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون[1]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الآية؛ أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه.

وقوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:

كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يؤمنوا».

أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر[١] في أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنى ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾:

إن كان للملائكة: فالمعنى أنهم يقولون للمجرمين: حجرًا محجورًا؛ أي: حرامًا عليكم الجنة أو البشرى.

وإن كان الضمير للمجرمين: فالمعنى أنهم يقولون: حجرًا؛ بمعنى عَوْذًا؛ لأن العرب كانت تتعوَّذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره[٢].

وانتصابه بفعل متروكٍ إظهارُه؛ نحو: معاذ الله.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: قصَدنا إلى أعمالهم؛ فلفظ القدوم مجازٌ.

وقيل: هو قدوم الملائكة، أسنده الله إلى نفسه؛ لأنه عن أمره[٣].

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكبر»، وعبارة الكشاف (١١/ ٢٠٨): «معناه: أضمروا الاستكبار عن الحق؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم».

(٢) في ج، د: «تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «قَصَدنا إلى أعمالهم، فلفظ القدوم مجاز» أقول: قوله: «قدمنا أي: قَصَدنا»، هو معنى ما جاء عن السلف؛ إذ قالوا في تفسير الآية: قدِمنا أي: عمَدنا، والمقتضي لهذا التفسير هو تعدية الفعل بإلى؛ فقَدِم مضمَّنٌ معنى قصَد أو عمَد، والفعل المضمَّن لمعنى فعل آخر يفيد معنى الفعلين، كما هو معلوم، وعليه: فقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ يفيد معنى (قَدِم) الذي فيه معنى أتى أو جاء، ومعنى عَمَد وقَصَد، وعلى هذا فليس في الآية مجاز، بل في الآية تضمين =

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ عبارةٌ عن عدم قَبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرطٌ في قبول الأعمال.

والهَباء: هي الأجرام الدقيقة[١] من الغبار التي لا تظهر إلَّا حين تدخل الشمس على موضع ضيِّقٍ كالكَوَّة.

والمنثور: المتفرِّق[٢].

﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقَرٌّ وهذا مستقَرٌّ.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقتَ القائلة في الأمكنة الباردة.

= الفعل معنى فعل آخر، كما تقدم. وعُلم مما تقدم أنه يمكن أن يستدل بالآية على إثبات المجيء لله، لكن إضافة الفعل إلى صيغة الجمع تفيد مجيء الملائكة أيضا، كما جاء الخبر عن الأمرين - مجيء الله ومجيء ملائكته - في غير موضع، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ولهذا يشير قول المؤلف: «وقيل: هو قدوم الملائكة»، أي: مجيئهم، والقائل بذلك الأشبه أنه من نفاة الصفات الفعلية عن الله، كالمجيء والإتيان، والحقُّ أنه تعالى يجيء كما يشاء، كما أخبر عن نفسه في عدد من الآيات، والأظهر أن منها هذه الآية: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) في ج، د، هـ: «المفترق».

وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيَقِيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء: انفطارها.

ومعنى ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾: أي: يخرج منها الغمام، وهو سحابٌ رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عضُّ اليدين: كنايةٌ عن الندم والحسرة.

والظالم هنا: عقبة بن أبي معيط.

وقيل: كل ظالم.

والظلم هنا: بمعنى الكفر.

﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس على العموم.

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ روي: أن عقبة جنَح إلى الإسلام فنهاه أبيُّ بن خلف، أو أمية بن خلف؛ فهو فلان.

وقيل: إن عقبة نهى أبيَّ بن خلف عن الإسلام، فالظالم على هذا: أبيٌّ، وفلانٌ: عقبة.

وإن كان الظالم على العموم: فـ﴿فلانا﴾ على العموم؛ أي: خليلُ كلِّ كافر.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

من قول الظالم.

أو ابتداءَ إخبارٍ؛ من قول الله تعالى.

ويَحتمل أن يراد بالشيطان: إبليس، أو الخليل المذكور.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ قيل: إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا.

وقيل: في الآخرة.

﴿مَهۡجُورٗا﴾ من الهَجر؛ بمعنى: البُعد والترك.

وقيل: من الهُجْر -بضم الهاء-؛ أي: قالوا فيه الهُجر حين قالوا: إنه شعر وسحر.

والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾ العدو هنا جمعٌ، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ لأنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرَّقًا؛ لنثبِّت به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذَّر عليه حفظه؛ لأنه أميٌّ لا يقرأ، فحفظ المفرَّق عليه أسهل.

وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند[١] حدوث سببه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «على».

وأيضًا؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتَّى ذلك فيما ينزل جملةً واحدةً.

﴿وَرَتَّلْنَهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرَّقناه تفريقًا، فإنه نزل بطول عشرين سنة.

وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدَّر الذي يتعلَّق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وبه يتعلَّق ﴿لِنُثَبِّتَ﴾.

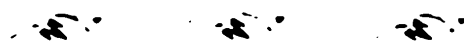
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالًا أو اعتراضًا إلَّا أتيناك في جوابه بالحقِّ والتفسيرِ الحسن الذي يُذهِب اعتراضهم ويبطل شبهتهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وحَشْرُهم على وجوههم حقيقةٌ؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادرًا على أن يُمشيه في الآخرة على وجهه؟!»[1].

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يَحتمل أن يريد بالمكان:

المنزلةَ والشرف.

أو الدار والمسكن في الآخرة.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ
أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا
تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ
كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ
رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ
عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾].

﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا.

﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ يعني: فرعونَ وقومه.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم.

﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ تأويلُه كما ذُكر في قوله في «هود»: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٩][1].

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يريد بالظالمين:

مَن تقدَّم، ووَضَع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر؛ لقصْد وصفهم بالظلم.

---

(١) انظر (٢/ ٥٩٥).

أو يريد الظالمين على العموم.

﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ معنى الرَّسّ في اللغة: البئر، واختُلف في أصحاب الرس:

فقيل: هم من بقية ثمود.

وقيل: من أهل اليمامة.

وقيل: من أهل أنطاكِيَة، وهم أصحاب ياسين.

واختُلف في قصتهم:

فقيل: بُعِث إليهم نبيٌّ، فرموه في بئر فأهلكهم الله.

وقيل: كانوا حول بئر لهم، فانهارت بهم فهَلَكوا.

﴿وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثيرَ والإبهام، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المذكور قبلُ من الأمم.

﴿لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: بيَّنَّا له.

﴿تَبَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ الضمير في ﴿أَتَوْا۟﴾ لقريش وغيرهم من الكفار.

والقرية: قرية قوم لوط.

و﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: الحجارة.

ثم وقَفَهم على رؤيتهم لها؛ لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالنُّشور.

و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذُكِر[(١)].

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى﴾ حكايةُ قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع معمولٍ[(٢)] لقولٍ محذوف يدلُّ عليه ﴿هُزُوًا﴾.

وقوله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئنافُ جملةٍ أخرى، وتمَّ كلامهم، واستأنفَ كلامَ الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآيةَ؛ على وجه التهديد لهم.

﴿ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار[(٣)] كأنه إله.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيَّعوها.

أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضرَّ الأشياء وهو العقاب.



---

(١) انظر صفحة ٣٣٢.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٣) في د زيادة: «له».

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ
سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا
﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيل: مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها.

واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير[1].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٤٢).

وقيل: [١] ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: أي: جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتًا غيرَ زائل لكنه جعله يزول بالشمس.

وقيل: معنى ساكن: غير منبسط على الأرض، بل يلتصق[٢] بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعَهم به وجلوسَهم فيه.

وقيل: معناه: لولا الشمس لم يُعرَف أن الظل شيءٌ؛ لأن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ قَبْضُه: نَسْخُه وزواله بالشمس.

ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئًا بعد شيء، لا دَفْعةً واحدة.

فإن قيل: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يَحتمل:

أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال.

أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن[٣] الثاني أعظمُ من

---

(١) في ج، د زيادة: «معنى».

(٢) في ج، د: «ملتصق».

(٣) في ج، د: «بأن كان».

الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ شبَّه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾ قيل: راحة.

وقيل: موتًا؛ لقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدلُّ عليه مقابلته بالنشور.

﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًا﴾ ذُكر في «الأعراف»[١].

﴿مَآءٗ طَهُورٗا﴾ مبالغةٌ في طاهر.

وقيل: معناه: مطهِّر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماءٌ طهورٌ؛ أي: مُطهِّر، وكل مُطهِّر طاهرٌ، وليس كل طاهر مُطهِّرًا.

﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ قيل: جمع إنسيٍّ.

وقيل: جمع إنسان.

والأول أصح.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن.

وقيل: للمطر، وهو بعيد.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١﴾ أي: لو شئنا لخفَّفنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكنا خصَصْناك بها كرامةً لك؛ فاصبر عليها.

---

(١) انظر (٢/ ٣٥٣).

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ الضمير: للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم[١].

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ مِلْحٌ وبحر عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ:

فقال ابن عباس: أراد بالبحرِ الملحِ الأجاجِ: بحرَ الأرض، وبالبحر العذبِ الفراتِ: بحرَ السحاب.

وقيل: البحر الملح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض.

(وقيل: البحر الملح: جميع الماء الملْح من الآبار وغيرها، والبحر العذب: هو مياه الأرض)[٢] من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأُجاج: نقيضه.

واختُلف في معنى مَرْجهما:

فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين.

وقيل: أَسال أحدَهما في الآخر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: فاصلًا يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان.

وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

---

(١) أي: جاهدهم بسبب كونك نذيرَ كافة القُرى. الكشاف (١١/ ٢٦٢).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِط مع التراب فصار طينًا.

وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنيُّ الذي يُخلَقون منه.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يَعُمَّان كل قربى؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قَرُبَ ذلك أو بَعُدَ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح.

وقيل: أراد بالنسب: الذكورَ؛ أي: ذوي[1] نسب يُنتَسب إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصاهَر بهنَّ، فهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: ٣٩].

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ الكافر هنا: الجنس.

وقيل: المراد أبو جهل.

والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أُجرةً ولا منفعة لنفسي.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالتقرُّب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع.

---

(١) في ب، د: «ذو».

وقيل: المعنى: إلّا أن تتخذوا إلى ربكم سبيلًا بالصدقة، فالاستثناء على هذا متصل.

والأول أظهر.

وفي الكلام محذوف تقديره: إلّا سؤال من شاء، أو ما أشبه ذلك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق؛ فإنه يموت.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل: «سبحان الله وبحمده»، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به.

ومعنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمده أقول ذلك.

ويَحتمل أن يكون المعنى: سبِّحه مُلْتبسًا[1] بحمده، فهو أَمْرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ يَحتمل أن يكون المراد بهذا:

بيانَ حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم.

أو يكون المراد: تهديد العباد؛ لعلم[2] الله بذنوبهم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»[3].

---

(١) في أ، ب، د: «متلبسًا».

(٢) في د: «بعلم».

(٣) انظر (٣٤٨/٢).

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدلٌ من الضمير في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن المراد: اسأل عنه من هو خبيرٌ عارفٌ به، فانتصب ﴿خَبِيرًا﴾ على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول: هو جبريل ﵇ و[1] العلماء، وأهل الكتاب.

والباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يَحتمل:

أن تتعلقَ بـ ﴿خَبِيرًا﴾.

أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها على هذا معنى «عن».

والمعنى الثاني: أن المراد: اسأل بسؤاله خبيرًا؛ أي: إن سألته تعالى تجده خبيرًا بكل شيء، فانتصب ﴿خَبِيرًا﴾ على الحال، وهو كقولك: «لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا» أي: رأيت برؤيته أسدًا.

﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مُسيلِمة الكذاب قد تسمَّى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل[2] في زادهم يعود على المقول وهو ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

---

(١) في ج، د: «أو».

(٢) في أ، ب، هـ: «المفعول».

[﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ
يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا
وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ
بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا
﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾].

﴿بُرُوجًا﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

وقيل: الكواكب العظام.

﴿سِرَٰجًا﴾ يعني: الشمس.

وقُرئ بضم السين والراء على الجمع، يعني: جميع الأنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا.

﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ أي: يخلف هذا هذا.

وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم الهيئة[١]، كالرِّكْبة والجِلسة، والأصل: جعلهما ذوَيْ خِلفةٍ.

﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه: يَعتبر في المصنوعات.

وقيل: يتذكَّر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه[٢] بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: عباده المرضيُّون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة.

و﴿عِبَادُ﴾ مبتدأ، وخبره:

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾.

أو قوله في آخر السورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: رفقًا ولينًا بحلم ووقار، ويَحتمل أن يكون ذلك:

وصفَ مشْيِهم على الأرض.

أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبَّر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدةَ حياتهم.

---

(١) في ج، د: «للهيئة».

(٢) في أ: «فيستذكره».

﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ أي: قالوا قولًا سديدًا؛ ليدفع الجاهل برفق.

وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلامًا»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم.

قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف.

وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحِلْم عنهم فمستحسنٌ غير منسوخ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده: يَحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله ﷻ.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكًا وخسرانًا.

وقيل: ملازمًا.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما، وهو القَوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلَّ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقابًا.

وقيل: الأَثَام: الإثم؛ فمعناه: يلق جزاء أثامٍ.

وقيل: الأثام: واد في جهنم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذُكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ **قيل**: نزلت في الكفار لأنهم المخلَّدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك[١] والقتل والزنا.

وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون.

فأما على مذهب المعتزلة: فالخلود على بابه.

وأما على مذهب أهل السنة: فالخلود عبارة عن طول المدة.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ **إن قلنا**: الآية في الكفار فلا إشكال فيها؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا.

وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف: هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ **قيل**: يوفِّقهم الله لفعل الحسنات بدلًا مما[٢] علموا من السيئات.

وقيل: إن هذا التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات.

﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: متابًا مقبولًا مرْضيًّا عند الله، كما تقول: لقد قلتَ يا فلان قولًا، أي: قولًا حسنًا.

﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب؛ فهو من الشهادة.

---

(١) في ج، د: «الإشراك».

(٢) في أ، ب، هـ: «عما».

وقيل: معناه: لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشاهدة والحضور.

والأول أظهر.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ اللغو: هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه.

ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أعرضوا عنه واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله؛ تنزيهًا لأنفسهم عن ذلك.

﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصَّمم والعمى، لا للخرور عليها.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله.

وقيل: أدخلهم معنا الجنة.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوةً يَقتدي بنا المتقون، فـ«إمامٌ»: مفرد يراد به الجنس.

وقيل: هو جمعُ آمٍّ؛ أي: متَّبِع.

﴿الْغُرْفَةَ﴾ يعني: غرفة الجنة؛ فهي اسم الجنس.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً أو استفهامية.

وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: لا يبالي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم، ولكنه[1] يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه.

ويكون على هذين القولين:

خطابًا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه.

أو خطابًا للمؤمنين خاصةً؛ لأنهم هم الذين يدعون الله ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصةً، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أن يدعوَكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى: الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول.

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي سوف يكون العذاب لِزامًا (أي: لازمًا)[2] ثابتًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «ولكن».

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ.

وأضمر العذاب وهو اسم كان؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدِّم.

واختُلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟



﴿ سورة الشعراء ﴾

[﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ
﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ
﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾].

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ تكلَّمنا على حروف الهجاء في أول «البقرة»(١).

ويختصُّ(٢) هذا: أنه قيل: الطاء من «ذي الطَّول»، والسين من «السميع» أو «السلام»، والميم من «الرحيم» أو «المنعم».

﴿بَٰخِعٞ﴾ ذُكر في «الكهف»(٣).

﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ الأعناق: جمع عُنق، وهي الجارحة المعروفة.

وإنما جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ جمع العقلاء:

لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).
(٢) في أ، ب، هـ: «ويخص».
(٣) انظر صفحة ٧.

أو[1] لأنه وصَفها بفعل لا يكون إلّا من العقلاء.

وقيل: الأعناق: الرؤساء من الناس شُبِّهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوسٌ وصدور.

وقيل: هم الجماعات من الناس.

فلا يَحتاج جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ إلى تأويل.

﴿مُّحۡدَثٍ﴾ يعني به: محدثَ الإتيان[2].

﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ.

﴿مِن كُلِّ زَوۡجٍ﴾ أي: من كلِّ صنفٍ من النبات، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى.

ووصفه بالكرَم؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ الإشارة إلى ما تقدَّم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد: إنَّ في كل واحد آيةً.

أو أشار إلى مصدر قوله: ﴿أَنۢبَتۡنَا﴾.

* * *

(١) في ج، د: «و».
(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك (٣/ ١٣١٩).

[﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾
وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾
فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ
نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى
حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ
لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ
أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ
فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ
يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾].

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ بالرفع:

عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾.

أو استئنافٌ.

وقرئ بالنصب؛ عطفًا على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أي: اجعله معي رسولًا أستعين به.

﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ يعني: قتْلَه للقبطيِّ.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ أي: لا تخفْ أن يقتلوك.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ خطابٌ لموسى وأخيه ومن كان معهما.

أو على جعل الاثنين جماعةً.

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ لفظه جمعٌ، وورد مورد تعظيم الله تعالى.

ويَحتمل أن تكون الملائكة هي التي تستمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع[(١)].

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «(مستمعون) لفظه جمعٌ، وورد مَورِد تعظيم الله تعالى» إلخ، أقول: قوله: «ورد مورد تعظيم الله» معناه: أن الله ذكر نفسه بصيغة الجمع وهو واحد للدلالة على عظمته تعالى، وهذا معنى صحيح؛ فإنه تعالى يذكر نفسه بصيغة المفرد مظهرا أو مضمرا، للدلالة على التوحيد، ويذكر نفسه بصيغة الجمع مظهرا أو مضمرا للدلالة على عظمته لكثرة أسمائه وصفاته، وكثرة عبيده وجنوده، وشواهدُ هذا في القرآن كثيرة؛ كما في هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، وقوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، وقد يراد بهذه الصيغة الملائكة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، فالمراد قراءة جبريل، وقوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، والمراد قرب الملائكة الحافظين الكاتبين لعمل العبد، وقد تدل هذه الصيغة على الأمرين معا؛ على التعظيم وعلى إرادة الملائكة، ومن ذلك هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، فالله يستمع، والملائكة يستمعون، كما قال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وقولُ المصنف: «إن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع»، هذا غلطٌ منه ﷺ منشؤه نفي الأفعال الاختيارية عن الله، وهي التي تكون بمشيئته تعالى، وهو المعروف من مذهب الأشاعرة، كيف وقد أخبر تعالى عن نفسه في هذه الآية بصيغة الجمع بأنه مستمع؟! ويشهد لذلك ما جاء في السنة، وهو قوله ﷺ: «ما أذِن الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنى بالقرآن، يجهر به»، وقولُه: (ما أذِن) أي: ما استمع، والأذَن - بالتحريك - الاستماع =

والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناءً واهتمامًا بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُم﴾ لموسى وهارون وفرعون وقومه.

وقيل: لموسى وهارون خاصةً؛ على معاملة الاثنين معاملةَ الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ التقدير: كلُّ واحدٍ منَّا رسول.

الثاني: أنهما جُعِلا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما أخوان؛ فكأنهما واحد.

الثالث: أن ﴿رَسُولُ﴾ هنا مصدرٌ وُصِف به، فلذلك يُطلَق[1] على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ: بمعنى رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا﴾ [طه: ٤٧]؛ فإنه بمعنى: المرسَل.

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ أي: أطلقهم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعونُ بهذا الكلام المنَّ على موسى، والاحتقارَ له.

= فالاستماع فعل من الله يكون بمشيئته، فهو تعالى يسمع جميع الأصوات، ويستمع لما شاء منها، ومن ذلك ما جاء في الآية والحديث، فالاستماع أخصُّ من السماع، فكلُّ استماع متضمنٌ للسماع دون العكس. والله أعلم.

(١) في ج، د: «أُطلق».

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام.

ويعني بالفَعْلة: قتلَه للقبطي.

والواو في قوله: ﴿وَأَنتَ﴾:

إن كانت للحال فقوله: ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ معناه: كافرٌ بهذا الدين الذي جئتَ به؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنًا، ولم يعلم بذلك فرعون.

وقيل: معناه من الكافرين بنعمتي.

وإن كانت الواو للاستئناف: فيَحتمل أن يريد:

من الكافرين بديني.

أو من الكافرين بنعمتي.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ القائل هنا: هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿فَعَلْتُهَا﴾ لقتله القبطي.

واختُلف في معنى قوله: ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾:

فقيل: معناه: من الجاهلين بأن وكْزَتي تقتُله.

وقيل: معناه: من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلةٌ في الكلام، وكأنها بمعنى حينئذٍ. قال ذلك ابن عطية(١).

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥).

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾[1].

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ معنى ﴿عَبَّدتَّ﴾: ذلَّلتَ واتخذتهم عبيدًا، فمعنى هذا الكلام: أنك عددتَ نعمةً عليَّ تعبيدَ بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة، إنما كانت نقمة؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلتُ أنا إليك فربَّيتني.

فالإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلى التربية.

و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾:

في موضع رفعٍ عطفُ بيان على ﴿تِلْكَ﴾.

أو في موضع نصبٍ على أنه مفعول من أجله.

وقيل: معنى الكلام: تربيتُك نعمةٌ عليَّ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركتني.

فهي في المعنى الأول: إنكارٌ لنعمته.

وفي الثاني: اعترافٌ بها.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ أجابه موسى بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟ تعجُّبًا من جوابه، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ لأن وجود الإنسانِ وآبائِه أظهرُ

---

(١) هذه الآية ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ بعد ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ وليست قبلها، فلو قال: «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله ..» لاستقامت العبارة، كما هي عبارة الكشاف (١١/ ٣٣٩)

الأدلة[١] عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلُّون[٢] بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطةً منه، وأبدى الازدراء والتهكُّم في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبَها آيةٌ ظاهرة لا يمكن أحدًا جحدُها، ولا أن يدعيَها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمروذ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلُّب فهدَّده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطُّفٍ؛ طمعًا في إيمانه، فقال: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَىۡءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟.

وقد تقدَّم في «الأعراف»[٣] ذكر العصا واليد، و﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ و﴿أَرۡجِهۡ﴾ و﴿حَٰشِرِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ثم قال آخرًا: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؟

فالجواب: أنه لايَنَ أوَّلًا طمعًا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبَّخهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».
(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».
(٣) انظر (٢/ ٣٧١، ٣٧٣).

[﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ
﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟
مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾
فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا
بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ
ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ أي: نتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسمٌ أقسموا به.

وقد تقدَّم في «الأعراف»[1] تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما بعد ذلك.

﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضرُّنا ذلك؛ لأننا ننقلب إلى الله.

---

(١) انظر (٢/ ٣٧٤).

[﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾].

﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ باتباع فرعون.

﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشِّرذمة: الطائفة من الناس، وفي هذا احتقارٌ لهم على أنه رُوي أنهم كانوا ستَّ مئة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ يعني: التي بمصر.

والعيون: الخُلْجان الخارجة من النيل، و[1] كانت ثمَّ عيون في ذلك الزمان.

وقيل: يعني الذهب والفضة وهو بعيد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكّام.

وقيل: المنابر.

---

(١) في أ، ب، د: «أو».

وقيل: المساكن الحِسان.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع خفضٍ؛ صفةٌ لـ ﴿وَمَقَامٍ﴾.

أو في موضع نصبٍ، على تقدير: أخرجناهم مثلَ ذلك الإخراج.

أو في موضع رفعٍ، أنه خبر ابتداء تقديره: الأمرُ كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر.

على أن التواريخ لم يُذكر فيها مُلْك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم مَلَكوا الشام، فتأويله على هذا: أورثهم مثل ذلك بالشام.

﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل.

﴿مُّشْرِقِينَ﴾ معناه: داخلين في وقت الشروق، وهو طلوع الشمس.

وقيل: معناه: نحو المشرق.

وانتصابه على الحال.

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وزن ﴿تَرَٰٓءَا﴾ تفاعل، وهو مشتقٌّ من الرؤية، والجمعان: جمع موسى وجمع فرعون، أي: رأى بعضهم بعضًا.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسى البحر فانفلق.

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء منه، والطود: الجبل.

ورُوي: أنه صار في البحر اثنا عشر طريقًا، لكل سبط من بني إسرائيل طريقٌ.

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ يعني بـ ﴿الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، ومعنى: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قرَّبناهم من البحر ليغرقوا.

و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ يراد به هنا: حيث انفلق البحر، وهو بحر القُلزُوم.



[﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ
وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ
﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ
مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ
﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾
تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ
﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبينَ لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيمَ عليهم الحجة.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرَّحوا بقولهم ﴿نَعْبُدُ﴾، مع أن السؤال - وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ - يغني عن التصريح بذلك، وقياسُ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]؟.

فالجواب: أنهم صرَّحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة

الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ مبالغةً في ذلك.

﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد المحض.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناءٌ منقطع.

وقيل: متصل؛ لأن في آبائهم مَن عبد الله تعالى.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ أسند المرضَ إلى نفسه والشفاءَ إلى الله؛ تأدُّبًا مع الله.

﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ قيل: أراد كذباته[1] الثلاثة الواردة في الحديث[2]، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعاريض فلا إثم فيها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً جميلًا.

﴿لَا يَنفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم، وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضًا من كلام إبراهيم.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي.

وقيل: الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره.

---

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

وقيل: بقلب لديغ من خشية الله، والسَّليم: هو اللديغ لغة.

وقال الزمخشري: هذا من بِدَع[(١)] التفاسير[(٢)].

وهذا الاستثناء:

يحتمل أن يكون متصلًا، فيكون: ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ مفعولًا، بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ والمعنى على هذا: أن المال لا ينفع إلَّا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلَّا من علَّمهم الدين وأوصاهم بالحق.

ويَحتمل أيضًا أن يكون متصلًا، ويكون قوله: ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ على حذف مضاف تقديره: إلَّا مالُ من أتى الله وبنوه.

ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنى: «لكن».

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِّبت.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ يعني: المشركين؛ بدلالة ما بعده.

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ كبكبوا: مضاعف مِن «كَبَّ»[(٣)] كُرِّرت حروفه؛ دلالة على تكرير معناه، أي: كبَّهم الله في النار مرةً بعد مرة.

والضمير للأصنام، و﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم المشركون.

وقيل: الضمير للمشركين، و﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم الشياطين.

﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: نجعلكم سواءً معه.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «بديع»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٢) الكشاف (١١/ ٣٨١).

(٣) في ب، ج: «مضاعف مركب»!.

﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾ يعني: كبراءهم، وأهل الجُرْم والجُرْأة منهم.

﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الودّ.

قال الزمخشري: جمَع الشفعاء ووحَّد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء(١).



(١) الكشاف (١١/ ٣٨٦).

[﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالجمع وإنما كذبوا نوحًا وحده؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس، كقولك: «فلان يركب الخيل» وإنما لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

والآخر: أنَّ من كذَّب نبيًّا واحدًا فقد كذب جميع الأنبياء عليهم السلام؛ لأن قولهم واحد ودعوتهم سواءٌ.

وكذلك الجواب في: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ وغيره.

﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ جمع أرذلٍ، وقد تقدَّم الكلام عليه في قوله: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧] في «هود»[١].

(١) انظر (٢/ ٥٨١).

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ يعني: الذين سمَّوهم أرذلين، فإنَّ الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن يطرد عمار بن ياسر وصهيبًا وبلالًا وأشباههم من الضعفاء.

﴿ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريد الرجم:

بالحجارة.

أو بالقول، وهو الشتم.

﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا.

﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي: المملوء.

[﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟
سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾].

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الرِّيع: المكان المرتفع.

وقيل: الطريق.

﴿ءَايَةً﴾ يعني: المبانيَ الطِّوال.

وقيل: أبراج الحمام.

﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مَصنع، وهو ما أُتقِن صُنْعُه من المباني.

وقيل: مآخذ الماء.

﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الآيةَ؛ تفسير لقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبْهَمَ أوَّلًا، ثم فسَّره.

﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام: أي: عادتهم، والمعنى: أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا[1] إلَّا عادة الناس الأوَّلين.

---

(١) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويَحتمل على هذا وجهين:

أحدهما: أنه بمعنى الخِلْقة، والمعنى: ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلَّا خِلْقة الأولين.

والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى: ما هذا الذي جئتَ به إلَّا كذب الأولين.



[﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟
أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ
﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا
شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾].

﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويفٌ لهم، معناه: أتطمعون أن تُتركوا في النعم على كفركم.

﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلع: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكِمِّ، والهضيم: اللين الرَّطب، فالمعنى: أنَّ طَلْعها يتمُّ ويَرطب.

وقيل: هو الرَّخْص[1] أول ما يخرج.

وقيل: الذي ليس فيه نوى.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي على النخل؟

فالجواب: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ويَحتمل أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عَطف عليها النخل.

---

(١) الرَّخْص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ ذكر في «الأعراف»[(١)].

﴿فَرِهِينَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في ﴿تَنْحِتُونَ﴾.

وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس.

وقيل: معناه: أقوياء.

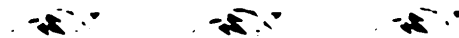
وقيل: أشِرين بَطِرين.

﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغةٌ في المسحورين، وهو من السِّحْر -بكسر السين-.

وقيل: من السَّحر -بفتح السين- وهي الرِّئة، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر.

﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظٌّ من الماء.

﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسَبما أخبرهم صالح ﷺ ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.



---

(١) انظر (٢/ ٣٦١).

[﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۝١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٤ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝١٦٦ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۝١٦٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٦٩ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ۝١٧١ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۝١٧٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝١٧٣ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾].

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين.

وفي قوله: ﴿قَالَ﴾، و﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجّني من عقوبة عملهم.

أو اعصمني من عملهم.

والأول أرجح.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ذُكر في «الأعراف»[١]، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.

---

(١) انظر (٢/ ٣٦٣).

[﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾].

﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء، مثل الذي في «الحجر» و«ق»، ومعناه: الغَيْضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» بفتح اللام والتاء:

فقيل: إنه مسهَّلٌ من الهمز.

وقيل: إنه اسم بلدهم، ويقوِّي هذا القول بأنه -على هذه القراءة بفتح التاء- غير منصرف، فدلَّ[1] ذلك على أنه اسمٌ عَلَمٌ.

وضعَّف ذلك الزمخشري، وقال: إن «لَيْكَة» اسمٌ لا يُعرف[2].

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لمْ يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!:

فقيل: إن شعيبًا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ

---

(١) في ج، د: «يدل».

(٢) الكشاف (١١/ ٤١١).

مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وبعث أيضًا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ على هذا مبعوثًا إلى قبلتين[١].

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل[٢] «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهًا[٣] لشعيبٍ عن النسبة إليها.

﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

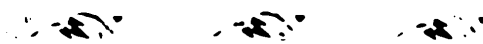
﴿بِالْقُسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ يعني: القرونَ والأمم المتقدِّمة.

﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة[٤] من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة.

فإن قيل: لم كرَّر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟

فالجواب: أن ذلك أبلغُ في الاعتبار، وأشدُّ تنبيهًا للقلوب، وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائم مستقل بنفسه، فخُتمت بما خُتمت به صاحبتها.



---

(١) في أ، ب: «القبيلتين».
(٢) في د: «قال».
(٣) في ج: «تشريفًا».
(٤) في ج، د: «سحابٌ».

[﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ
عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ
﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ
وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾
إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾
وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ
تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ
مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾].

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ الضمير للقرآن.

﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إشارةٌ إلى حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يَحفظ.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿الْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أن القرآن مذكورٌ في كتب المتقدِّمين، ففي ذلك دليلٌ على صحته، ثم أقام الحجة على قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ والمعنى: أنَّ عِلْمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آيةٌ لكم وبرهان، والمراد: مَن أسلم مِن بني إسرائيل، كعبد الله بن سلَام.

وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ الآية؛ ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم، سواءٌ كان إنسانًا أو بهيمةً أو جمادًا.

والأعجميُّ: المنسوب إلى العَجَم، وقيل: هو بمعنى الأعجم.

ومعنى الآية: أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا؛ لإفراط عنادهم، ففي الآية[١] تسليةٌ للنبيِّ ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ معنى ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أدخلناه.

والضمير:

للتكذيب الذي دلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام.

أو للقرآن، أي: سلكناه في قلوبهم مكذَّبًا به.

وتقدير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل هذا السَّلْك سلكناه.

---

(١) في ج، د، هـ: «ذلك».

و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد به: قريشًا، أو الكفارَ المتقدِّمين.

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تفسيرٌ للسَّلْك الذي سَلك[1] في قلوبهم.

﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ تمنَّوا أن يؤخَّروا حين لم ينفعهم التمني.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ توبيخٌ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ المعنى: أن مدَّة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدةَ سنين؛ لأن كل ما هو آتٍ قريبٌ.

قال بعضهم: ﴿سِنِينَ﴾ يراد[2] به عمر الدنيا.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قومًا إلَّا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولًا فأنذرهم فكذبوه.

﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبٌ:

على المصدر من معنى الإنذار.

أو على الحال من الضمير من ﴿مُنذِرُونَ﴾.

أو على المفعول من أجله.

أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ الضمير للقرآن، وهذا ردٌّ على من قال: إنه

---

(١) في ج: «سلكه».

(٢) في ج، د: «يريد».

كهانة نزلت[١] بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه. ولفظ «ما ينبغي» تارةً يستعمل بمعنى: لا يمكن، و[٢] بمعنى: لا يليق.

﴿إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ تعليلٌ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛ لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيرًا منتشرًا قبل ذلك.

﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية[٣].

قال الزمخشري: في معناها قولان:

أحدهما: أنه أُمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس.

والآخر: أنه أُمر أن لا يأخذه ما يأخذُ القريبَ من الرأفة بقريبه، ولا يُحابيهم بالإنذار[٤].

﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ عبارةٌ عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ أي: حين تقوم في الصلاة.

---

(١) في ج: «تتنزلت».

(٢) في د: «وتارةً».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(٤) الكشاف (١١/ ٤٣٠).

ويَحتمل أن يريد: سائر التصرفات.

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله: ﴿يَرَىٰكَ﴾، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد.

وقيل: معناه: يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارةٌ إلى الصلاة في[1] الجماعة.

وقيل: يرى تقلُّب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره.

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾ هذا جواب السؤال المتقدِّم وهو قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، والأفَّاك: الكذَّاب، والأثيم: الفاعل للإثم، يعني بذلك الكهان.

وفي هذا ردٌّ على من قال: إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تتنزَّل إلَّا على أفاكٍ أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبرِّ.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يَحتمل:

أن يكون للشياطين؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الملائكة.

أو يكون للكهان؛ بمعنى: أنهم يستمعون إلى الشياطين.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنى: يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضًا على هذا:

أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان.

(١) في ج، د: «مع».

أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يعني:

الشياطين.

أو الكهان؛ لأنهم يَكْذِبون فيما يخبرون به عن الشياطين.

﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ لما ذَكر الكهان ذكر الشعراء؛ ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة.

وأراد: الشعراء الذين يُلقون من الشعر ما لا ينبغي، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك.

وقيل: أراد شعراء الجاهلية.

وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم.

و﴿الْغَاوُۥنَ﴾ **قيل**: هم رواة الشعر.

وقيل: هم سفهاء الناس الذي تعجبهم الأشعار؛ لما فيها من اللغو والباطل.

وقيل: هم الشياطين.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارةٌ وتمثيل؛ أي: يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويُفْرِطون في التجوُّز حتى يَخرجون[1] إلى الكذب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ؛ استثناءٌ من الشعراء يعني به: شعراء المسلمين؛ كحسان بن ثابت وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «يخرجوا».

وقيل: إن هذه الآية مدنية.

﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: ذكروا الله في أشعارهم.

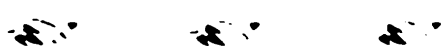
وقيل: يعني الذكر على الإطلاق.

﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ إشارةٌ إلى ما قاله حسان بن ثابت وغيره من الشِّعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا، والظلم هنا: بمعنى الاعتداء على الناس؛ لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾.

وعَمِل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَىَّ﴾ لتأخُّره.

وقيل: إن العامل في ﴿أَىَّ﴾: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾.



﴿ سورة النمل ﴾

[﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ
ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ
أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي
لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١
وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا
فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ
أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾].

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضِها على بعض، وإن كان الموصوف واحدًا.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ في موضع نصْبٍ على المصدر.

أو في موضع رفْعٍ على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ تَحتمل هذه الجملة:

أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

أو تكون مستأنَفةً وتمَّت الصلة قبلها. ورجَّح الزمخشري هذا[(١)].

﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يتحيَّرون.

﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: في الدنيا وهو القتل يوم بدر.

ويَحتمل أن يريد عذاب الآخرة.

والأول أرجح؛ لأنه ذَكر الآية بعد ذلك.

﴿لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: تُعطاه.

﴿ءَانَسۡتُ﴾ ذكر في «طه»[(٢)]، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾.

والشهاب: النجم، شبَّه القبس به.

وقرئ:

بإضافة ﴿بِشِهَابٍ﴾ إلى ﴿قَبَسٍ﴾.

وبالتنوين، على البدل أو الصفة.

فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ وفي الموضع الآخر: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ١٠]؛ والفرق بين الترجي والتسويف: أن التسويف متيقَّن الوقوع بخلاف الترجي؟

فالجواب: أنه قد يقول الراجي: «سيكون كذا» إذا قوي رجاؤه.

---

(١) الكشاف (١١/ ٤٥٤).

(٢) انظر صفحة ٩٢.

﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعِلون، وهو مشتقٌّ مِن صَلِيَ بالنار، والطاء بدل من التاء.

﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة، و﴿بُورِكَ﴾ من البركة، و﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: يعني مَن في مكان النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مَن حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام.

وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام[١].

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يكون:

مما قيل في النداء لموسى عليه السلام.

أو يكون مستأنفًا.

وعلى كلا الوجهين قُصد به: تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، و[٢] في قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه[٣].

---

(١) الكشاف (١١/ ٤٦٤).

(٢) في أ، ج: «أو».

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام» إلخ، أقول: الأظهر أن ذلك من جملة ما قيل لموسى عليه السلام في النداء، وهو مع ذلك دالٌّ على تنزيه الله عن كل نقص، والتنزيه هو مدلول الكلمة في كل مواردها، وفي هذا تعليم لموسى ما يستحقه الرب من التنزيه، كما علَّمه تعالى ما يستحقه من الإلهية والربوبية والتنزيه عن الشرك في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. =

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفةٌ على قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك؛ فكلاهما تفسيرٌ للنداء.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ الجان: الحية.

وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]!.

والجواب: أنها ثعبان في جِرْمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء منقطع، تقديره: لكن مَن ظلم من سائر

= وأما قول المصنف «أو يكون مستأنفًا، وعلى كلا الوجهين: قُصِد به تنزيهُ الله» هذا القدر من عبارته صحيح، ولا إشكال فيه، ولكنه - عفا الله عنه - قيَّد التنزيه بقوله: «مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء» إلخ، وقد أجمل وأبهم ما عسى أن يخطر ببال السامع من معنى النداء، وكذا لم يوضح ما قاله بعض الناس في الآية مما يجب تنزيه الله عنه، ولهذا صار كلامه غامضا لا يفيد السامع معنى محددا، ولا يَفهم مراده إلا من يعرف مذهبه في كلام الله، وإذْ قد عُلم مما تقدم أن المؤلف على طريقة الأشاعرة، ومذهب الأشاعرة في كلام الله أنه معنى نفسيٌّ قديم، ليس بصوت ولا حرف، ولا يكون بمشيئته، فالذي يحذره المؤلف أن يُفهم من لفظ النداء أن كلامه تعالى بصوت؛ لأن النداء هو الخطاب بصوت رفيع مسموع، ومذهب أهل السنة أن كلام الله يكون بصوتٍ، مناداةً ومناجاةً، فالله نادى موسى وناجاه، وأما قوله: «قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه»، فلعله يريد قول من قال: المراد بمَن في النار هو الله، وهذا القول يستعظمه من لم يعرف مراد من قال ذلك من السلف، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ أن قُدِّس، وأن النار هي نور، وبمعرفة ذلك يزول الإشكال.

الناس، لا من المرسلين.

وقيل: إنه متصل؛ على القول بتجويز الذنوب على الأنبياء، وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضًا فإن تسميتَهم ظالمين شنيعٌ على القول بتجويز الذنوب عليهم.

﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملًا صالحًا.

﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»[١].

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: ﴿أَلْقِ﴾ و﴿أَدْخِلْ﴾، تقديره: نيسِّر لك ذلك في جملة تسع آيات.

وقد ذُكرت الآيات التسع في «الإسراء»[٢].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلِّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.

﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرةً واضحة الدلالة، أَسند الإبصار لها مجازًا، وهو في الحقيقة لمتأمِّلها.

﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقَّنوا أنها الحق، فكُفْرهم عنادٌ، ولذلك قال فيه: ﴿ظُلْمًا﴾، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد».

﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني: تكبُّرًا.

---

(١) انظر صفحة ٩٦، ولم يذكر هناك معنى الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص.

(٢) انظر (٢/ ٨٣٥).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ
شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى
بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ
كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا
وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾].

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فُهِّمنا من أصوات الطير المعانيَ التي في نفوسها.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير

كقولك: فلان يقصده كل أحد.

وقوله: ﴿عُلِّمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾ يحتمل أن يريد:

نفسه وأباه.

أو نفسه خاصةً على وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكًا.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافًا شديدًا، تركنا ذكره؛ لعدم صحته.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُكَفُّون ويردُّ أولهم إلى آخرهم، ولا بدَّ لكل ملك أو حاكم من وَزَعَةٍ يَدفعون الناس.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ ظاهر هذا: أن سليمان وجنوده كانوا مشاةً بالأرض أو ركبانًا، حتى خافت منهم النملة.

ويَحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسَّت النملة بنزولهم في وادي النمل.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فَطِنٌ، قويُّ الحِس، يدَّخر قُوتَه، ويقسم الحبة بقسمين؛ لئلا تنبت، ويقسم حبة الكُزْبُر بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قمست على اثنين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، ورُوي أن سليمان سمعه، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال، وذلك لا يسمعه البشر إلَّا من خصَّه الله بذلك.

﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يُؤمر به العقلاء.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون:

جوابًا للأمر.

أو نهيًا بدلًا من الأمر؛ لتقارب المعنى.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذارٌ عنهم لو حَطَموا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يَحطِموهم.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسَّم لأحد أمرين:

أحدهما: سرورُه بما أعطاه الله.

والآخر: ثناءُ النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصفٌ لهم بالتقوى والتحفُّظ من مضرَّة الحيوان.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ اختلف الناس في معنى تفقُّده للطير؟

فقيل: ذلك عنايةً بأمور ملكه.

وقيل: لأن الطير كانت تُظِلُّه، فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ أي: لا أراه ولعله حاضرٌ وستره ساتر، ثم عَلم أنه غائب فأخبر بذلك.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه.

﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي حجةٍ بينة.

﴿فَمَكُثَ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم.

والفعل يَحتمل أن يكون مسندًا:

إلى سليمان عليه السلام.

أو إلى الهدهد، وهو أظهر.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني: زمانًا قريبًا.

﴿أَحَطتُ﴾ أي: أحطت علمًا بما لم تعلمْه.

﴿مِن سَبَإٍ﴾ هي[1] قبيلةٌ من العرب، وجدُّهم الذي يُعرَفون به: سبأُ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ومَن صرَفه أراد الحيَّ أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة.

وقرئ بالتسكين؛ لتوالي الحركات.

وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ ضربٌ من أدوات البيان، وهو التسجيع[2].

﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة: بلقيس بنت شُراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغَلبت بعده على الملك.

والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ يعود على سبإ، وهم قومها.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه المَلِك.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير ملكها.

---

(١) في ج، د: «يعني».

(٢) في أ، ب، هـ: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولى (١/ ١١٢).

ووقف بعضهم على ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتدأ ﴿عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا﴾ على تقدير: عظيمٌ أنْ وجدتها وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمَله عليه الفرارُ من وصف عرشها بالعظمة.

﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ من كلام الهدهد، أو من كلام الله.

وقرأه الجمهور بالتشديد، و«أَنْ»:

في موضع نصبٍ على البدل من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

أو في موضع خفض على البدل من ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾.

أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحَذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ بالتخفيف على أن تكون «ألَا» حرفَ تنبيهٍ، وأن تكون الياء للنداء[1]، فيوقف عليها بالألف على تقدير: «يا قوم» ثم يَبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ الخبءُ في اللغة: الخفي:

فقيل: معناه هنا: الغيب.

وقيل: يخرج النبات من الأرض.

واللفظ يعمُّ كل خفيٍّ، وبه فسره ابن عباس.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كَوَّة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكَوة.

---

(١) في ج، د: «تكون ياء النداء».

وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب.

والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١].

﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ قبلَ هذا الكلام محذوفٌ، تقديره: فألقى الهدهدُ إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت[١] أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.

﴿كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرَم:

لأنه من عند سليمان.

أو لأن فيه اسم الله.

أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»[٢].

﴿مِن سُلَيْمَـٰنَ﴾ يَحتمل أن يكون هذا:

نصّ الكتاب بدأ فيه بالعُنوان.

وأن يكون من كلامها؛ أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.

﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يكون:

من الانقياد؛ بمعنى: مستسلمين.

أو يكون من الدخول في الإسلام.

* * *

---

(١) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٠٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٥٨).

[﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ
أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟
قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ
ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم
بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى
مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ
مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ
ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى
ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ
رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾].

﴿أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ يحتمل أن يريد:

قوة الأجساد.

أو قوة الملك والعُدد والعَدد[1].

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى؛ تصديقًا لقولها، فيوقف على ما قبله.

---

(١) هذه الكلمة سقطت من أ، ج، د.

أو من كلام بلقيس:

تأكيدًا للمعنى الذي أرادته.

أو تعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها: إني أجرِّب[1] هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكًا دنياويًا: أرضاه المال، وإن كان نبيًّا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولُنا في دينه، فبعثت إليه هديةً عظيمة وصفها الناس، واختصرنا وصفها؛ لعدم صحته.

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إنكارٌ للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه.

﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها، وأنا لست كذلك.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول.

وقيل: للهدهد.

والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ مسندٌ إلى الرسول.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل: سليمان، والملأ: جَمْعُه من الجن والإنس.

وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وُصف له بعظمةٍ، فأراد أخذه

---

(١) في أ، ب، هـ: «مجربة».

قبل أن يُسلموا فيمنعَ إسلامُهم من أخذ أموالهم، فـ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: من الدخول في دين الإسلام.

وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليُظهِر لهم قوَّته، فـ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا: بمعنى منقادين.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن.

﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدْوةٍ[1] إلى الظهر.

وقيل: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائمًا.

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف، وكان رجلًا صالحًا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم.

وقيل: هو الخَضِر.

وقيل: هو جبريل.

والأول أشهر.

وقيل: هو سليمان، وهذا بعيد.

﴿آتِيكَ بِهِ﴾ في الموضعين: يَحتمل أن يكون: فعلًا مستقلًا، أو اسمَ فاعل.

﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطَّرف: العين، فالمعنى على هذا: قبل أن

---

(١) في د: «من الصبح».

تُغمِض بصرك إذا نظرت إلى شيء.

وقيل: الطرف: تحريك الأجفان إذا نظرت.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ، تقديره: فجاء الذي عنده علمٌ من الكتاب بعرشها.

ومعنى ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: حاصلًا عنده، وليس هذا بـ«مستقرٍّ» الذي يقدِّر النحويون تعلُّقَ المجرورات به، خلافًا لمن فهم ذلك.

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: منفعةُ الشكر لنفسه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره: تغيير وصفه وسَتر بعضه.

وقيل: الزيادة فيه والنقص منه.

وقصَد بذلك اختبار عقلها وفهمها.

﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ يَحتمل أن يريد تهتدي:

لمعرفة عرشها.

أو للجواب عنه إذا سئلت.

أو للإيمان.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها، فأمر بتنكيره، وأن يقال لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمثل[1] هذا عرشك؟ (ولم

---

(١) في ب، ج: «مثل».

يقل لها: «أهذا عرشك؟»)[١]؛ لئلا تَفْطَن أنه هو، فأجابت بقولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ جوابًا على نحو السؤال، ولم تقل: «هو هو»؛ تحرُّزًا من الكذب، أو من التَّحقيق في محل الاحتمال.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك؛ اعترافًا بنعمة الله عليهم في أنْ آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها.

والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمتْ هي وعلمتْ وَحدانيةَ الله وصحةَ النبوَّة وأوتينا نحن العلم قبلها.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا يَحتمل أن يكون:

من كلام سليمان وقومه.

أو من كلام الله تعالى.

ويَحتمل أن يكون ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾: فاعلًا، أو مفعولًا.

فإن كان فاعلًا: فالمعنى: صدَّها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت.

وإن كان مفعولًا: فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدَّها اللهُ أو سليمانُ عمَّا كانت تعبد من دون الله، فدخلت في الإسلام.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾ الصَّرح في اللغة: القصر.

---

(١) سقط من ب، هـ

وقيل: صحن الدار.

وروي أن سليمان أمر قبل قدومها، فبُنِي[1] له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأته حسبته لجةً، واللجة: الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقيها؛ لتدخله لما أُمِرت بدخوله.

وروي أن الجن كرهوا تزوُّج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبولٌ، وإن رجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقيها بالصرح، فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقًا، فتزوجها وأقرَّها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر.

وقيل: أسكنها معه بالشام.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنَّت أن الصرح لجة ماءٍ فكشفت[2] عن ساقيها لتدخل الماء؛ قال لها سليمان: إنه صرحٌ.

والممرَّد: الأملس، وقيل: الطويل.

والقوارير: جمع قارورة، وهي الزجاجة.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني: بكفرها فيما تقدَّم.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس.



(١) في د: «أن يبنى».

(٢) في ج، د: «وكشفت».

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ
﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ
﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ
﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ
﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ
لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾].

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان: من آمن ومن كفر، واختصامهم: اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لمَ تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاءمنا بك، وكانوا قد أصابهم القحط.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: السبب الذي يَحدث عنه خيرُكم أو شرُّكم هو عند الله، وهو قضاؤه وقدره، وذلك ردٌّ عليهم في تطيُّرهم، ونسبتِهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: مدينة ثمود.

﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يُقرِضون الدنانير والدراهم. ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك.

﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: احلفوا[1] به.

وقيل: إنه فعل ماضٍ، وذلك ضعيف، والصحيح: أنه فعل أمرٍ، قاله بعضهم لبعض، وتعاقدوا عليه.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: لنقتلنَّه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه.

﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: نتبرَّأ من دمه إن طلبَنا به وليُّه.

و﴿مُهْلَكَ﴾ يَحتمل أن يكون: اسم مصدرٍ، أو زمانٍ، أو مكانٍ.

فإن قيل: إن قولهم: ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ يقتضي التبرِّي من دم أهله، دون التبري من دمه.

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أرادوا: ما شهدنا مُهْلَكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه؛ لدلالة قولهم: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم؛ لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

---

(١) في أ، ب، هـ: «حلفوا».

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ خاصةً؛ ليكونوا صادقين، فإنهم[١] شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التعريض في كلامهم؛ لئلا يَكْذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يَحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: مغالطةً، مع اعتقادهم أنهم كاذبون.

ويَحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولون: ما شهدنا مهلك أهله وحدهم، وإنا لصادقون في ذلك،[٢] يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وعلى ذلك حمله الزمخشري[٣].

﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلًا في غارٍ قريبًا من داره؛ ليخرجوا منه[٤] إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرةٌ أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بأنهم».

(٢) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!.

(٣) الكشاف (١١/ ٥٤٣).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

وقيل: تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل[١] ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض.

وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ و﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ و﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ قد ذُكِر[٢].



(١) في ج، د: «الفعل».

(٢) انظر (٢/ ٣٦٣).

[﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾].

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلوَ الآيات المذكورة بعد هذا؛ لأنها براهينُ على وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده، كما تستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك، تيمُّنًا بذكر الله.

قال ابن عباس: يعني بـ ﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾: الصحابة.

واللفظ يعمُّ الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين.

﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ هذا على وجه الردِّ على المشركين، فدخلت ﴿خَيۡرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل؛ لتبكيتهم وتعنيفهم، مع أنه معلوم أنه لا خيرَ فيما أشركوه أصلًا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السموات

والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ على وجه التَّقرير لهم، على أنه لم يفعل ذلك كلَّه إلَّا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضًا نِعَمٌ يجب شكرها، فقامت (الحجة عليهم)[١] بذلك أيضًا.

و«أم» في قوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ متصلةٌ عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنى: بل والهمزة.

﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب.

أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عَديلًا ومثيلًا.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني: الجبال.

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»[٢].

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود.

وقيل: الذي لا حول له ولا قوَّة.

واللفظ مشتقٌّ:

من الضَّرر؛ أي: الذي أصابه الضُّر.

أو من الضرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلى الدعاء.

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون[٣] سكناها.

---

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) في د: «تتوارثون».

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: الهداية بالنجوم والطرقات.

﴿نُشُرًا﴾ ذُكِر في «الأعراف»[١].

﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله»، ثم قرأت هذه الآية[٢].

فإن قيل: فقد كان النبي ﷺ يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته.

فالجواب: أنه ﷺ قال: «إني لا أعلم[٣] إلَّا ما علمني الله»[٤].

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكُهَّان والمنجِّمين، وأشباههم بالأمور المغيبة؟

فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظنٍّ ضعيفٍ أو عن وهْمٍ لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفيَ العلم.

وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة؛ لأن سبب

---

(١) انظر (٢/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) في أ، ب زيادة: «الغيب»، ولم ترد في الحديث.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٣٢).

نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلى هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمس لا يعلمها إلَّا الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة»(١).

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلَّا إذا كان الاستثناء متصلًا، ويكون ما بعد «إلَّا» من جنس ما قبلها؟، والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السموات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء على لغة بني تميم في البدل؛ وإن كان منقطعًا، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلَّا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأَحَدِين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

والثاني: أن الله في السموات والأرض بعلمه كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلًا، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ جريًا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاصٌّ يراد به ما هو أعم منه.

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلًا، على أن يُتأوَّل ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وحديث السوداء(١) وشبه ذلك(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق» إلخ، أقول: بنى المؤلف على قوله: (إن الله ليس ممن في السماوات باتفاق) أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ منقطع، وهو يقتضي نصب الاسم الشريف، والقراءةُ بالرفع، وذكر عن هذا الإشكال أربعة أجوبة، وليس مقصودنا في هذه التعليقات التعقبات اللغوية، بل التعقبات العقدية، لكن قوله في الجواب الأول من الأجوبة الأربعة: «إن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم» لا يسلم له على الإطلاق، بل هذا باعتبار الأغلب، ومما جاء في القرآن على لغة تميم إدغام المضعف المجزوم في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ ؛ كما نقله السيوطي في الإتقان عن ابن مالك، وعلى لغة تميم أيضًا قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾، من أملى لا من أملل، كما في التفسير البسيط للواحدي وغيره. =

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السموات والأرض متى يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله.

وروي أن سبب نزول الآية أن قريشًا سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وزن ﴿ادَّارَكَ﴾: تَفاعَل، ثم سُكِّنت التاء وأدغمت الدال واجتلبت ألف الوصل.

والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا بها.

أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها.

= والذي يهمنا هنا قولُه: «والله تعالى ليس ممن في السموات والأرض باتفاق»، يريد باتفاق المثبتين للعلو والنافين له، وهم من عبَّر عنهم بالمثبتين للجهة والنافين؛ فإنهم جميعا يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم، فالمثبتون للعلو يقولون: إنه تعالى فوق العالم على العرش، ونفاة العلو يقولون: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم، وهم من عبَّر عنهم بنفاة الجهة، يقول: «والقائلون بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلا فيهما، ولا خارجا عنهما»، فعلى كلا القولين: فالله ليس في السماء ولا في الأرض، وهذا معنى قوله «باتفاق». والحق أنه تعالى فوق سماواته على عرشه، وهو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة، ويقابل ذلك قولان باطلان:

أحدهما: أنه تعالى داخلٌ في المخلوقات، أي: إنه تعالى حالٌ فيها، فهو في كل مكان.

الثاني: أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضته للسمع مناقضٌ للعقل أظهر مناقضة؛ فإن من الممتنع أن يكون موجودٌ لا داخل العالم ولا خارجه، فإن ذلك من سلْب النقيضين الذي لا يصح إلا في المعدوم، فإذا أضيف إلى ذلك أنه موجود تضمن أنه موجودٌ معدومٌ، وهذا جمعٌ بين النقيضين، الذي هو أحد الممتنعات، والقول بنفي الجهة وما تفرع عنه هو المشهور من مذهب الأشاعرة.

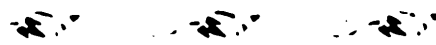
وقرئ ﴿أَدْرَكَ﴾ بهمزة قطع على وزن: أَفْعَلَ، والمعنى على هذا: يُدْرِكُ علمُهم في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحقَّ؛ لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق.

فقوله: ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾:

على هذا: ظرفٌ.

وعلى القراءة الأولى: بمعنى الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ، وهو من عمى القلوب.



[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ
وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ
﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا
تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ
هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى
وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ
مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم
مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ
كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾].

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تَبِعَكم، واللام زائدة.

أو ضُمِّن معنى «قَرُبَ»؛ فتعدَّى باللام.

ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾، فقيل لهم: عسى أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتْلُهم يوم بدر.

﴿غَآئِبَةٖ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيءٍ في غاية الخفاء، إلَّا وهو عند الله في كتاب.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ شبَّه مَن لا يسمع ولا يعقل بالموتى؛ في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصُّم وبالعُمْي؛ وإن كانوا صِحاح الحواس، وأكَّد عدم سماعهم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾؛ لأن الأصم إذا أدبر وبَعُد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقتُ عذابهم الذي تضمَّنه القولُ الأزلي من الله في ذلك وهو قضاؤه[1]، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «إذا حان وقت عذابهم» إلخ، أقول: في تفسير وقوع القول بقرب وقت العذاب نظرٌ؛ والأظهر أن قوله: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق القول عليهم، وهو حكم الله بأنهم لا يؤمنون، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾، ولا ريب أن ما حق عليهم من القول بأنهم لا يؤمنون هي كلمته تعالى القدرية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣﴾، فمعنى وقع القول عليهم، أي: وقع عليهم موجَب كلمته تعالى السابقة في الحكم بأنهم لا يؤمنون، فهذه كلماته الكونية سبقت لقوم في الشقاوة ولقوم بالسعادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾، وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾ الآيتين.
وقول المؤلف «القول الأزليُّ من الله» الأزلي هو الذي لا بداية له، وهذا يجري على قول الأشاعرة إن كلام الله قديم بقدمه سبحانه؛ لأن كلام الله عندهم لا تتعلق به المشيئة، ولا ريب أن كلماته القدرية صادرة عن إرادته تعالى، وما كان بإرادة يمتنع أن يكون أزليًا، وكلماته تعالى التي أخبر أنها سبقت يحتمل أن تكون عند كتابة المقادير في أم الكتاب، والله أعلم.

وخروج الدابة من أشراط الساعة، ورُوي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا.

وأن طولها ستون ذراعًا.

وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث[١].

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلَّا دينَ الإسلام.

وقيل: تقول: «ألَا لعنة الله على الظالمين».

وروي أنها تَسِمُ[٢] الكافر وتَخْطِمُ أنفه[٣] وتسوِّد وجهه، وتبيِّض وجه المؤمن.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة: فهو ابتداء كلام.

ومن قرأ بالفتح:

فهو معمول ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون.

أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام.

---

(١) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) في ج، د: «تشتم».

(٣) تخطم أنف الكافر: أي: تسِمه، مِن خطَمتُ البعير، إذا كويتَه خطًّا من الأنف إلى أحد خدَّيه، وتسمى تلك السِّمة الخِطَام. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٢٠٨).

ويَحتمل قوله: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾:

(أي: لا يوقنون)[١] بخروج الدابة.

أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.



(١) سقطت من أ، ب، ج، هـ

[﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل(١) لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي: حقَّ العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم.

وهذا في بعض مواطن القيامة(٢)، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أُخَر(٣).

---

(١) في د: «قال».

(٢) في هـ زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.

﴿لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ ذُكِر في «يونس»[١].

﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ ذُكِر في «الكهف»[٢].

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قيل: هم الشهداء.

وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين متذللين.

﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾ أي: قائمة ثابتة.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن، ثم تصير هباء منبثًا.

﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه محذوف.

وقيل: هو منصوب على الإغراء: أي: انظروا صنع الله.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ قيل: إن الحسنة «لا إله إلا الله».

واللفظ عام.

ومعنى: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾: أن له بالحسنة الواحدة عشرًا.

﴿مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ﴾ مَن نوَّنَ ﴿فَزَعٖ﴾: فتح الميم من ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾.

ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ:

بفتح الميم على البناء.

---

(١) انظر (٢/ ٥٨٨).

(٢) انظر صفحة ٥٥.

أو بكسرها على الإعراب.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ السيئة هنا: الكفر، والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

﴿هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ يعني: مكة.

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرَمًا آمنًا، لا يُقاتِلها أحدٌ، ولا تُنتَهك حرمتها.

ونسَب تحريمها هنا إلى الله؛ لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «**إن إبراهيم حرَّم مكة**»[١]؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلمَ الناس بتحريمها، فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «**إن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض**»[٢].

﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما عليَّ الإنذار والتبليغ.

﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرُّهم إلى معرفة آيات الله، إما في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

﴿ سورة القصص ﴾

[﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ
بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن
نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ
﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى
وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن
جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ
أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾].

﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكبَّر وطغا.

﴿شِيَعًا﴾ أي: فِرَقًا مختلفين، فجعل فرعونُ القبطَ ملوكًا وبني إسرائيل

خُدَّامًا لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يَمُنَّ عليهم ويجعلهم أئمة؛ أي: ولاة في الأرض، ويورثهم أرض فرعون وقومِه.

﴿وَهَـٰمَـٰنَ﴾ هو وزير فرعون.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ اختُلف هل كان هذا الوحي:

بإلهامٍ؟

أو منامٍ؟

أو كلامٍ بواسطة مَلك؟، وهذا أظهر؛ لثقتها بما أُوحِيَ إليها وامتثالها ما أُمرت به.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل، لما أخبره الكهان أن هلاكه على يدَيْ غلام منهم.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: اللقاء من غير قصد، رُوي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر، وهو النيل، فأمرت أن يُساق لها، ففتحته فوجدت فيه صبيًّا فأحبَّته، وقالت لفرعون: هذا قرَّة عين لي ولك.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمى أيضًا لام الصَّيرورة.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي: أن فرعون همَّ بذبحه؛ إذ توسَّم[1] أنه من بني إسرائيل فقالت امرأته: لا تقتلوه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه.

---

(١) في ج، د: «توهَّم».

والضمير الفاعل لفرعون وقومه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي: ذاهلًا لا عقل معها.

وقيل: فارغًا من الصبر.

وقيل: فارغًا من كل شيء إلّا من همِّ موسى.

وقيل: فارغًا من وعد الله؛ أي: نسيتْ ما أُوحي إليها.

وقيل: فارغًا من الحزن؛ إذ لم يَغرق، وهذا بعيد؛ لما بعده.

وقرئ «فَزِعًا»[1] - بالزاي -، من الفَزَع.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «كادت أمُّ موسى أن تقول: «وَا ابنَاهْ!»، وتخرج صائحة على وجهها»[2].

﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: رزقناها الصبر.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدِّقين بالوعد الذي وعدها الله.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتَّبعيه، والقَصُّ: طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفيةٍ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: رأته من بعيد، لم تَقرُب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته.

وقيل: معنى ﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن شوقٍ إليه.

---

(١) في ج، د: «فازعًا».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧) والثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣٨) موقوفًا على ابن عباس، وليس فيه: «وتخرج صائحة على وجهها».

وقيل: معناه: أنها نظرت إليه، كأنها لا تريده.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي: مُنِع منها؛ بأن بغَّضها الله له.

و﴿الْمَرَاضِعَ﴾:

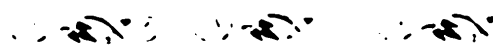
جمع مُرْضِعٍ، وهي المرأة التي تُرضِع.

أو جمع مَرْضَع -بفتح الميم والضاد-، وهو موضع الرَّضاع، يعني: الثدي.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من أول مرة.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة: أخته تخاطب آل فرعون.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآيةَ، جاءت بأمه، فقبِلَ ثَدْيَها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه؛ فما قَبِلَ ثدي امرأة إلَّا ثديَك؟ (فقالت: إني)[1] امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها، وقرَّت عينُها بذلك، وعلمت أن وعد الله حقٌّ في قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾.



(١) في ج: «أنتِ».

[﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَاسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾].

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في «يوسف»[1].

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر.

وقيل: قريةً حولها.

والأول أشهر.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ قيل: في القائلة.

وقيل: بين العشاءين.

---

(١) انظر (٢/ ٦٢٥).

وقيل: يوم عيد.

وقيل: كان قد جفا فرعونَ وخاف على نفسه فدخل مختفيًا متخوِّفًا.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ الذي من شيعته: من بني إسرائيل، والذي من عدوِّه: من القبط.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه، والوَكْز: الدفع بأطراف الأصابع.

وقيل: بجَمع[1] الكفِّ.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكْزَتُه الأجلَ، فندم وقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له.

فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرًا؟

فالجواب: أنه لم يؤذَن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: «إني قتلت نفسًا لم أُؤمر بقتلها».

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الظَّهير: المُعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إنعامك عليَّ لا أكونُ ظهيرًا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسى عليها ربه.

وقيل: الباء باء القسم، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ لا يصلح[2] لجواب القسم.

---

(١) في ج، د، هـ: «بجميع»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢/ ٢٤).

(٢) في ب، ج: «لا يصح».

وقيل: جواب القسم محذوفٌ، تقديره: وحقِّ نعمتك لأتوبَنَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

وقيل: الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك عليَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

ويُحتَجُّ بهذه الآية على المنع من صحبة ولاة الجَوْر.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضعين: أي: يتحسَّسُ هل يطلبه أحدٌ.

﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسى الإسرائيليَّ الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلًا آخر من القبط، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعَظُمَ ذلك على موسى وقال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ وفي ﴿يَبْطِشَ﴾: لموسى، وفي ﴿قَالَ﴾: للإسرائيلي.

والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ له وللإسرائيلي ظنَّ الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي لموسى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾؟

وقيل: الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيليُّ أن يبطش موسى بالقبطي، ولم يفعل موسى ذلك؛ لندامته على قتله للآخر بالأمس = فضحه الإسرائيلي؛ فقال له: أتريد أن تقتلني؟، فاشتهر خبر قتله للآخر إلى أن وصل إلى فرعون.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمنُ آلِ فرعون.

وقيل: غيره.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يسرع في مشيه؛ ليُدرِك موسى فينصحه.

﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون.

وقيل: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك، كما قتلت القبطي.



[﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحيةَ مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وسَط الطريق، يعني: طريقَ مدين؛ إذ كان قد خرج فارًّا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام.

وقيل: أراد: سبيلَ الهدى.

وهذا أظهر.

ويدلُّ كلامه هذا على أنه كان عارفًا بالله قبل نبوته.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئرًا.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيَهم.

﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ روي: أن اسمهما: ليا وصَفُوريا.

وقيل: صفراء وصُفَيراء.

﴿تَذُودَانِۖ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما.

وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقيَ[1] الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنمَهما إلَّا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحمَ[2] مع الناس.

﴿يُصۡدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال: فعل متعدٍّ، والمفعول محذوفٌ، تقديره: حتى يُصدِر الرعاءُ مواشيَهم.

وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء.

﴿شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور.

وقيل: ابن أخيه.

وقيل: رجل صالح ليس مِن شعيبٍ بنسب.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أدركته شفقةٌ عليهما فسقى غنمهما.

وروي أنه كان على فمِ البئر صخرةٌ لا يرفعها إلَّا ثلاثون رجلًا، فرفعها وحده.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يسقوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «للتزاحم».

﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلَّ سَمُرَةٍ.

﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدَّ عليه الجوع.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ قَبْلَ هذا الكلامِ محذوفٌ تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتاه بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوَه له فجاءته، واختُلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ رُويَ: أنها سترت وجهها بكُمِّ دِرْعِها.

والمجرور يتعلق بما قبله.

وقيل: بما بعده، وهو ضعيف.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له قصَّته.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم يكن مِن ملك فرعون.

﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: اجعله أجيرًا لك.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمةٌ جامعة بليغة، وروي أن أباها قال لها: من أين عرفتِ قوته وأمانته؟، قالت: أما قوتُه: ففي رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانتُه: فإنه لم ينظر إليها.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ﴾ زوَّجه التي دعته، واختُلف هل زوَّجه الكبرى أو الصغرى؟

واسم التي زوَّجه صَفُورة، وقيل: صفوريا.

ومِن لفظِ شعيبٍ حَسُنَ أن يقال في عقود الأنكحة: «أنكحه إياها» أكثر من أن يقال: «أنكحها إياه».

﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ أي: أُزوِّجُك بِنتي على أن تخدمني ثمانية أعوام.

قال مكيٌّ: في هذه الآية خصائصُ في النكاح، منها: أنه لم يعيِّن الزوجة، ولا حدَّ أول الأمد، وجعل المهر إجارة[(١)].

قلت: فأما التعيين فيَحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراوضة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدةً[(٢)].

وأما ذكر أول الأمد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهرٌ من الآية، وقد قرَّره شرعنا حسَبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتُكها على ما معك من القرآن»[(٣)]؛ أي: على أن تعلمها ما عندك[(٤)] من القرآن.

وقد أجاز النكاح بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب؛ للآية والحديث.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٨/ ٥٥٢٢).
(٢) الكشاف (١٢/ ٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥).
(٤) في أ، ب: «معك».

ومنعه مالك.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطًا، ووكَل العامَيْنِ إلى مروءة موسى، فوفَّى له العشر.

وقيل: وفَّى العشر وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور.

[﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ
ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ
كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ (٣١)
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ
فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٢)
قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ
(٣٥) فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا
بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ
لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣٨) وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى
ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾].

﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ الأهل هنا: الزوجة، مشى بها إلى مصر.

﴿جِذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها.

وقد ذُكِر ﴿ءَانَسَ﴾، و﴿ٱلطُّورِ﴾، و﴿تَصۡطَلُونَ﴾[١].

﴿شَٰطِيِ ٱلۡوَادِ﴾ جانبه، و﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ صفةٌ للشاطئ، وهو جانبه اليمين.

ويَحتمل أن يكون من اليُمْن؛ فيكون صفةً للوادي.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عَوْسجة.

﴿جَآنّٞ﴾ ذُكِر في «النمل»[٢].

﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ أي: أدخلها فيه، والجيب: هو فتح الجُبَّة من حيث يُخرِج الإنسان رأسه.

﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح: اليد، أو الإبط و[٣] العَضُد.

أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلى جنبه ليخفَّ بذلك خوفه؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفَّ خوفه.

وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أُمِر بالعزم على ما أُمِر به؛ كقولهم: «اشدُدْ حيازِيمك، واربطْ جأْشك».

﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ أي: من أجل الرَّهَب؛ وهو الخوف.

وفيه ثلاثة لغات: فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء.

﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ﴾ أي: حُجَّتان، والإشارة إلى العصا واليد.

---

(١) انظر الصفحات ٧٦، ٩٢، ٣٨٩.

(٢) انظر صفحة ٣٩٠.

(٣) في د: «و».

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلَّق بفعل محذوفٍ يقتضيه الكلام.

﴿رِدْءًا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ:

بالهمز.

وبغير همز:

على التسهيل من المهموز.

أو يكون مِن: أَرْدَيتُ؛ أي: زدتُ.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارةٌ في المعونة.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يَحتمل أن يتعلَّق:

بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ﴾.

أو بـ ﴿فَلَا يَصِلُونَ﴾.

أو بـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي: اصنع الآجُرَّ؛ لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء.

ورُوي أنه أول من عمل الآجُرَّ، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر[1] ضعفَ عقولهما وعقولِ قومهما، وجهلَهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببنيان الصرح.

---

(١) في ج زيادة: «كيف».

وقد روي أنه عمله وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء فرجع إليه[١] مخضوبًا[٢] بدمٍ، وذلك فتنةٌ له ولقومه وتهكُّمٌ بهم.

ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يعني: في دعوى الرسالة، والظن هنا يَحتمل: أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين.

﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجِب للنار.

﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعَدِين.

وقيل: قَبُحَت وجوههم.

وقيل: قَبُحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٢) في ج: «مخضَّبًا».

[﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾
وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن
رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ
أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا
وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به: إقامة حجةٍ؛ لإخباره بحال موسى، وهو لم يحضره.

و﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾: المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلَّم اللهُ فيه موسى.

والأمرُ المقضيُّ إلى موسى هو النبوَّة.

و﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضرْ يا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاولَ الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك.

وقيل: المعنى: لكنا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر، وطالت الفترة فأرسلناك على فترة من الرسل.

﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقيمًا.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني: تكليم موسى، والمراد بذلك: إقامة حجة محمد ﷺ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً﴾ انتصب:

على المصدر.

أو على أنه مفعول من أجله، والتقدير: ولكن أرسلناك رحمةً منا لك[1] و[2]رحمةً للخلق بك.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ «لولا» هنا: حرف امتناع، و«لولا» الثانية: عَرْضٌ وتحضيضٌ.

والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم على وجه الإعذار إليهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ونبوة محمد ﷺ.

﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ يعنون: إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة، وقَلْبَ العصا حية، وفَلْقَ البحر، وشبهَ ذلك.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بك».

(٢) في د: «أو».

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى: أنهم كفروا بما أوتي موسى؛ فلو آتينا محمدًا مثلَ ذلك لكفروا به، و﴿مِن قَبْلُ﴾ على هذا يتعلَّق بقوله: ﴿أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾.

ويَحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل.

والأول أحسن.

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعنون: موسى وهارون، أو موسى ومحمدًا ﷺ.

والضمير في ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ وفي ﴿قَالُوا﴾: لكفار قريش.

وقيل: لآبائهم.

وقيل: لليهود.

والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالردِّ عليهم.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ أمرٌ على وجه التعجيز لهم.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ قد عَلم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبدًا، ولكنه ذكره بحرف «إنْ» مبالغةً في إقامة الحجة عليهم، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى: إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أنَّ كفرهم عنادٌ واتباع لأهوائهم، لا بحجة ولا برهان.

[﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ
هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ
﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا
ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ
وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن
شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش.

وقيل: لليهود.

والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم.

و﴿ٱلْقَوْلَ﴾ هنا: القرآن، و﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾:

أبلغناه[1] لهم؛ ليتذكروا به.

أو جعلناه موصولًا بعضه ببعض.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعني: مَن أسلم من اليهود.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بلغناه».

وقيل: النجاشي وقومه.

وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلًا، فآمنوا به.

والضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقرآن.

وقولهم: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ تعليلٌ لإيمانهم.

وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ بيانٌ لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وَجدوا ذِكْر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمدٍ ﷺ، ورجلٌ مملوكٌ أدَّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، ورجلٌ كانت له أمَةٌ فأعتقها وتزوَّجها»[(١)].

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ يعني: صَبْرَهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا، أو غير ذلك من أنواع الصبر.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون.

ويَحتمل أن يريد بالسيئة: ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالحسنة: ما يجاوبون به من الكلام الحسن.

أو يريد: سيئاتِ أعمالهم وحسناتها[(٢)]، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «وحسناتهم».

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ هذا على وجه التبرِّي والبعدِ من القائلين للغو.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا: المتاركة والمباعدة، لا التحية.

أو كأنه سلامُ الانصراف والبُعد.

﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب؛ إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته: «لا إله إلا الله»، فقال: «لولا أن يعيِّرني بها قريش لأقررتُ بها عينك»[١]، ومات على الكفر، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ لفظٌ عام.

وقيل: أراد به: العباس بن عبد المطلب.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ القائلون لذلك: قريش، وروي أن الذي قالها منهم: الحارث بن عامر بن نوفل.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو الإسلام، ومعناه: الهدى على زعمك.

وقيل: إنهم قالوا: قد عَلِمْنا أنَّ الذي تقول حقٌّ، ولكن إن اتبعناك تخطَّفتنا[٢] العرب؛ أي: أهلكونا بالقتال؛ لمخالفة دينهم.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما اعتذروا به مِن تخطُّفِ الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرَّض له العرب بقتال، ولا يمكِّن الله

(١) أخرجه مسلم (٢٥).

(٢) في ب، ج، د: «تخطفنا».

أحدًا من إهلاك[١] أهله، فقد كانت العرب يُغِيرُ بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تُجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غيرُ ذي زرع.

﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى ﴿بَطِرَتْ﴾: طغت وسَفِهت.

و﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصبٌ:

على التفسير، مثل: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

أو على إسقاط حرف الجرِّ، تقديره: بطرت في معيشتها.

أو يتضمَّن ﴿بَطِرَتْ﴾ معنى: كفرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من السُّكنى، أو قليلًا من السَّاكنين، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلَّا مارٌّ[٢] على الطريق ساعة.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أمُّ القرى: مكة؛ لأنها أول ما خُلِق من الأرض، ولأن فيها بيت الله.

والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى؛ بأنْ بَعث محمدًا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآيةَ؛ تحقيرٌ للدنيا، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.

---

(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج «مارًّا».

[﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا
كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ
أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ
مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا
تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾].

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ الآية؛ إيضاحٌ لما قبلها من البَون[1] بين الدنيا والآخرة.

والمراد بـ ﴿مَن وَعَدْنَٰهُ﴾: المؤمنون، وبـ ﴿مَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾: الكافرون.

وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل.

وقيل: حمزة وأبو جهل.

---

(١) في د: «الفرق».

والعموم أحسن لفظًا ومعنى.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمر، وفاعل ينادي: الله تعالى. ويَحتمل أن يكون نداؤه: بواسطة، أو بغير واسطة[(١)].

والمفعول به: المشركون.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخٌ للمشركين، ونسَبهم إلى نفسه على زعمهم؛ ولذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحذف المفعول، تقديره: تزعمون أنهم شركاءُ لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ معنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم.

والإشارة بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ إلى أتباعهم من الضعفاء.

فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم: ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ وبين قولهم: ﴿تَبَرَّأْنَآ

---

(١) قال الشيخُ عبدُ الرَّحمَنِ البرَّاكُ حفظَهُ الله: قولُ المُصنِّف رحمَهُ اللهُ: +ويحتملُ أن يَكُونَ نداؤُهُ بواسِطَةٍ أو بِغيرِ واسِطةٍ.
أقولُ: فِي هَذا التَّرددِ نَظرٌ؛ والصَّوابُ أنَّه نَاداهُمْ بغيرِ واسِطَةٍ، وذَلكَ لوَجْهينِ:
١- أنَّهُ إذا كانَ بغيرِ واسطةٍ كانَ حَقيقةً، وإذا كانَ بواسِطَةٍ كانَ مجازًا، والأصْلُ الحَقيقةُ.
٢- أنَّ تكليمَهُ تَعالَى أو نداءَهُ لِمَنْ شَاءَ بِلا وَاسِطَةٍ مُمكنٌ، ليْسَ بمُمتنِعٍ؛ بِدَليلِ أنَّ اللهَ تعالَى كَلَّم مُوسَى بَلا واسِطَةٍ، فقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فأكَّدَ الفعلَ بالمَصْدرِ لِلدّلالةِ عَلى الحَقيقةِ. وأيْضًا: لَو أرادَ أنَّهُ كلَّمَهُ بِوَاسِطَةٍ لَقيَّدَ ذَلكَ، مِثْلُ: كَلَّمَهُ بأنْ أرسَلَ رَسُولًا. ويُؤيِّدُ ذَلِكَ، أنَّ تكليمَ مُوسَى بِوَاسِطَةٍ يُنافِي اخْتِصَاصَ مُوسَى بالتَّكْليمِ، فكلُّ الرُّسلِ كَلَّمهُمُ اللهُ بِواسِطَةِ الرَّسُولِ مِنَ المَلائكةِ. واللهُ أعْلَمُ.

﴿إِلَيْكَ﴾؛ فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟

فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك.

والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا.

فتحصَّل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا(١) الضعفاء، وتبرأوا من أن يكونوا هم آلهتهم، فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلُّفٌ بعيد.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ فيه أربعة أوجه:

الأول: أن المعنى: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذَّبوا.

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلةٍ يدفعون بها العذاب لفعلوها.

فـ ﴿لَوْ﴾ على هذه الأقوال حرف امتناع، وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون ﴿لَوْ﴾ للتمني، أي: تمنَّوا لو كانوا مهتدين.

﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ﴾ أي: هل صدَّقتم المرسلين أو كذَّبتموهم؟.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿عَمِيَتْ﴾ عبارةٌ عن حيرتهم.

---

(١) في د: «أغروا».

و﴿ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يَسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل: إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته مَن يشاء مِن عباده.

ولفظها(١) أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومه؛ أي: يختار ما يشاء من الأمور على الاطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيارٌ؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾.

وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ بـ ﴿وَيَخْتَارُ﴾، ومعنى ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ على هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة.

وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولةً لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمرًا يعود على ﴿مَا﴾، وكانت ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ منصوبة على أنها خبر ﴿كَانَ﴾.

وقد اعتذر عن هذا من قال: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ؛ بأن قال: تقدير الكلام:

---

(١) في أ، ب: «واللفظ».

يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف[١].

وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولةً إذا قدَّرنا ﴿كَانَ﴾ تامةً، ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ جملةً مستأنفة[٢]. وهذا بعيد جدًّا.

﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبَّر عن القلب بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، و[٣]قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

وفي ذكر ﴿الْأُولَىٰ﴾ مع ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ مطابقةٌ.

﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائمًا.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: «(ما) نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار» إلخ، أقول: أصاب المؤلف في ترجيح أن (ما) نافية، وتضعيف القول بأنها موصولة، وما أورده على القول الثاني من جهة إعراب (ما كان لهم الخيرة) صحيح، وكذا ما يرد عليه من جهة المعنى، وهو أنه يلزم أن يكون المعنى: يختار ما فيه الخيرة للعباد، وبهذا تمسك بعض المعتزلة في قولهم بوجوب فعل الأصلح على الله، كما أشار إليه المؤلف، وقد اختار القول الأول كثيرٌ من المفسرين، وهو الصواب، وقد رجحه ابن القيم من وجوه، فانظرها في زاد المعاد. والله أعلم.

(٢) المحرر الوجيز (٦/ ٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٣) في ج، د: «أو».

والمراد بهذه الآيات: إثبات الوحدانية وإبطال الشرك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، وهلَّا قال: «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله: ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾؟

فالجواب: أنه ذَكر الضياء؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر.

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار، ففي الآية لفٌّ ونشرٌ.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيدًا منهم يشهد عليهم بأعمالهم، وهو نبيُّهم؛ لأن كلَّ نبي يشهد على أمته.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذارٌ لهم وتوبيخ وتعجيز.

[﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ
مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
(٧٦) وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن
كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى
زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ
مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ
ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٢) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا
يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾].

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى.

وقيل: ابن عمته.

وقيل: ابن خالته.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبّر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ المفاتح: هي التي يفتح بها.

وقيل: هي الخزائن.

والأول أظهر.

والعصبة: جماعةُ الرجال من العشرة إلى الأربعين.

و﴿لَتَنُوٓأُ﴾: معناه: تثقل؛ يقال: ناء به الحِمل: إذا أثقله.

وقيل: معنى ﴿لَتَنُوٓأُ﴾: تنهض بتحامل وتكلُّف، والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتح، لكنه قُلِبَ؛ كما جاء قَلْبُ الكلام عن العرب كثيرًا.

ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول.

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا: الذي يقود إلى الإعجاب والطُّغيان؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

وقيل: إنه السُّرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلَّا من غفَل عن الآخرة، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لا تضيِّعْ حظَّك من دنياك، وتمتَّعْ بها مع عملك للآخرة.

وقيل: معناه: لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا: وعظٌ.

وعلى الأول: إباحةٌ للتمتع بالدنيا؛ لئلا ينفر عن قَبول الموعظة.

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الردِّ عليهم، والروغانِ عما ألزموه من الموعظة.

والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له؛ بسبب علمٍ عندي استوجبته به.

واختُلف في هذا العلم:

فقيل: إنه علم الكيمياء.

وقيل: التجارِب للأمور والمعرفة بالمكاسب.

وقيل: حفظه التوراة، وهذا بعيد؛ لأنه كان كافرًا.

وقيل: المعنى: إنما أوتيته على علمٍ من الله وتخصيصٍ خصَّني به، ثم جعل قوله: ﴿عِندِىٓ﴾ كما تقول: في ظَني واعتقادي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ هذا ردٌّ عليه في اغتراره بالدنيا.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني: جمعًا للمال.

أو جمعًا للخُدَّام.

والأول أظهر.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه متصلٌ بما قبله، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ يعود على القرون

المتقدمة، و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: مَن بعدهم؛ أي: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب مَن تقدَّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحدٍ إنما يُسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبارٌ عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يُسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.

والصحيح: أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويُسألون عنها لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال على وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه؛ لكن يُسألون على وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو على وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمن: ٣٩].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قيل: في ثياب حُمْرٍ.

وقيل: في عبيده وحاشيته.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيْلَكُمْ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الضمير عائد:

على الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدِّم، وهي الإيمان والعمل الصالح.

وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم؛ أي: لا تصدر الكلمة إلَّا عن الصابرين.

والصبر هنا: هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وآذى موسى عليه السلام عليه، فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسى: «يا أرض خذيهم»، فأخذتهم إلى الرُّكَب فاستغاثوا بموسى فقال: «يا أرض خذيهم» حتى تمَّ بهم الخسف.

﴿مَكَانَهُۥ﴾ أي: منزلته في المال والعزَّة.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ يَحتمل أن يراد به:

اليوم الذي قبل ذلك اليوم.

أو ما تقدَّم من الزمان القريب.

﴿وَيْكَأَنَّ﴾ مذهب سيبويه أنَّ «وَيْ» حرفُ تنبيه، ثم ذكرت بعدها «كأنَّ» والمعنى على هذا: أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾، ثم قالوا: «كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»؛ أي: ما أشبه الحال بهذا.

وقال الكوفيون: «ويك» هي: «ويلك»، حذفت منها اللام؛ لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها «أنَّ»، والمعنى: ألم تعلم أن الله.

وقيل: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ كلمة واحدة معناها: ألم تعلم.

﴿عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكبُّرًا وطغيانًا، لا رفعة المنزلة؛ فإن إرادتها جائزةٌ.

[﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ
أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾].

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبته.

وقيل: معناه: أعطاك القرآن.

والمعنى متقارب.

وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ المعاد: الموضع الذي يعاد إليه:

فقيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعدٌ بالرجوع إلى مكة وفتحها.

وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلامٌ بالحشر.

وقيل: يعني الجنة.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوَّة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكنَّ الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوَّتك.

والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع.

ويَحتمل أن يكون متصلًا ؛ والمعنى : ما أنزل عليك الكتاب إلَّا رحمةً من ربك لك أو للناس.

و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا : مفعول من أجله، أو حال.

وعلى الأول: منصوب على الاستثناء.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَحتمل أن يكون:

من الدعاء بمعنى الرغبة.

أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ فالمفعول محذوفٌ على هذا، تقديره: ادع الناسَ.

﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: لا تعبد مع الله إلهًا آخر.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ الآيةَ؛ أي: إلَّا إياه، والوجه هنا عبارة عن الذات[١].

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك في (١/ ٣٥٢).

﴿ سورة العنكبوت ﴾

[﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ② وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ③ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ④ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ⑤ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ⑥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ⑦ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ⑧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ⑨ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ⑩ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ⑪ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ⑫ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ⑬﴾].

﴿الٓمٓ ①﴾ ذُكر في «البقرة»[1].

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

مستضعفين، منهم عمار بن ياسر وغيره، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذِّبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبارٌ؛ ليوطِّنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، وأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده، يُسلِّط الكفار على المؤمنين؛ ليمحِّصَهم[1] بذلك، ويظهرَ الصادق في إيمانه من الكاذب.

ولفظها مع ذلك عامٌّ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة؛ مِن مصيبة أو مضرَّة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾: ظنَّ، و﴿أَن يُتْرَكُوٓا﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: في موضع الحال من الضمير في ﴿يُتْرَكُوٓا﴾ تقديره: غيرَ مفتونين.

و﴿أَن يَقُولُوٓا﴾: تعليلٌ في موضع المفعول من أجله.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: يعلم صِدْقَهم علمًا ظاهرًا في الوجود، وقد كان عَلِمَه في الأزل.

والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحةَ الإيمان والثبوتَ عليه، أو ضدَّ ذلك.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ ﴿أَمْ﴾ معادلةٌ لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾.

---

(١) في د: «ليمتحنهم».

والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفار الذي يعذبون المؤمنين.

ولفظها مع ذلك عامٌّ في كل كافر وعاصٍ.

ومعنى ﴿يَسۡبِقُونَاۚ﴾: يَفُوتون عقابنا ويُعجِزوننا.

فمعنى الكلام: نفيُ سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها: نفيُ ترك المؤمنين بغير فتنة.

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للمؤمنين، ووعدٌ لهم بالخير في الآخرة.

والرجاءُ هنا: على بابه.

وقيل: هو بمعنى الخوف.

و﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿لَأٓتٖۚ﴾ قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب.

ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقى الله فيُجازيَه؛ فإن لقاء الله قريبٌ.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ أي: منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد.

والجهاد هنا يَحتمل أن يراد به:

القتال.

أو جهاد النفس.

﴿حُسْنًا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعلُ[(١)] بوالديه حسنًا.

أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَّيْنَا﴾ أي: وصيةً حسَنةً.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآيةَ؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظلَّ بظلٍّ حتى يكفر.

وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر.

وعبَّر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغةً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذَّبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم.

فمعنى ﴿أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾: أوذي بسبب إيمانه بالله.

و﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾: تعذيبَهم.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان.

وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي[(٢)].

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٢) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (٥/ ١٨١).

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾: جزاءُ قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صحَّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.

[﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ
ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ
﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ
لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾].

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر: أنه لبث هذه المدة بعد بعثه.

ويَحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته.

وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّر بعد الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً.

فإن قيل: لم قال ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَامًا﴾؛ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟

فالجواب: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه[1] إلَّا إذا قُصِد به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

﴿وَجَعَلْنَاهَآ ءَايَةً﴾ يَحتمل أن يعود الضمير:

على السفينة.

أو على النجاة.

أو على القصة بكمالها.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخِلْقة؛ يريد به: نَحْتَ الأصنام، فسماه خِلقةً على وجه التجوُّز.

وقيل: هو من اختلاق الكذب.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على الوحدانية ونفي الشركاء.

فإن قيل: لم نكَّر الرزق أوَّلًا، ثم عرَّفه في قوله: ﴿فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾؟

فالجواب: أنه نكَّره في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرَّفه بعد ذلك لقصد

---

(١) في أ، ب، هـ: «يكره».

العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يُقتضَى العمومُ في سياق الإثبات إلَّا مع التعريف؛ فكأنه قال: ابتغوا الرزق كلَّه عند الله.

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ الآيةَ؛ يَحتمل أن تكون:

من كلام إبراهيم.

أو من كلام الله تعالى.

ويحتمل مع ذلك أن يراد به:

وعيدُ الكفار وتهديدهم.

أو يراد به تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه له؛ بالتأسي بغيره من الأنبياء، الذين كذبهم قومهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ اللهُ الخلقَ وأبدأه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة.

والمعنى: أولم يَرَ الكفار أن الله خلق الخلق؛ فيستدلُّون بالخِلقة الأولى على الإعادة في الحشر؟.

فقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأن المعنى فيهما مختلف؛ لأن رؤية البَدأة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة؛ فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها.

وقد قيل: إنه يريد إعادة النبات وإبدائه، وعلى هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ عطفًا على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لاتفاق المعنى.

والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: إعادةَ الخلق، وهي حشرُهم.

ثم أمَرَهم بالسير في الأرض؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم، ولذلك ختَمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تَفُوتون من عذاب الله، وليس لكم مهربٌ في الأرض ولا في السماء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل:

أن ييأسوا في الآخرة.

أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يائسٌ[1] من رحمة الله، والمؤمن راجٍ خائفٌ.

وهذا الكلام من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ إلى هنا:

يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم.

ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم، وبعد ذلك ذكر جواب قومه له.

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصْبُ المودة على أنها:

مفعولٌ من أجله.

أو مفعول ثانٍ لـ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يئس».

ورفْعُها على أنها:

خبر ابتداء مضمر.

أو خبر «إنَّ»، وتكون «ما» موصولة.

ونصْبُ ﴿بَيْنَكُمْ﴾: على الظرفية.

وخفضه: بالإضافة.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ تضمَّن ﴿ءَامَنَ﴾ معنى: انقاد، ولذلك تعدَّى باللام.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ القائل لذلك: إبراهيم.

وقيل: لوط.

وهاجرَا من بلادهما بأرض بابل إلى الشام.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ أكثرُ الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

[﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ
ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ
إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ
﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾
وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾].

﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطرق[1] للسلب والقتل.

وقيل: أراد قطع سبيل النسل؛ بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ النادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس.

والمنكر: فعلهم بالرجال.

وقيل: إذايتهم للناس.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ الرسل هنا: الملائكة.

---

(١) في ج، د: «الطريق».

والبشرى:

بِشارة إبراهيم بالولد، وهو وقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

أو بشارته بنصر[(١)] لوط.

والأول أظهر.

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي[(٢)] قرية لوط.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها، وإنما قصد نجاةَ لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية، وبراءتَه من الظلم الذي وُصِفوا به، فكأنه قال: كيف تُهلِكون أهل القرية وفيهم[(٣)] لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[(٤)].

وكذلك ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾[(٥)].

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذابًا.

---

(١) في ج، هـ: «بنصرة».
(٢) في أ، ب، هـ: «يعني».
(٣) في أ، ب، هـ: «وفيها».
(٤) انظر (٢/ ٣٦٣).
(٥) انظر (٢/ ٦٠٢).

[﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ
وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ
وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ
وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ
ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾].

﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ **قيل**: الرجاء هنا: بمعنى الخوف.

وقيل: هو على بابه.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **يعني**: نقصهم المكيال والميزان.

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ أي: أنَّ آثار مساكنهم باقيةٌ، تدلُّ على ما أصابهم.

﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ **قيل**: معناه: لهم بصيرةٌ في كفرهم وإعجابٌ به.

وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا.

وقيل: معنى: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاءَ متمكّنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا.

﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: لم يَفُوتوا.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب: الحجارة.

والحاصب أيضًا: الريح الشديدة.

فيَحتمل عندي أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أُهلِكوا بالحجارة، وعادًا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثيرٌ من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ويَقْوَى ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكرُ عموم أخذ أصناف الكفار.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمود ومدين.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني: قارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: قوم نوح، وفرعونَ وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبَّه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء؛ كذلك ما اعتمد(١) عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرُّون.

﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ أي: أضعفها.

---

(١) في ب، د: «اعتمدت».

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مَثَلهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ بمعنى: «الذي»، مفعولةٌ للفعل الذي قبلها.

وقيل: هي نافية، والفعل معلَّق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون من دون الله شيئًا له بال فيصلح أن يسمى شيئًا.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبَث واللعِب.



[﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾].

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ إذا كان المصلي خاشعًا في صلاته، متذكِّرًا لعظمة من وقف بين يديه: حمَله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكأنَّ الصلاة ناهيةٌ عن ذلك.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قيل فيه ثلاثة معانٍ:

الأول: أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبرُ في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبرُ أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟»؛ قالوا: بلى قال: «ذكر الله»[(١)].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلَّا بالتي هي أحسن، لا بضربٍ ولا قتال.

وكان هذا قبل أن يفرض الجهاد، ثم نُسِخ بالسيف.

ومعنى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الذين ظلموكم، أو[(٢)] صرَّحوا بإذاية نبيكم ﷺ.

وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدَّثوكم به من الأخبار إلَّا بالتي هي أحسن، ومعنى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ على هذا: من بقي منهم على كفره.

والمعنى الأول أظهر.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادعةً ومسالمة، وهي ومنسوخة بالسيف.

ويقتضي أيضًا: الأعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنَّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلًا لم تصدِّقوهم، وإن كان حقًّا لم تكذِّبوهم»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧٠٢)، (٢٢٠٧٩)، (٢٧٥٢٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٢) في ب، هـ: «و».

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وأخرجه البخاري (٤٤٨٥) بلفظ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآيةَ».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على مَن قبلك أنزلناه عليك.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: عبد الله بن سلَام وأمثالَه ممن أسلم من اليهود والنصارى.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ كفار قريش.

وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدِّمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلَام.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ هذا احتجاجٌ على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن.

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟

فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ للكلام، وتصويرٌ للمعنى المراد.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرَّق الشك إلى الكفار، فكانوا[1] يقولون: لعلَّه تعلم هذا الكتاب أو قرأه.

وقيل: وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفًا للصفة التي وصفه الله بها عندهم.

والمذهب الصحيح: أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قط ولا كتب.

---

(١) في ج، د: «وكانوا».

وقال الباجي[1] وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبية، وهذا القول ضعيف.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حَسِبَ المبطلون والظالمون.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المعنى: كيف يطلبون آيةً والقرآن الكريم أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة؛ فهلَّا اكتفوا به عن طلب الآيات!.



(١) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصةٌ، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٥٤٠)، الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٣٨٠).

[﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ
وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ ذُكِر معناه في «الرعد»[1]، وفي «الأنعام»[2].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبه ذلك.

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدَّر لعذابهم أجلًا مسمى لعاجلهم[3] به حين طلبوه.

---

(١) انظر (٢/ ٦٩٠).

(٢) انظر (٢/ ٢٤٩).

(٣) في أ، ب: «لفاجأهم».

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد:

القتلَ الذي أصابهم يوم بدر.

أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط.

أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: يحيط بهم.

والعامل في الظرف: محذوفٌ، أو ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾.

﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ تحريضٌ على الهجرة من مكة؛ إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيبٌ في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة، ثم إلى المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: ننزلهم.

وقرئ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم﴾ بالثاء المثلثة من الثَّواء[1] وهو الإقامة في المنزل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها.

والقصد بالآية: تقويةٌ لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم[2].

---

(١) في ج، د: «الثوى».

(٢) في د، هـ: «بلادكم».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ في الموضعين: إقامة حجة عليهم.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الحق.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله على ظهور الحجة.

أو يكون المعنى: إلزامَهم أن يحمدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السموات والأرض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضرابٌ عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به؛ ولكنهم لا يعقلون.

[﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى
ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ
فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾].

﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ مصدرٌ، كالحياة.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الآيةَ؛ إقامة حجةٍ عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ أمرٌ:

على وجه التهديد.

أو على وجه الخِذلان والتَّخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا يقبل نصحك: «اعمل ما شئت».

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا يَنتهك أحد حرمتها.

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ عبارةٌ عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: جهاد الأنفس من الصبر على إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك.

وقيل يعني: القتال، وذلك ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لسُبُل[1] الخير.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى: إنه معهم بإعانته ونصره.

---

(١) في أ: «السبيل».

﴿ سورة الروم ﴾

[﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣
فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ
ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ
۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ
مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾].

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ أي: هَزم كسرى ملكُ الفرس جيشَ ملك الروم.

وسُمِّيت الروم باسم جدهم، وهو روم بن عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس.

وقيل: في أدنى أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ إخبارٌ بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلبهم الفرس)(١).

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ البِضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ رُوي: أن غَلْبَ الروم لفارس(٢) وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش.

وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهلُ كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش.

وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيَغلبون، وراهنهم على عشرة قِلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبيّ بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاصَ من ذرية أبيّ بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدق بها»(٣).

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدرٌ مؤكِّد، كقولك: «له علي ألف درهم عُرفًا»؛ لأن

---

(١) سقط من أ، ب.

(٢) في د: «للفرس».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥١).

معناه: اعترفت[(١)] له بها اعترافًا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ قيل: معناه: يعلمون ما يُدرَك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم.

وقيل: الظاهر: ما يُعلَم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلَم بالدليل والنظر.

وقيل: هو من[(٢)] الظهور بمعنى: العلو في الدنيا.

وقيل: ظاهرٌ بمعنى: زائلٌ ذاهبٌ.

والأظهر أنه أراد بالظاهر: المعرفةَ بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها.

وانظر كيف نفى العلم عنهم أولًا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة.

وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات.

وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلَّة منفعته، فهو على هذا بيانٌ للنفي.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أن تكون النفس ظرفًا للفكرة في خلق السموات والأرض؛ كأنه قال: أو لم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السموات والأرض إلَّا بالحق.

---

(١) في د، هـ: «أعترف».

(٢) في أ، ب: «بمعنى».

والثاني: أن يكون المعنى: أولم يتفكروا في ذواتهم وخِلْقتهم؛ ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله: ﴿مَا خَلَقَ﴾ الآيةَ استئنافُ كلامٍ.

والمعنى الأول أظهر.

﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: حرثوها.

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ معنى ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: هلاك الكفار.

ولفظ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن.

وقرئ ﴿عَـٰقِبَةُ﴾:

بالرفع على أنه اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خبرها.

وقرئ بنصب ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ على أنها خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ اسمها.

و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ مفعول من أجله.

ويَحتمل أن تكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر: ﴿أَسَـٰٓـُٔواْ﴾[1].

(١) في أ، ب، هـ: «أساء».

[﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾].

﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الإبلاس: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والجزاء.

﴿يُحْبَرُونَ﴾ يُنَعَّمون[1]؛ من الحبور، وهو السرور والنعيم.

وقيل: يكرمون.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ هذا تعليمٌ للعباد؛ أي: قولوا «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تُظهِرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسط النهار.

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: اعتراضٌ بين المعطوفات.

وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس، فـ ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يتنعمون».

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ﴾ ذُكِر في «آل عمران»[١].

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: يُنبِت فيها النبات.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي: كما يخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة.



(١) انظر (١/ ٥٢٧).

[﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾].

﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرَّفون(١) في الدنيا.

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم.

وقيل: أراد خِلْقَة حواء من ضِلَعِ آدم، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد.

والعموم أحسن وأبلغ.

﴿وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لُغاتكم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يعني: البياض والسواد.

---

(١) في د: «تنصرفون».

وقيل: يعني: أصنافكم.

والأول أظهر.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذُكِر في «الرعد»[١].

﴿أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ معناه: تثبت أو يقوم تدبيرها[٢].

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾:

الأولى: شرطية.

والثانية: فجائية، وهي جواب الأولى.

والدعوة في هذه الآية:

قوله للموتى: قوموا.

أو النفخةُ الثانية في الصور.

و﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ يتعلَّق:

بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾.

أو بقوله: ﴿دَعَاكُمْ﴾؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعوِّ؛ كقولك: «دعوتك من الجبل» إذا كان المدعوُّ في الجبل.

﴿قَانِتُونَ﴾ ذكر في «البقرة»[٣].

---

(١) انظر (٢/ ٦٧٥).

(٢) في ج، د: «تدبرها»!.

(٣) انظر (١/ ٣٥٣).

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخِلقة الأولى، وهذا تقريبٌ لفهم السامع وتحقيقٌ للبعث؛ فإن من صنع صنعةً أول مرة كانت أسهل عليه ثانيَ مرة، ولكنَّ الأمور كلها متساويةٌ عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير(١).

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السموات والأرض.



(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف رحمه الله: قول المصنف رحمه الله: «هذا تقريبٌ لفهم السامع وتحقيقٌ للبعث» إلخ، أقول: يريد أن أفعل التفضيل ليس على حقيقته؛ فليس المعنى أن الإعادة أيسرُ على الله من البدء - الخلق الأول - لأن قدرته تعالى على الأشياء واحدة، والأشياء بالنسبة لقدرته تعالى سواء، فليس شيء منها أيسر على الله من شيء، وإنما ذُكِر أفعل التفضيل تقريبا للمخاطبين؛ لأن المستقر في عقولهم أن الإعادة أهون من البدء، وهذا توجيه صحيح، وفي الآية توجيه آخر صحيح أيضا؛ وهو أن أفعل التفضيل على غير بابه، أي: ليس المقصود منه المفاضلة بين شيئين، بل المراد إثبات الوصف، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿أهون عليه﴾ أي: هيِّنٌ عليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. والله أعلم.

[﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا
رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ
ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ
عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ
بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن
ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾].

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالى لا يشارك عبيده في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي قوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أي: لستم في

أموالكم سواءً مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقلُّ وأذل من ذلك.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ الإضراب بـ ﴿بَلْ﴾ عما تضمَّنه معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام.

وإقامة الوجه في الموضعين من السورة: عبارةٌ عن الإقبال عليه والإخلاص فيه.

وفي قوله: ﴿فَأَقِمْ﴾، و﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجنيس.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارضٍ أخرجه عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه..**»(١).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يعني بـ ﴿لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: الفطرة التي فطر الناس عليها من الإيمان.

ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدِّلها

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

شياطين الإنس والجن بعد الخِلْقة الأولى.

أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدِّلوها؛ فالنفي على هذا حكمٌ لا خبر.

وقيل: إنه على الخصوص[1] في المؤمنين؛ أي: لا تبديل لفطرة الله في حق مَن قضى الله أنه يثبت على إيمانه.

وقيل: إنه نهيٌ عن تبديل خلقة الله، كخِصَاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها وشبهِ ذلك.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾.

وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: «الزموا فطرة الله».

وقيل: هو حال من قوله: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ﴾، وهذا بعيد.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وما بعده: معطوفٌ:

على ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾.

أو على العامل في ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾، وهو «الزموا» المضمر.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله.

ومعنى ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾: جعلوه فِرَقًا؛ أي: اختلفوا فيه.

---

(١) في ج، د: «إنه خصوصٌ».

وقرئ: ﴿فَارَقُواْ﴾ من المفارقة؛ أي: تركوه.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار.

وقيل: هم المسلمون الذي تفرَّقوا فِرَقًا مختلفة، ففي لفظ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هنا تجوُّزٌ بعيد، ولعلَّ قائلَ هذا القول إنما قاله في قول الله في «الأنعام»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآيةَ؛ إنحاءٌ على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرخاء.

﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ ذكر في «العنكبوت»[1].

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعةٌ بمعنى: «بل» والهمزة.

والسلطان: الحجة، وكلامه مجازٌ، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاءٌ على مَن يفرح ويَبطَر إذا أصابه الخير، ويَقنَط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا ﴿وَإِذَآ﴾، وقال في الشر: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن «إذا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إنْ»؛ فإنها للشكِّ في وقوعه، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن الخير الذي يصيب به عبادَه أكثرُ من الشرِّ.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

---

(١) انظر صفحة ٤٨١.

﴿فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ يعني: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والمودَّة، ولو بالكلام الطيب.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ الآيةَ؛ معناها كقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، أي: ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به.

وقيل: المراد: أن يهب الرجلُ للرجل أو يُهدِي له ليعوضه أكثر من ذلك، فهذا وإن كان جائزًا فإنه لا ثواب فيه.

وقرئ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾:

بالمدِّ: بمعنى أعطيتم.

وبالقصر: يعني: جئتم به؛ أي: فعلتموه.

وقرئ: ﴿لِّتُرْبُوا۟﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لِّيَرْبُوَا۟﴾ بالياء مفتوحةً ونصبِ الواو.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ المضْعِف: ذو الإضعاف من الحسنات.

وفي هذه الجملة التفاتٌ؛ لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون».

وفيها أيضًا حذفٌ؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».

[﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن
يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ
ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قيل: البر: البلاد البعيدة من البحر، والبحر: هو البلاد التي على ساحل البحر.

وقيل: البر: اللسان، والبحر: القلب، وهذا بعيد.

والصحيح: أن البرَّ والبحر هما المعروفان، وظهور الفساد في البرِّ: بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر: بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلق:

بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾.

أو بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي: لا يردُّه الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ مِن الصَّدْعِ، وهو الفُرْقة؛ أي: يتفرقون فريقٌ في الجنة وفريق في السعير.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطِّئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه.

والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّق:

بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾.

أو ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾.

أو بمحذوف.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي: تبشِّر بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطفٌ على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ ؛ كأنه قال: ليُبشِّركم وليذيقكم.

ويحتمل أن يتعلَّق بمحذوف تقديره: ليذيقكم من رحمته أرسلَها.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقيل: اسمها مضمر يعود على مصدر ﴿ٱنتَقَمْنَا﴾، أي: وكان الانتقام حقًا، فعلى هذا: يوقف على ﴿حَقًّا﴾، ويكون ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مبتدأ، وهذا ضعيف.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تحرِّكها وتنشرها.

﴿كِسَفًا﴾ أي: قِطَعًا، وقرئ بإسكان السين، وهما بناءان للجمع.

وقيل: معنى الإسكان: أن السحاب قطعة واحدة.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ هو المطر.

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ الخلال: الشّقاق التي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلِّلُ الأجزاء، والضمير يعود على السحاب.

﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ كرر للتأكيد، وليفيد سرعة تقلُّب قلوب الناس من القنوط إلى الاستبشار.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى: ٢٨].

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبته الله بالمطر.

والمعنى: لئن أرسل الله ريحًا فاصفرَّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله.

وقيل: الضمير للريح.

وقيل: للسحاب.

والأول أحسن في المعنى.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآيةَ؛ استعارةٌ في عدم سمْع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتى في عدم إحساسهم.

* * *

[﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ
ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ
فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾].

﴿خَلَقَكُم مِّن ضُعْفٍ﴾ الضعف الأول: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفًا في حال الطفوليَّة.

والضعف الأخير: هو الهرَم.

وقرئ بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان.

﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلَّا ساعة.

أو: ما لبثوا في الدنيا إلَّا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدة.

﴿ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثلَ هذا الصرف كانوا يُصرَفون في الدنيا عن الصِّدق والتحقيق؛ حتى يروا الأشياء على ما هي عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردُّوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله: ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾.

وقيل: يعني: القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله.

وقولهم: ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ﴾ خطابٌ للكفار.

وقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنى جوابٌ لشرط مقدَّر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ من العُتبى: بمعنى الرضا؛ أي: لا يُرْضَون، وليست «استفعل» هنا للطلب.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ يعني: ما وَعد من النصر على الكفار.

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخِفَّة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.

﴿ سورة لقمان ﴾

[﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن
كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾].

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذُكِر في «يونس»[1].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهنَّ حرام»، وقرأ هذه الآية[2].

وقيل: نزلت في قريشيٍّ اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ، فالشراء على هذا: على حقيقته.

---

(١) انظر (٢/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢)، وابن ماجه (٢١٦٨).

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان قد تعلَّم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراءُ لهو الحديث: استحبابه وقوله وسماعه، فالشراء على هذا: مجاز.

وقيل: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: الطَّبل.

وقيل: الشرك.

ومعنى اللفظ يعم ذلك كلَّه.

وظاهر الآية: أنه لهوٌ مضافٌ إلى كفر واستخفاف بالدين؛ لقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ، وأن المراد شخصٌ معين؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في «الرعد»[1].

﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي: لئلا تميد.



---

(١) انظر (٢/ ٦٦٧).

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾].

﴿لُقْمَٰنَ﴾ رجلٌ ينطق بالحكمة، واختُلف هل هو نبيٌّ أم لا؟

وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبيًا، ولكن عبدًا حسَن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»(١).

وروي أنه كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته.

وروي أنه كان قاضي(٢) بني إسرائيل.

---

(١) لم أقف على إسناده، وذكره الثعلبي (٤/ ٣١٩) وابن عطية (٧/ ٤٤) في تفسيرهما، وقالا: «وقال ابن عمر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لم يكن لقمان نبيًا.. إلخ».

(٢) في ب: «قاضيًا في».

واختُلف في صناعته:

فقيل: نجارٌ.

وقيل: خياطٌ.

وقيل: راعي غنم.

وكان ابنه كافرًا فما زال يوصيه حتى أسلم.

وروي أن اسم ابنه ثاران.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراضٌ في أثناء وصية لقمان لابنه؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله.

ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمّه؛ حسَبما ذكرنا في «العنكبوت»[1].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفًا على ضعف؛ لأن الحمل كلّما عظم ازدادت الحامل به ضعفًا.

وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: تَهِنُ وَهْنًا.

﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ أي فِطَامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرَّضاع.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسيرٌ للوصية واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد؛ مما يوجب عظيم حقِّها، ولذلك كان حقُّها أعظم من حق الأب.

---

(١) انظر صفحة ٤٦٢.

﴿يَٰبُنَيَّ﴾ الآيةَ؛ رجَع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان يا بنيّ.

﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أي: وزْنَها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبَّر بحبة الخردل ليدلَّ على ما هو أكثر.

﴿فِي صَخۡرَةٍ﴾ قيل: المراد: الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف.

وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو[1] كانت في أخفى موضع كجوف صخرة: فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السموات أو في الأرض.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ أمرٌ بالصبر على المصائب عمومًا.

وقيل: المعنى: ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ يَحتمل أن يريد:

مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب.

أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ.

ولفظ العزم مصدرٌ يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصَّعَر في اللغة: الميل؛ أي: لا تولِّ الناس خدَّك، وتعرضْ عنهم تكبُّرًا عليهم.

﴿مَرَحًاۖ﴾ ذكر في «الإسراء»[2].

---

(١) في أ، هـ: «لو».

(٢) انظر (٢/ ٨٠٧).

﴿مُخۡتَالٖ﴾ من الخيلاء.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرع[(١)] إسراعًا يدلُّ على الطيش، والخِفَّة، ولا تبطئ[(٢)] إبطاءً يدلُّ على النَّخوة والكبر.



(١) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٢) في ب زيادة: «فيه».

[﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ
عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ
ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى
ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ
﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ
مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ الظاهرة: الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: ستر قبيح الأعمال.

وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العقبى.

واللفظ أعمُّ من ذلك كله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار؟!.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿يُسْلِمْ﴾ أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد. والوجه هنا عبارة عن المقصد[١].

﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ذكر في «البقرة»[٢].

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ بكثرة كلمات الله، والمراد: اتساع علمه.

ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلامًا، والبحر لو كان مِدادًا يصبُّ فيه سبعة أبحر صَبًّا دائمًا، وكُتِبت بذلك كلمات الله: لنَفِدَت الأشجار والبحار ولم تَنْفَدْ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهيةٌ، وكلمات الله غير متناهية.

فإن قيل: لمَ لمْ يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]؟

فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدّواةَ وأمدَّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: «من شجرٍ» باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

---

(١) في أ: «القصد».

(٢) انظر (١/ ٤٧٧).

فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرةٍ شجرةٍ؛ حتى لا يبقى منها واحدة.

فإن قيل: لم قال ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ ولم يقل: «كَلِمُ الله» بجمع الكثرة؟

فالجواب: أن هذا أبلغُ؛ لأنه إذا لم تَنفَد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير.

وروي أن سبب الآية: أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كلُّه، فنزلت الآية؛ لتدلَّ أن ما عندهم قليلٌ من كثير، والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن سببها: أن قريشًا قالوا: إن القرآن سيَنفَدُ.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ بيانٌ لقدرة الله على بعث الناس، وردٌّ على من استبعد ذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أي: يُدخِل كلَّ واحدٍ منهما في الآخر؛ بما يزيد في أحدهما ويَنقص من الآخر.

أو بإدخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يَحتمل أن تكون الباء:

سببية.

أو يكون المعنى: ذلك شاهدٌ بأن الله هو الحق.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾].

﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بذلك:

ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء: للإلصاق أو للمصاحبة.

أو يريد الريح، فتكون الباء سببية.

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغةٌ في صابرٍ وشاكر.

﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ جمع ظُلَّة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبَّه الموج بذلك إذا ارتفع وعَظُم حتى علا فوق الإنسان.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد: المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد:

كافرًا متوسِّطًا في كفره لم يسرف فيه.

أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه.

وقيل: معنى ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: مؤمنٌ ثبت في البرّ على ما عاهد اللهَ عليه في البحر.

﴿خَتَّارٍ﴾ أي: غدَّار شديد الغدر، وذلك أن جَحْدَ نعمة الله غدرٌ.

﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لا يقضي[١] عنه شيئًا، والمعنى: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرَّة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده على شيء.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان.

وقيل: الأمل والتسويف.

﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة[٢]؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية[٣].

﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خيرٍ أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.



(١) في ب: «لا يغني».
(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.
(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٩)، ومسلم (١٠).

﴿ سورة السجدة ﴾

[﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ
بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا
لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ
جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى
خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله ﷻ.

ونفيُ الريب على اعتقاد أهل الحق، وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يتعلّق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الضمير لقريش و﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل» والهمزة.

﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلّق:

بما قبله.

أو بمحذوف.

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني: في الفترة من زمان عيسى، وقد جاء الرسلُ قبل ذلك، كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولًا ينذرهم؛ ليقيم الحجة عليهم.

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»[1].

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفيُ الشفاعة على وجهين:

أحدها: الشفاعة للكفار، وهي معدومة على الاطلاق.

والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلَّا بإذن الله، كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور.

وقيل: المأمور به من الطاعات.

والأول أصح.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبَّره[2] وقضاه من السماء إلى الأرض.

---

(١) انظر (٢/ ٣٤٩).

(٢) في أ، ب، هـ: «يدبره».

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس: المعنى: يُنفِذُ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سِيَر فيه السيرُ المعروف من البشر ألفُ سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام، فالألفُ: ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء.

وقيل: إن الله يُلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرَغت ألقَى إليهم مثلها، فالمعنى: أن الأمور تَنفُذُ عنده لهذه المدَّة، ثم تصير إليه آخِرًا؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا: عبارةٌ عن مصير الأمور إليه.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن المخلوقين، والشهادة: ما شاهدوه.

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات.

وقرئ ﴿خَلْقَهُۥ﴾ -بإسكان اللام- على البدل.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يعني: آدم ﵇.

﴿نَسْلَهُۥ﴾ يعني: ذريَّته.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني: المنيَّ، والسلالة: مشتقةٌ مِن سَلَّ يسُلُّ؛ فكأنَّ الماء يُسَلُّ من الإنسان.

والمهين: الضعيف.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: قوَّمه.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه.

وإضافة الروح إلى الله إضافة مِلكٍ إلى مالك.

وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلَّا الله[1].

﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تَلِفْنا وصرنا ترابًا.

ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار: استبعادٌ للبعث.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى قولهم: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾؛ تقديره: نُبعَث؟.

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ اسمه: عزرائيل، وتحت يده ملائكة.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه» إلخ، أقول: يريد المصنف أن النفخ في آدم من الروح عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه، وهذا تأويلٌ للنفخ، فيظهر منه أنه لا يُثبت إضافة النفخ إلى الله، ولا موجب للعدول عن ظاهر القرآن؛ فالله تعالى أضاف نفخ الروح في آدم إلى نفسه المقدسه في ثلاثة مواضع؛ في سورة الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال في سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾، وقال في السجدة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، أي: الإنسان الذي بدأه من طين، وهو آدم، كما في آيتي الحجر وص، وعليه فالنفخ من أفعال الله تعالى التي تكون بمشيئته سبحانه؛ فهو تعالى ينفُخ فيما شاء ما شاء كيف شاء. والله أعلم.

[﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾].

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يحتمل أن تكون «لو»:

للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجّي، وقد ذُكِر[1].

أو تكون للامتناع، وجوابها محذوفٌ تقديره: لو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرًا مهولًا.

﴿ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾ عبارةٌ عن الذُّلِّ والغم والندم.

﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد علمنا الحقائق.

---

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ يعني: أنه لو أراد أن يَهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادرٌ على ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنى الترك.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنى: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل.

ومن صلى العشاء والصبح في جماعةٍ فقد أخذ بحظه(١) من هذا.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحدٌ مقدارَ ما يُعطيهم الله من النعيم.

وقرئ ﴿أُخْفِي﴾ بإسكان الياء، على أن يكون فعلَ المتكلم، وهو الله تعالى.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآيةَ؛ يعني: المؤمنين والفاسقين على العموم.

وقيل: يعني: عليَّ بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿الَّذِي﴾ نعتٌ للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكَّر في قوله: ﴿بِهِ﴾.

فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبأ» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]؟

---

(١) في ب، هـ: «بحظٍّ».

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه خصَّ العذاب في السجدة بالوصف اعتناءً به، لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾.

الثاني: أنه تقدَّم في «السجدة» ذكرُ النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر، فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب ولم يصف النار.

الثالث: - وهو الأقوى -: أنه امتنع في السجدة وصْفُ النار؛ فوصَفَ العذاب، وإنما امتنع وصفها؛ لتقدُّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئًا ثم كرَّرت ذكره لم يجز وصفه، كقولك: «رأيت رجلًا فأكرمت الرجل»، فلا يجوز وصفه؛ لئلا يُفهَم أنه غيره.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ **يعني**: الجوع ومصائب الدنيا.

وقيل: القتل يوم بدر.

وقيل: عذاب القبر، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هذا وعيدٌ لمن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها.

وكان الأصل أن يقول: «إنا منه منتقمون»، ولكنه وضع ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ موضع المضمر؛ ليصفهم بالإجرام.

وقدَّم المجرور على ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ للمبالغة.

❊ ❊ ❊

[﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ
﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ
يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ
أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ المرية: الشك، والضمير لموسى؛ أي: لا تشكَّ في لقائك موسى ليلة الإسراء.

وقيل: المعنى: لا تشك في لقاء موسى للكتاب[1] الذي أنزل عليه، والكتاب على هذا: التوراة.

وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنى: لقد آتينا موسى الكتاب، فلا تشكَّ أنت في لقائك للكتاب[2] الذي أُنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير: لجميع الخلق.

وقيل: لبني إسرائيل خاصة.

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».
(٢) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في «طه»[(١)].

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ الضمير في ﴿يَمْشُونَ﴾ لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلَكين، كقوله: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وقيل: الضمير للمهلَكين؛ أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم.

والأول أحسن؛ لأن فيه حجةً على أهل مكة.

﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدَّة العطش.

﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة.

وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة[(٢)]؛ لأن من آمن يوم فتحِ مكة نفَعه إيمانه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون[(٣)] هلاكك، وهذا[(٤)] تهديدٌ لهم.



(١) انظر (٣/ ١٢٥).
(٢) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنى لها.
(٣) في ب، د، هـ: «منتظرون».
(٤) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».

﴿ سورة الأحزاب ﴾

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
(١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى
ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ
ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ
يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤) ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ
تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ
وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا (٦) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ
مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٧) لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ نداءٌ فيه تكريمٌ له؛ لأنه ناداه بالنبوّة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: دُمْ على التقوى، وزد منه.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة.

ويعني بـ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ : المظهرين للكفر، وبـ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ : الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر.

وروي أن ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هنا: أبيُّ بن خلف، و﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ هنا: عبد الله ابن أبيٍّ بن سلول.

والعموم أظهر.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ قال ابن عباس: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبين؛ لشدَّة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك.

ويقال: إنه ابن خَطَلٍ.

وقيل: جميل بن مَعْمر.

وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئةً لما بعده من النفي؛ أي: كما لم يجعل الله لرجلٍ من[1] قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجَكم أمهاتِكم ولا أدعياءَكم أبناءكم.

﴿ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي: تقولون للزوجة: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وسيأتي حكمه في «المجادلة».

وإنما تعدَّى هذا الفعل بـ «مِن» لأنه تضمَّن[2] معنى: يتباعدون[3] منهنَّ.

---

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

(٢) في أ، ب: «يتضمن».

(٣) في هـ: «تتباعدون».

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعيٍّ، وهو الذي يُدْعَى ولدَ فلان وليس بولده.

وسببها: أمْرُ زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتًى من كَلْبٍ، فسبَاه بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبنَّاه؛ فكان يقال له: «زيد بن محمد» حتى أُنزلت هذه الآية.

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم﴾ الإشارةُ:

إلى نسبة الدعِيِّ إلى غير أبيه.

أو إلى كل ما تقدَّم من المنفيات.

وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول.

﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء، أي: انسُبوهم إلى آبائهم الذين وَلَدوهم.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يقتضي: أن يحبوه ﷺ أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي ﷺ حرمة الأمهات؛ في تحريم نكاحهن ووجوب مبرَّتهن، ولكن أوجب حجبَهنَّ عن الرجال.

﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخٌ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوَّة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في «الأنفال»[1].

---

(١) انظر (٢/ ٤٧٢).

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد: القرآنَ، أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون:

بيانًا لأولي الأرحام.

أو يتعلق بـ ﴿أَوْلَىٰ﴾؛ أي: أولوا الأرحام أولَى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد: الإحسانَ إلى الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفْعَهم في الحياة، والوصيةَ لهم عند الموت؛ فذلك جائزٌ، ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة.

واختُلف: هل يعني الأولياءَ المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين؟

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ يعني: القرآن، أو اللوح المحفوظ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع.

وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذرِّ.

والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصَّصهم[1] بالذكر تشريفًا لهم، وقدَّم محمدًا ﷺ تفضيلًا له.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ يعني: الميثاق المذكور، وإنما كرَّره: تأكيدًا، وليصفه

---

(١) في ج، د: «خصهم».

بأنه غليظٌ؛ أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لام «كي»، أو لام الصيرورة.

والصدق هنا يحتمل أن يكون:

الصدق في الأقوال.

أو الصدق في الأفعال والعزائم.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: الأنبياءَ، أو غيرَهم من المؤمنين.

* * *

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا
وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ
مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ
ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ۝١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ
فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارٗا ۝١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ
إِلَّا يَسِيرٗا ۝١٤ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ
مَسۡـُٔولٗا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝١٧ ۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ
لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ
يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم
بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٗا ۝١٩ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي
ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾].

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق.

والجنود المذكورة: هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسمَّاهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف، حصَروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها؛ ليمنعهم من دخولها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت[١] قدورهم، ولم يُمْكنهم معها قرارٌ، فانصرفوا خائبين.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: حصَروا المدينة من أعلاها ومن أسفلها.

وقيل: معنى ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تِهامة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارةٌ عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حَنْجَرة: وهي الحلق، وبلوغ القلب[٢] إليها مجازٌ وعبارةٌ عن شدَّة الخوف.

وقيل: بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ أي: تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم.

فأما المنافقون فظنوا ظن السَّوء وصرَّحوا به.

وأما المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خَواطر مما لا يمكن للبشر دفعها،

---

(١) في ب: «وأكبَتْ».

(٢) في أ، هـ: «القلوب».

ثم استبصروا ووثقوا بوعد الله.

وقرأ نافع ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦]، و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] بالألف في الوصل وفي الوقف.

وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل.

فأما إسقاطها: فهو الأصل.

وأما إثباتها: فلتعديل رؤوس الآي؛ لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة.

وأما من أثبتها في الحالين: فإنه أجرى الوصل مُجْرَى الوقف.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختُبروا، أو أصابهم بلاء.

والعامل في الظرف: ﴿ٱبْتُلِىَ﴾.

وقيل: ما قبله.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أصل الزلزلة: شدة التَّحريك، وهو هنا عبارةٌ عن اضطراب القلوب.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ روي أنه يعني: مُعَتِّب بن قُشَير.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، والمراد هنا: أوس بن قيظي[1].

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ يثرب: اسم المدينة.

---

(١) التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ٢٥٥).

وقيل: اسم البقعة التي المدينةُ في طرف منها.

و﴿مَقَامَ﴾ اسم مَوْضِع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون مَوْضع القتال.

وقرئ بالضم، وهو اسم موضعٍ من الإقامة.

وقولهم: ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي: يستأذنه[1] في الانصراف.

والمستأذن: أوس بن قيظي وعشيرته.

وقيل: بنو حارثة.

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: منكشفةٌ للعدوّ.

وقيل: خالية للسُّراق.

فكذَّبهم الله في ذلك.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دُخِلت عليهم المدينة مُن جهاتها.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ يريد بالفتنة: الكفر أو قتال المسلمين.

﴿لَأَتَوْهَا﴾ قرئ بالقصر بمعنى: جاؤوا إليها.

وبالمدِّ بمعنى: أعطوها من أنفسهم.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ الضمير للمدينة.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التهديد.

---

(١) في ب: «يستأذنوه».

وقيل: للتقليل على وجه التهكُّم.

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين يعوّقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم.

﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: «هلمَّ إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك[1] القتال».

وقد ذُكر ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»[2].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ البأس: القتال.

و﴿قَلِيلًا﴾:

صفةٌ لمصدر محذوف تقديره: إلَّا إتيانًا قليلًا.

أو مستثنًى من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾، أي: إلَّا قليلًا منهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيحٍ:

فقيل: معناه: يَشحُّون بأنفسهم فلا يقاتلون.

وقيل: يشحون بأموالهم.

وقيل: معناه أشحة عليكم في وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تُقتَلوا[3].

---

(١) في د: «واتركوا».
(٢) انظر (٢/ ٣١٧).
(٣) في أ، ب: «يقتلوا».

ونصْبُ ﴿أَشِحَّةً﴾ :

على الحال من ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ﴾ ، أو ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ ، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾ .

أو نصْبٌ على الذمِّ.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء. نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذوا بك من شدَّة خوفهم.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ عبارةٌ عن شدة خوفهم.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ السَّلْقُ بالألسنة: عبارةٌ عن الكلام بكلام مستكرهٍ[1].

ومعنى ﴿حِدَادٍ﴾ : فصحاء قادرين على الكلام؛ أي: إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذايتكم بالسبِّ وتنقُّص الشريعة.

وقيل: إذا غنمتم طلبوا من الغنائم.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: يَشحُّون بفعل الخير.

وقيل: يشحُّون بالمغانم.

وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في ﴿سَلَقُوكُم﴾ .

﴿لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى: أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرطٌ في قَبول الأعمال.

وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط على هذا حقيقةٌ.

---

(١) في ب: «مستنكر».

﴿يَحْسِبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ الأحزاب هنا: هم كفار قريش ومن معهم.

والمعنى: أن المنافقين من شدَّة جزَعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة، وهم قد انصرفوا.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ معنى ﴿يَوَدُّوا۟﴾: يتمنوا، و﴿بَادُونَ﴾: خارجون في البادية، و﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾: هم أهل البوادي من العرب.

فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرةً أخرى؛ تمنَّى هؤلاء المنافقون من شدَّة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة، بل غائبين عنها يسألون مَن ورد عليهم عن أنبائكم.

* * *

[﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوةٌ تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل.

وقرئ ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة، والمعنى واحد.

﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق؛ مِن أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين.

وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ [البقرة: ٢١٤] الآيةَ، فعلموا أنهم يبتلون ثم يُنصرون(١).

---

(١) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النُّسخ: «ينصرفون»!، والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر الكشاف (١٢/ ٤٠٤).

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك: يعني: عمي أنس بن النَّضْر.

وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب.

وقضاء النحب عبارةٌ عن الموت عند ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: وفَّى العهدَ الذي عاهد اللهَ عليه، ويدلُّ على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نحبه»[1] وهو لم يُقتل يومئذ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ المفعول محذوفٌ؛ أي: ينتظر أن يقضيَ نحبه: أي: ينتظر الشهادةَ في سبيل الله على قول ابن عباس.

أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصلاح على القول الآخر.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ الصياصي: هي الحصون.

ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهِدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصَر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ؛ فحَكم بأن يُقتَل رجالهم وتُسبَى نساؤهم وذريتهم.

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني: الرجال، وقُتِل منهم يومئذ كل مَن أنبَتَ، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٢٧).

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني: النساء والذرية.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قسَمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ هذا وعدٌ بفتح أرض لم يكن المسلمين قد وطؤوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق.

ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمَّا غيرها من الأرَضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كرَّرها بالعطف؛ ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.

* * *

[﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية؛ سببها: أن أزواج رسول الله ﷺ تغايَرْنَ حتى غمَّه ذلك.

وقيل: طلبن منه ملابسَ ونفقاتٍ كثيرة.

وكان أزواجه يومئذ تسعَ نسوة؛ خمسٌ من قريش، وهنَّ: عائشة بن أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حَبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربعٌ من غير قريش، وهنَّ: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حييٍّ من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويريَة بنت الحارث من بني المصطلق.

﴿ فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ أصل «تعال»: أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى: «أَقبلْ»

في جميع الأمكنة.

و﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: من المتعة، وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت.

والسراح: الطلاق.

فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخيِّر نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردْنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرُهنَّ في ذلك، لم يقع طلاقٌ.

قالت عائشة: خيَّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعدَّ[1] ذلك طلاقًا.

وإذا اختارت المخيَّرة الطلاق:

فمذهب مالك: أنه ثلاث.

وقيل: طلقة بائنة.

وقيل: طلقة رجعية.

ووصْفُ السَّراح بالجميل يَحتمل:

أن يريد: أنه دون الثلاث.

أو يريد أنه ثلاث، وجماله: حسن الرَّعْي والثناء وحفظ العهد.

﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتبعيض؛ لأن جميعَهنَّ محسناتٌ.

﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا.

---

(١) في ج، د: «نعد».

وقيل: يعني: عصيانَ زوجهن ﷺ، أو تكليفَه ما يشقُّ عليه.

وقيل: عمومٌ في المعاصي.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلوِّ رُتبتهن[1]؛ لأن كلَّ أحد يطالَب على مقدار[2] حاله.

وقرئ ﴿يُضَٰعَفۡ﴾:

بالياء ورفع ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾، على البناء للمفعول.

وبالنون ونصب ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾، على البناء للفاعل.

﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرئ:

بالياء؛ حملًا على لفظ «مَن».

وبالتاء؛ حملًا على المعنى.

وكذلك ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾.

والقنوت هنا: بمعنى الطاعة.

﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ أي: يضاعف[3] لهن ثواب الحسنات.

﴿رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ يعني: في الجنة.

---

(١) في هـ: «مرتبتهنَّ».

(٢) في ج، د: «قدر».

(٣) في ب، د: «نضاعف».

وقيل: في الدنيا.

والأوّل هو الصحيح.

﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ فضّلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التّفضيل على جميع النساء، إلّا أنه يخرج من هذا العموم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ نهيٌ عن الكلام اللّيِّن الذي يُعجِب الرجال ويُميلهم إلى النساء.

﴿فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجورٌ وميلٌ للنساء.

وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام.

أو[1] الذي ليس فيه شيء مما نهي عنه.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويَحتمل وجهين:

أن يكون من الوقار.

أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في «ظَلْتُ».

---

(١) في ب، ج: «و».

وأما القراءة بالفتح:

فمن القرار في الموضع، على لغة من يقول: قَرِرت - بالكسر - أَقَرُ - بالفتح -، والمشهور في اللغة عكس ذلك.

وقيل: هي من: قار يقار: إذا اجتمع.

ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة ﵂ قيل لها: لم لا تحجِّين؟ فقالت: أمرنا الله أن نَقِرَّ في بيوتنا.

وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تَقِرِّي في بيتك.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: إظهار الزينة.

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن، من الانكشاف والتعرُّض للنظر.

وجعَلها **أُولَى**؛ بالنظر إلى حال الإسلام.

وقيل: الجاهلية الأولى: ما بين آدم ونوح.

وقيل: ما بين موسى وعيسى.

﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أصله: النجس، والمراد به هنا: النقائص والعيوب.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منادى، أو منصوبٌ على التخصيص.

وأهل بيت النبي ﷺ هم: أزواجه، وذريته، وأقاربه، كالعباس وعليٍّ، وكل من حَرُمَت عليه الصدقة.

وقيل: المراد هنا: أزواجه خاصة، والبيت على هذا: المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: «عنكن».

وروي أن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين»[1].

﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ خطابٌ لأزواج النبي ﷺ، خصَّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت.

وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكُّر بالقلب.

و﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: هي السنة.



(١) أخرجه أحمد (١٦٩٨٨)، والترمذي (٣٢٠٥)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٤١٠).

[﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن بعض النساء قلن: ذَكَر اللهُ الرجال ولم يذكرْنا!، فنزل فيها ذكر النساء.

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الإسلام: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق.

ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الذاريات: ٣٥] الآيةَ.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعمَّ؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان

أخصّ لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع.

﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ يَحتمل أن يكون: بمعنى العبادة، أو الطاعة.

﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ يَحتمل أن يكون:

من صدق القول.

أو من صدق العزم.

أو العهد.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيارٌ مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله.

والضمير في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ راجعٌ إلى الجمع الذي يقتضيه قوله: ﴿لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات.

وهذه الآية توطئةٌ[1] للقصة المذكورة بعدها.

وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليزوجها[2] لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله.

واختُلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها؟

وقد قيل: إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

---

(١) في أ، ب، هـ: «موطئة».

(٢) في أ، هـ: «فزوجها».

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي، وإنعام الله عليه: بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ: بالعتق.

وكانت عند زيد زينبُ بنت جحش وهي بنت أُميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد إلى رسول الله ﷺ سوءَ معاشرتها وتعاظمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني: فيما وصفها به من سوء المعاشرة.

أو: اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيًا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال ﷺ: «**أبغض المباح إلى الله الطلاق**»[1].

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عَتْب[2]، ولكنه خاف أن يسلط الناس عليه ألسنتهم وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمة وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصًا على أن يطلق زيد زينب ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفًا من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبنَّاه، فالذي أخفاه ﷺ: وهو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوُّجها.

قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية؛ لشدَّتِها عليه.

وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨).

(٢) في أ، ب، هـ: «عيب».

زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لم يُذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة.

والوطر: الحاجة.

قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع(١).

والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوَّجها اللهُ من نبيه ﷺ.

وأسند الله تزويجها إليه تشريفًا له(٢)، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيَّه من فوق سبع سموات».

واستدلَّ بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ على أن الأولى: أن يقال في كتاب الصَّداق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوّج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليَعلم المؤمنون أن تزوُّج نساءِ أدعيائهم حلالٌ لهم، فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء حقيقة.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ المعنى: أن تزوُّج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلالٌ لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردٌّ على

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٣).

(٢) في د: «لها».

من تكلَّم في ذلك من المنافقين.

و﴿فَرَضَ﴾ هنا بمعنى: قسم الله له.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم.

وقيل: إن الإشارة بذلك إلى دواد في تزوُّجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى.

والعموم أحسن.

ونصْبُ ﴿سُنَّةَ﴾:

على المصدر.

أو على إضمار فعل.

أو على الإغراء.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾، وهم الأنبياء.

أو رفعٌ على إضمار مبتدإ.

أو نصبٌ بإضمار فعل.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ هذا ردٌّ على من قال في زيد بن حارثة: زيد بن محمد، فاعتَرض على النبي ﷺ تزوُّج امرأةِ زيد.

وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين؛ لأنه ﷺ ليس أبًا لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور

أولاده فماتوا صغارًا؛ فليسوا من الرجال.

﴿وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: آخرهم فلا نبيَّ بعده ﷺ.

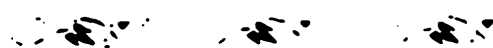
وقرئ:

بكسر التاء: بمعنى أنه ختَمهم فهو خاتِم.

وبالفتح بمعنى أنهم خُتِموا به، فهو كالخاتَم والطابَع لهم.

فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟

فالجواب: أن النبوَّة أتت[1] عيسى قبله ﷺ، وأيضًا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته ﷺ، فكأنه واحد من أمته.



(١) في ج، د: «أوتيت».

[﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ
الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ
وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ
وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ
يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)
۞ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ
مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾].

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال.

والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذِكْر أسماء الله تعالى[(١)].

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ١/ ٣٧٧.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: إن ذلك إشارةٌ إلى صلاة الصبح والعصر.

والأظهر أنه أمرٌ بالتسبيح في أول النهار وآخره.

وقال ابن عطية: أراد: في كل الأوقات، فحدَّ النهار بطَرَفَيْه(١).

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ﴾ هذا خطابٌ للمؤمنين، وصلاة الله عليهم: رحمته لهم، وصلاة الملائكة عليهم: دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّي﴾ في المعنيين على اختلافها.

وقيل: إنه على حذفٍ تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني: يوم القيامة.

وقيل: في الجنة، وهو والأرجح لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠].

ويحتمل أن يريد:

تسليمَ بعضهم على بعض.

أو قولَ الملائكة لهم: «سلامٌ عليكم».

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: يَشهد على أمته.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ استعارةٌ للنور الذي تضمَّنه الدين.

﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا: مضاف إلى المفعول، ونُسِخ

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٦).

من الآية على هذا التأويل ما يخصُّ الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتمل إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا: مضاف للفاعل.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآيةَ؛ معناها: سقوط العدَّة عن المطلقة قبل الدخول.

فالنكاح في الآية: هو العقد، والمس: هو الجماع، و﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾: من العَدد.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي مُتعة المطلقة قبل الدخول، سواءٌ فُرِض لها أو لم يُفرَض لها صداقٌ، وقوله تعالى في «البقرة»: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها: يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها.

وقد اختُلف هل هذه الآية ناسخةٌ لآية البقرة أو منسوخة بها؟

ويمكن الجمع بينهما: بأن تكون آية البقرة مبيِّنة لهذه، ومخصصة لعمومها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: أن المراد: أزواجه اللاتي في عصمته حينئذٍ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن.

والآخر: أن المراد: جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي مهرها، وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السَّراريَ بمِلك اليمين.

ويعني بقوله: ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: الغنائمَ.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾ يعني: قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له ﷺ أعمامٌ وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه ﷺ أخٌ ولا أخت، فإنما[1] يعني بخاله وخالته: عشيرةَ أمه وهم بنو زُهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ.

فمن قال: إن المراد بقوله: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾: مَن كانت في عصمته: فهذا عطفٌ عليهن، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلى مَن كان في عصمته.

ومن قال: إن المراد: جميع النساء، فهذا تجريدٌ منهنَّ؛ على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم.

﴿ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرَّز به ممن لم يهاجر، كالطُّلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ مَن وَهبت له نفسها من النساء، واختُلف هل وقع ذلك أم لا؟

فقال ابن عباس: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلَّا بنكاح أو مِلك يمين، لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا: قراءةُ الجمهور: ﴿إِن وَهَبَتْ﴾ - بكسر الهمزة - أي: إن وقع ذلك.

وقيل: قد وقع ذلك، وعلى هذا قرئ: ﴿أَن وَهَبَتْ﴾ -بفتح الهمزة-،

---

(١) في ج، د: «وإنما».

واختُلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟

فقيل: ميمونة بنت الحارث.

وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين.

وقيل: أم شَريك الأنصارية.

وقيل: أم شَريك العامرية.

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هبةُ المرأة نفسَها مزيةٌ خاصة[(١)] بالنبي ﷺ دون غيره.

وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب؛ ليخصَّ المخاطَب وحده.

وقيل: إن ﴿خَالِصَةً﴾ يرجع إلى كل ما تقدَّم، من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قُصروا على أربع نسوة، وأُبيح له ﷺ أكثر من ذلك.

ومذهب مالك: أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد، خلافًا لأبي حنيفة.

وإعراب ﴿خَالِصَةً﴾: مصدر، أو حال، أو صفة لـ ﴿وَٱمْرَأَةً﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعني: أحكامَ النكاح؛ من الصَّداق والوليّ والاقتصار على أربع وغير ذلك.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلَّق بالآية التي قبله[(٢)] أي: قد بيَّنا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز.

---

(١) في أ، هـ: «خالصة».

(٢) في ب، ج، د: «قبلها».

وقال الزمخشري: يتعلَّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾[1].

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ معنى ﴿تُرْجِى﴾: تؤخِّر وتُبعِد، ومعنى: ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾: تضمُّ وتقرِّب.

واختُلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟

فقيل: إن ذلك في القسمة بينهنَّ؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقِلُّ لمن شئت.

وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك مَن شئت وتطلق مَن شئت.

وقيل: معناه: تتزوج من شئت، وتترك من شئت.

والمعنى على كل قول: توسعةٌ على النبي ﷺ، وإباحةٌ له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذًا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له.

والضمير في قوله: ﴿مِنْهُنَّ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصةً، أو على كل ما أحل له؛ على حسَب الخلاف المتقدِّم.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَن كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في ردِّه بعد عزله.

والآخر: مَن ابتغيت ومن عزلت سواءٌ في إباحة ذلك.

فـ «مِنْ»:

للتبعيض على القول الأول.

---

(١) الكشاف (١٢/ ٤٦٠).

وأما على الثاني فنحو قولك: «مَن لقيك ممن لم يلقك سواءٌ».

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا عَلِمن أن هذا حكمُ الله قرَّت به أعينهن ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغَيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع لأزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد[1] عليهن.

قال ابن عباس: لما خيرهنَّ رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله جازاهن الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرَهنَّ[2] من النساء؛ كرامةً لهنَّ.

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سمَّيتُ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير مَن ذُكِر حسَبما تقدَّم.

وقيل: معنى ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد.

واختُلف في حكم هذه الآية؟

فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء.

---

(١) في د: «ولا تزد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

وقيل: إن هذه الآية ناسخةٌ لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، وهذا هو الأظهر؛ لما ذكرنا عن ابن عباس، ولأن التسع في حقه ﷺ كالأربع في حق أمته.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلًا منها.

وقيل: معناه: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، وهذا ضعيف.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليلٌ على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوَّجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء.

والاستثناء:

في موضع رفْعٍ على البدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾.

أو في موضع نصبٍ على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهُنَّ﴾.

[﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية على ما رواه أنس: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أَوْلم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفرٌ في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجَر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عن ذلك.

وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يُطْبَخ(١)، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأُمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا.

---

(١) في ج: «ينضج».

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس أليق بما[١] في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعلَّ[٢] قولَ ابن عباس: في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمَّنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإِنَى: هو الوقت.

وقيل: إنَى الطعام: نُضْجُه وإدراكه، يقال: أنَى يأْني إنًى.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾ أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيدٌ للنهي عن الدخول قبلها.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدبٌ أدَّب الله به الثُّقلاء.

وقالت عائشة رضي الله عنها: حسْبُك من الثقلاء أن الله لم يَحْتملهم!.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوفٌ على ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾.

أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين».

ومعناه النهي عن:

أن يَطلبوا الجلوس للأُنس بحديث بعضهم مع بعض.

أو يستأنسوا حديثَ أهل البيت، واستئناسه: تسمُّعه وتجسُّسه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ يعني: جلوَسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن.

---

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلى»!.

﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ يعني: إن إخراجكم حقٌّ لا يتركه الله.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره.

وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس من قعود القوم يوم الوليمة في بيت زينب.

وقيل: سببها: أنَّ عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يَحجب نساءه، فنزلت الآية موافقةً لقول عمر.

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ كنَّ لا يجوز للناس كلامهن إلَّا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهنَّ متنقِّباتٍ ولا غير متنقبات، خُصِصْنَ[1] بذلك دون سائر النساء.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ يريد: أنقى من الخواطر التي تَعرِض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوَّجتُ عائشة، فحرَّم الله على الناس تزوُّج نسائِه بعده؛ كرامةً له ﷺ.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ الآيةَ؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

---

(١) في ج: «خصصهن».

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قيل: يريد: النساءَ[١] القرابة والمتصرِّفات لهن.

وقيل: يريد نساءَ جميع المؤمنات.

ويقوي الأولَ: تخصيص النساء بالإضافة إليهن.

ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الاطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ اختُلف فيمن أبيح لهن الظُّهورُ له من ملك اليمين؟

فقيل: الإماء دون العبيد.

وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختَلف من ذهب إلى هذا:

فقال قوم: من ملَكْنَه[٢] من العبيد دون من ملكه غيرُهن، وهذا هو الظاهر من لفظ الآية.

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريفٌ للنبي ﷺ.

وقد ذكرنا معنى صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ فرضٌ إسلاميٌّ،

---

(١) في أ: «في النساء».
(٢) في ج، د، هـ «ملكَتْهُ».
(٣) في ج: «أو في غير ملكهن».

فالأمر به محمولٌ على الوجوب، وأقلُّه مرةٌ في العمر.

وأما حكمها في الصلاة:

فمذهب الشافعي: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه.

ومذهب مالك: أنها سنة.

وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على[١] إبراهيم إنك حميد مجيد»[٢].

وقد اختَلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا.

وأما السلام على النبي ﷺ فيحتمل أن يريد:

السلامَ عليه في التشهد في الصلاة.

أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليَّ قريبًا سمعتُه، ومن سلم عليَّ بعيدًا بُلِّغته[٣]؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إذايةُ الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصاحبة والولد به.

---

(١) في أ زيادة: «آل».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦).

(٣) في د: «بلغني».

(٤) هذان حديثان، فقوله: «فإن الله حرم . .» إلخ أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود =

وليس معنى إذايته أنه يضرُّه الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله.

والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى: يَشتِمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبةً وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني».

وأما إذاية رسول الله ﷺ: فهي التعرُّض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.

وقال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ[1] صفية بنت حُييّ.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآيةُ في البهتان، وهو ذكر الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذكره بما فيه مما يكره.

= (١٠٤٧)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥) في ضمن حديث، وقوله: «من سلم عليَّ قريبًا..» إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من صلَّى عليَّ عند قبري سمعته..»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٤٠)، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ١٣٦)، وقال: «لا أصل له.. وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٠٣)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٣٥).

(١) في أ، ج: «أخذ».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ
ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ
يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترْنَ بذلك وجوههن، ويقعَ الفرق بن الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار.

وقيل: هو الرداء.

وصورة إدنائه:

عند ابن عباس: أن تلويَه على وجهها حتى لا يظهر منها إلَّا عين واحدة تبصر بها.

وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلَّا عيناها.

وقيل: أن تغطي نصف وجهها.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء، فإذا عُرف أن المرأة حرَّةٌ لم تُعارض بما تعارض به الأمَة.

وليس المعنى: أن تُعرف المرأة حتى يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفرَّق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماءٌ يُعرَفْنَ بالسُّوء، وربما تعرَّض لهن السفهاء.

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تضمَّنت وعيدَ هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا.

فقيل: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنْفَذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليلٌ على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة.

وقيل: إنهم انتهوا وسَتروا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد.

و﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر.

و﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه.

وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]-.

و﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوِّفون(١) المسلمين.

فيَحتمل أن تكون هذه الأصناف:

متفرقةً.

---

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

أو تكون داخلةً في جملة المنافقين، ثم جرَّدها بالذكر.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلِّطك عليهم، وهذا هو الوعيد.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ذلك لأنه ينفيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور: للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَحتمل أن يريد:

إلَّا جوارًا قليلًا.

أو وقتًا قليلًا.

أو عددًا[1] قليلًا منهم.

والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات، فـ ﴿قَلِيلًا﴾:

على الاحتمال الأول: مصدر.

وعلى الثاني: ظرف.

وعلى الثالث: منصوب على الاستثناء.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصبٌ:

على الذم.

أو بدلٌ من ﴿قَلِيلًا﴾ على الوجه الثالث.

أو حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سيُنفَوْنَ ملعونين.

---

(١) في أ، ج، هـ: «وعدًا»!.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُوٓاْ﴾ أي: حيثما ظُفِر بهم أُسِروا، والأخذ: الأسر.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عادتَه، ونصْبُه على المصدر.

﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ أي: عادته في المنافقين من الأمم المتقدمة.

وقيل: يعني: كفارَ بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.

﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعةُ مؤنثةٌ:

على تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا.

أو لأن تأنيثها غيرُ حقيقي.

﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ العامل في ﴿يَوۡمَ﴾:

قولُه: ﴿يَقُولُونَ﴾.

أو: ﴿لَا يَجِدُونَ﴾.

أو محذوفٌ.

وتقليب وجوههم:

تصريفُها في جهات النار، كما تدور البَضْعَةُ[1] في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة.

أو تغييرها[2] عن أحوالها.

---

(١) البَضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.

(٢) في أ: «تغيُّرها».

[﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾].

﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذايتهم لهم: ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراةً، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آدَرُ[1]، فاغتسل موسى يومًا وحده وجعل ثيابه على حجر، ففرَّ الحجر بثيابه، واتَّبعه موسى وهو يقول: «ثوبي حجر!، ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه على ملإ من بني إسرائيل فرأوه سليمًا ما قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾[2].

وقيل: إذايتهم له: أنهم رموه بأنه قَتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكةً فحملته حتى رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثرٌ، فبرَّأ الله موسى.

وروي أنه حَيِيَ فأخبرهم ببراءة موسى.

والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

(١) الآدَر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٧١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

واللفظ أعم من ذلك.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ الأمانة: هي التكاليف الشرعية مِن التزام الطاعات وترك المعاصي.

وقيل: هي الأمانة في الأموال.

وقيل: غُسل الجنابة.

والصحيح العموم في التكاليف.

وعَرْضُها على السموات والأرض والجبال يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا، فعرضت عليها الأمانة حقيقةً، فأشفقت منها، وامتنعت من حملها.

والثاني: أن تكون على وجه المجاز، والمراد: تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثِّقَل بحيث إنها لو عُرِضت على السموات[1] والأرض والجبال، لأَبَيْنَ من حملها وأشفقن منها، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم: «عرضتُ الحِمْل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله»، والمراد أنها لا تقدر على حمله.

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدَّة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول.

و﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هنا: جنس.

---

(١) هنا انتهى سقط الورقة من ب.

وقيل: يعني: آدم.

وقيل: قابيل الذي قتل أخاه.

﴿لِيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة؛ فإن حَمل الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين والمشركين، ورحمةً للمؤمنين.



﴿ سورة سبأ ﴾

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ
كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾].

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يحتمل أن يكون الحمد الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة. وعلى هذا حمله الزمخشري(١).

ويحتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فيجمع

---

(١) الكشاف (١٢/ ٤٩٧).

الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرَّد منه الحمدَ في الآخرة، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

ثم إن الحمد في الآخرة يَحتمل:

أن يريد به الجنسَ.

أو يريد به قولَه: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

﴿مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات[1] وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان ابنُ حرب.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى.

﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿مِثْقَالُ﴾.

وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف[2].

ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَصْغَرُ﴾ و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا الموضع.

---

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٤٩٨).
(٢) الكشاف (١٢/ ٥٠٤).

وقد حكى ابن عطية الخلافَ فيه عن بعض القراء السبعة[١]، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ﴾ يتعلَّق:

بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

أو بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾.

أو بمعنى قوله: ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ﴾ مبتدأٌ، وخبره الجملة بعده.

وقال ابن عطية: هو معطوفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولِ[٢].

وقد ذُكِر في «الحج» معنى ﴿سَعَوْ﴾، و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾[٣].

﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾.

وبالخفض: صفة لـ ﴿رِّجْزٍ﴾.

﴿وَيَرَى﴾ معطوفٌ على ﴿لِّيَجْزِيَ﴾.

أو مستأنَفٌ، وهذا أظهر.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم:

الصحابة.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).

(٣) انظر (٣/ ٢١١).

أو من أسلم من أهل الكتاب.

أو على العموم.

﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثاني لـ ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصلٌ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ أي: بَلِيتم في القبور، وتقطَّعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: مصدر.

والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة.

والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مزقتم.

وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدَّر قبلها، وذلك ضعيف.

و﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمولُ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، وكسرت «إنَّ»؛ للام التي في خبرها.

ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بَليتم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحةً غير ممدودة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ هذا ردٌّ عليهم، أي: أنه لم يفتر على الله كذبًا، وليس به جِنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب.

ويَحتمل أن يريد بالعذاب:

عذابَ الآخرة.

أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل.

﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الضمير في ﴿يَرَوۡاْ﴾ للكفار المنكرين للبعث.

وجعَل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم.

والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا[1] أن الذي خلقهما قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم؟.

ويَحتمل أن يكون المعنى تهديدًا لهم، ثم فسَّره بقوله: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾؛ أي: أفلم يروا إلى السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعملوا[2] أنهم لا مهرب لهم من الله؟.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ الإشارة:

إلى إحاطة السماء والأرض بهم.

أو إلى عظمة خِلْقة السماء والأرض؛ فإن فيها آيةً تدل على البعث.

---

(١) في أ، ب، هـ: «فيعلمون».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «فيعلمون».

[﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾].

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسيرٌ للفضل.

ومعنى ﴿أَوِّبِي﴾: سبِّحي، وأصله من التَّأويب، وهو الترجيع؛ لأن كان يرجِّع التسبيح فترجِّعه معه.

وقيل: هو من التأويب بمعنى: السير بالنهار.

وقيل: كان ينوح، فتُسْعِده[1] الجبال بصداها، والطير بأصواتها.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب:

عطفٌ على موضع: ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

وقيل: مفعول معه.

وقيل: معطوف على ﴿فَضْلًا﴾.

وقرئ بالرفع عطفًا على لفظ: ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

---

(١) في ج: «فتساعده» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٥١٧).

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له ليِّنًا بغير نار، كالطين والعجين.

وقيل: لان له الحديد؛ لشدَّة قوته.

﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ هي الدروع الكاسية.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ معنى ﴿ٱلسَّرْدِ﴾ هنا: نَسْجُ الدروع، وتقديرها: أن لا يَعمل الحَلْقَة صغيرةً فتَضعُف، ولا كبيرةً فيُصاب لابسُها من خلالها.

وقيل: لا تجعل المسمار رقيقًا ولا غليظًا.

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خطابٌ لداود وأهله.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب: على تقدير: وسخرنا.

وقرئ بالرفع: على الابتداء.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة[1] مسيرة شهر، وبالعشيِّ مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب، يحمل فيما روي أربعة آلاف فارس، فترفعه الريح ثم تحمله.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس: كانت تسيل له باليمَن عين من نحاس، يَصنع منها ما أحبَّ، والقِطر: النحاس.

وقيل: القطر: الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون.

وقيل: المعنى: أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالغدوة».

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: نار الآخرة.

وقيل: كان معه ملَك يضربهم بسوطِ نارٍ[(١)].

﴿مَّحَـٰرِيبَ﴾ هي القصور.

وقيل: المساجد.

﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان.

وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزًا عندهم.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابيةٍ، وهي البِرْكة التي يجتمع فيها الماء.

﴿رَّاسِيَـٰتٍ﴾ أي: ثابتات في مواضعها، لا يستطيع أحد أن ينقلها لعِظَمها[(٢)].

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكايةُ ما قيل لآل داود.

وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه:

مفعولٌ من أجله.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: شاكرين.

أو مصدر من المعنى؛ لأن العمل شكرٌ، تقديره: اشكروا شكرًا.

أو مفعول به.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ يَحتمل أن يكون: مخاطبةً لآل داود،

---

(١) في ج: «بسوطٍ من نار».

(٢) في د: «لعظمتها».

أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز.

ودابة الأرض: هي الأَرَضة، وهي السُّوسة التي تأكل الخشب وغيره.

وقَصَصُ الآية: أن سليمان عليه السلام دخل قُبَّة من قوارير، وقام يصلي متكئًا على عصاه، فقُبِض روحُه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يعلم أحد بموته، حتى وقعت العصا فخرَّ إلى الأرض. واختصرنا كثيرًا مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ مِن تبيَّن الشيءُ: إذا ظهر، وما بعدها بدل من ﴿ٱلْجِنُّ﴾، والمعنى: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

وقيل: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بمعنى: علمت، و﴿أَن﴾ وما بعدها: مفعول به على هذا، والمعنى:

علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحقَّقوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم.

أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوة ذلك.

﴿فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمةَ التي كانوا يخدمون سليمان، وتسخيرَه لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم[1] موت سليمان.

---

(١) في ج، د: «عليها».

[﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ سبأ: قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه.

وقيل: باسم أمها.

وقيل: باسم موضعها.

والأول أشهر؛ لأنه ورد في الحديث.

وكانت مساكنهم بين الشام واليمن.

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ، وكانت الجناتُ عن يمينه وشماله.

و﴿جَنَّتَانِ﴾:

بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدإ محذوفٍ.

﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء.

وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبيًا فكذَّبوهم.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرةُ الأرزاق، طيبة الهواء، سليمةٌ من الهوام.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله، أو عن طاعة الأنبياء.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌّ يُمسِك الماء؛ ليرتفع فتُسقى به الجنات، فأرسل الله على السد الجُرْذَ، وهي دويبة خرَّبته فيَبست الجنات.

وقيل: لما خَرِبَ السدُّ حمَل السيل الجناتِ وكثيرًا من الناس.

واختُلف في معنى العرم؟

فقيل: هو السد.

وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه.

وقيل: معناه: الشديد، فكأنه صفة للسيل، مِن العَرَامة.

وقيل: هو الجرذ الذي خرب السدَّ.

وقيل: المطر الشديد.

﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأُكل - بضم الهمزة -: المأكول.

والخمط: شجر الأراك.

وقيل: كل شجرة ذات شوك[١].

والأثل: شجر يشبه الطَّرْفاء.

والسدر: شجر معروف.

وإعراب ﴿خَمْطٍ﴾:

بدلٌ من ﴿أُكُلٍ﴾.

أو عطف بيان.

وقرئ بالإضافة.

و﴿وَأَثْلٍ﴾ عطفٌ على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾؛ لأن الأثل لا أُكلَ له.

والمعنى: أنهم لما هلَكت الجنتان المذكورتان قبلُ أبدلهم الله منهما[٢] جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق.

﴿وهل يُجَـٰزَىٰ إلا الْكَفُورُ﴾ معناه: لا يُناقَش ويُجازَى بمثل فعله إلَّا الكفورُ؛ لأن المؤمن قد يسمح الله له، ويتجاوز عنه.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصْفُ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم.

ويعني بـ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرى الظاهرة: قرى متصلة من بلادهم إلى الشام.

---

(١) في د زيادة: «هي الخمط».

(٢) في ب، ج، هـ: «منها».

ومعنى ﴿ظَٰهِرَةً﴾: يَظهر بعضها من بعض؛ لاتصالها.

وقيل: مرتفعة في الآكام.

وقال ابن عطية: معناه: خارجة عن المدن، كما تقول: بظاهر المدينة أي: خارجها[١].

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة، فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا، ولا يحتاج إلى حَمل زادٍ، ولا يخاف من أحد.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ ﴿بَٰعِدْ﴾ و﴿بَعِّدْ﴾ بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب.

والمعنى: أنهم بَطِروا النعمةَ ومَلُّوا العافية، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة؛ ليمشوا في المفاوز ويتزوَّدوا للأسفار[٢]، فعجَّل الله إجابتهم.

وقرئ ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين على الخبر، والمعنى: أنهم قالوا: إن الله باعَد بين قراهم، وذلك كذبٌ وجحد للنِّعم.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني:

بقولهم: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

أو بذنوبهم على الإطلاق.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٨).

(٢) في د: «لأسفارهم».

﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، حتى ضُرِب المثل بفُرْقتهم فقيل: «تفرقوا أيدي[1] سبأ».

وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامَنَ منهم ستة وتشاءَمَ أربعة»[2].

﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي: وجد ظنَّه فيهم صادقًا، يعني: قوله: ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].



(١) في د: «أيادي».
(٢) أخرجه أحمد (٣٩/ ٥٢٨)، وأبو داود(٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢).

[﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ
عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾
قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامةُ حجةٍ عليهم.

ويعني بـ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: آلهتهم.

ومفعول ﴿زَعَمْتُم﴾ محذوف؛ أي: زعمتم أنهم آلهة، أو زعمتم أنهم شفعاء.

وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشًا.

﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: نصيب.

والظَّهير: المُعين.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يَشفع؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بإذنه.

وقيل: المعنى: لا تنفع الشفاعة إلَّا لمن أذن الله أن يُشفَع فيه.

والمراد: أن الشفاعة على كل وجهٍ لا تكون إلَّا بإذن الله، ففي ذلك ردٌّ على المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام؛ فإنهم[1] إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يَفزَعون لذلك فزَعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾؟ فيقولون: «قال الحقَّ».

ومعنى ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾: زال عنها الفزع.

والضمير في ﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ وفي ﴿قَالُواْ﴾: للملائكة.

فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدَّم لهم ذكْرٌ يعود الضمير عليه؟

فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، فذِكْرُ الشفاعة يقتضي ذِكْرَ الشَّافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾، ولأيِّ شيءٍ وقعت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً؟

فالجواب: أنه اتصل بما فُهِم من الكلام؛ مِن أنَّ ثَمَّ انتظارًا للإذن، وفزَعًا وتوقُّفًا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويَقرُب هذا في المعنى من

---

(١) في أ، ب، هـ: «أنهم».

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصالَ هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق»، فيُقرُّون حيث لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ على الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذِكْر شدَّة خوف الملائكة من الله وتعظيمِهم له.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ سؤالٌ قُصِد به: إقامةُ الحجة على المشركين.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزُّلٌ في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: «الله يعلم أن أحَدنا على حق وأن الآخر على باطل»، ولا تُعيِّن بالتصريح أحدهما، ولكن تنبِّه الخصم على النظر؛ حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى، وأن الكفار في ضلال مبين.

﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسالمةً نسخها السيف.

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، و﴿الْفَتَّاحُ﴾: الحاكم.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ إقامةُ حجة على المشركين.

والرؤية هنا رؤية قلب، فـ ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ ثالث، والمعنى: أروني بالدليل والحجة مَن هم له شركاء عندكم كيف[1] وجه الشِّرْكة؟.

وقيل: هي رؤية بصر، و﴿شُرَكَآءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُم﴾؛ كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟

وفي قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم، وتعجيزٌ للمشركين.

وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن الإشراك.

وفي وصف الله بالعزيز الحكيم ردٌّ عليهم؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء.

وإعراب ﴿كَآفَّةً﴾: حالُ من «الناس»، قُدِّمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية[2].

وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلَّا رسالةً عامة للناس[3]، فـ ﴿كَآفَّةً﴾ صفةٌ للمصدر المحذوف.

وقال الزجّاج: المعنى: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والتبشير[4]،

---

(١) في د: «وكيف».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٨٦).

(٣) الكشاف (١٢/ ٥٥٦-٥٦٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٢٥٤).

فجعله حالًا من الكافّ، والتاء على هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علّامة».

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ يعني: يوم القيامة.

أو: نزول العذاب بهم في الدنيا.

وهو الذي سألوا عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾.



[﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾].

﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي: الكتب المتقدمة، كالتوراة والإنجيل.

وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ.

وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة، وهذا خطأ وعكس؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدَّم عليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يتكلَّمون ويجيب بعضهم بعضًا.

﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم، لا بأمرنا.

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مَكْرُكم بنا في الليل والنهار سببُ كفرنا، فإعراب ﴿مَكْرُ﴾:

مبتدأ، وخبره محذوف.

أو خبر ابتداء مضمر.

وأضاف ﴿مَكْرُ﴾ إلى ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ على وجه الاتساع.

ويحتمل أن يكون أضافهُ:

إلى المفعول.

أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: «نهاره صائم، وليله قائم»، أي: يُصام فيه ويُقام.

ودلَّت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعَطف عليه كلامَهم الثاني، ولم يتقدَّم للذين استكبروا كلامٌ آخر فيعطفَ عليه.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم.

وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد.

والضمير يجمع[1] المستضعفين والمستكبرين.

﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ يعني: أهل الغنى والتنعُّم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء.

والقصد بالآية: تسلية النبي ﷺ على تكذيب أكابر قريش له.

---

(١) في أ، هـ: «الجميع».

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ الضمير: لقريش، أو للمترفين المتقدِّمين.

قاسُوا أمر الدنيا على الآخرة، وظنُّوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذِّبهم في الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الردَّ عليهم بأن[١] بسْط الرزق وقبْضَه في الدنيا معلَّقٌ بمشيئة الله، فقد يوسِّع الله على الكافر والعاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا[٢] دليل على أمر الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٢) في أ، ب، هـ: «ذلك».

[﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ
جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن
دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ
نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا
هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٤٣
وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾].

﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ مصدرٌ بمعنى القُرْب، كأنه قال: تقرِّبكم قربى.

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمۡ﴾، والمعنى: أن الأموال لا تقرِّب إلَّا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله.

وقيل: الاستثناء منقطع.

والأول أحسن.

﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ يعني: تضعيفَ الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ الآيةَ؛ كُرِّرت هنا لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول: ردٌّ على الكفار، والقصد هنا: ترغيبٌ للمؤمنين[1] بالإنفاق.

---

(١) في ج: «المؤمنين».

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ الخَلَف قد يكون بالمال، أو بالثواب.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ براءةٌ من أن يكون لهم رضًا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفيٌ لعبادتهم لهم.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن: طاعتهم لهم في الكفر والعصيان.

وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبَدون بعبادتها.

ويحتمل أن يكون قومٌ قد عبدوا الجن؛ لقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآيةَ؛ معناها يَحتمل وجهين:

أحدهما: ليس عندهم كتبٌ تدلُّ على صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذيرٌ يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة؛ إذ لا حجة لهم عليها، فالقصد على هذا: ردٌّ عليهم.

والآخر: أنهم ليس عندهم كتب، ولا جاءهم نذير، فيهم محتاجون إلى من يعلِّمهم ويُنذرهم؛ فلذلك بعث الله إليهم محمدًا ﷺ، فالقصد على هذا: إثباتُ نبوة محمد ﷺ.

﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ المعشار: العُشر.

وقيل: عشر العشر.

والأول أصح.

والضمير في ﴿بَلَغُوا﴾: لكفار قريش، وفي ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: للكفار

المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله المتقدمين[1] من القوة والأموال.

وقيل: الضمير في ﴿بَلَغُوا۟﴾: للمتقدمين، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة.

والأول أصح، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبةَ الكفَّار المتقدمين، وفي ذلك تهديدٌ لقريش.



---

(١) في ج، د: «للمتقدمين».

[﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا
بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا
فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ
﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: بقضيةٍ واحدة؛ تقريبًا عليكم.

﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة فـ ﴿أَن تَقُومُوا۟﴾:

بدلٌ.

أو عطف بيان.

أو خبر ابتداء مضمر.

ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قيامًا خالصًا لله تعالى، ليس فيه اتباع هوًى ولا ميلٌ.

وليس المراد بالقيام هنا: القيام على الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجِدُّ فيه.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿تَقُومُوا۟﴾، والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التَّحقيق، وتقوموا واحدًا واحدًا؛

لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أن ما به من جِنَّة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلُّ على رجاحة عقله ومتانة علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فيدلُّ ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفترٍ على الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ متصل بما قبله على الأصح؛ أي: تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنة.

وقيل: هو استئنافٌ.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئًا فخذه»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ القذف: الرمي، ويستعار للإلقاء، فالمعنى: يلقي الحقَّ إلى أنبيائه.

أو يرمي الباطل بالحق فيُذهبُه.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمر.

أو بدلٌ:

من الضمير في ﴿يَقْذِفُ﴾.

أو من اسم ﴿إِنَّ﴾، على الموضع.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ الباطل: الكفر، ونفي الإبداء والإعادة: عبارةٌ عن أنه لا يفعل شيئًا ولا يكون له ظهورٌ.

أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقيل: الباطل: الشيطان.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربَه تعالى بعلمه وإحاطته(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: «لرأيت أمرًا عظيمًا».

ومعنى ﴿فَزِعُوا۟﴾: أسرعوا الهروبَ(٢)، والفعل ماض بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال.

ووقت الفزَع: البعث.

وقيل: الموت.

وقيل: يوم بدر.

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ: «﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربه تعالى بعلمه وإحاطته»، أقول: قوله: قربه بعلمه وإحاطته، معناه إثبات القرب العام؛ كالمعية العامة المقتضية للعلم، فيؤول المعنى أنه تعالى قريب من كل أحد، ومن كل شيء، ومع كل أحد، بعلمه وإحاطته، وما ذهب إليه المؤلف من إثبات القرب العام الراجع إلى العلم هو المناسب لمذهب الأشاعرة؛ فإنهم لا يثبتون لله قربا خاصا من بعض العباد؛ كالملائكة الذين عنده، فليس أحدٌ من العباد أقربَ إليه من بعض، وذلك لقولهم: إنه تعالى في كل مكان، كما تقدم ذكر ذلك عنهم، وسبق التعليق عليه عند كلام المصنف على قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. والله أعلم.

(٢) في أ، هـ: «إلى الهروب».

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا يَفُوتون الله إذا هربوا.

﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلى النار إذا بُعثوا.

أومن ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

أو من أرض بدر إلى القَليب.

والمراد على كل قولٍ: سرعة أخذهم.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم.

والضمير المجرور: لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ التناوش - بالواو -: التناول، إلَّا أن التناوشَ تناولٌ قريب سهل لشيء قريب.

وقرئ بهمز الواو، فيحتمل:

أن يكون المعنى واحدًا.

أو يكون المهموز بمعنى الطلب.

ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم.

والمكان البعيد: عبارةٌ عن تعذُّر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلى الدنيا، أو[1] انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

---

(١) في ج، د: «و».

﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ ﴿وَيَقۡذِفُونَ﴾ فعل ماض في المعنى معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾.

ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيَّبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر.

والمكان البعيد هنا: عبارةٌ عن بطلان ظنونهم، وبُعْد أقوالهم عن الحق.

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة.

وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ.

وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ يعني: الكفارَ المتقدمين، وجعَلهم أشياعَهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم.

و﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ يحتمل أن يتعلق:

بـ ﴿فُعِلَ﴾.

أو بـ ﴿أَشۡيَاعِهِم﴾.

على حسَب معنى ما قبله(١).

﴿فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ هو أقوى الشك وأشدُّه إظلامًا(٢).

---

(١) أي: على حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلّق بـ ﴿أشياعهم﴾، أو هو يوم بدر فيتعلّق بـ﴿فُعِلَ﴾. انظر: المحرر الوجيز (٧/ ١٩٩).

(٢) في ج، د: «ظلامًا».

﴿ سورة فاطر ﴾

[﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ
وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا
مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾].

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء، ومتصرِّفين في أمر الله.

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفاتٌ لـ ﴿أَجْنِحَةٍ﴾، ولم ينصرف للعَدْل والوصف.

والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل: يعني: حُسْن الصوت.

وقيل: حسن الوجه.

وقيل: حسن الخطّ.

والأظهر:

أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة.

أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح: عبارةٌ عن العطاء[١]، والإمساك: عبارةٌ عن المنع.

والإرسال: الإطلاق بعد المنع.

والرحمة: كل ما يَمنُّ الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة.

فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعطي لما منع الله.

فإن قيل: لم أنَّث الضمير في قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكَّره في قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ وكلاهما يعود على ﴿مَّا﴾ الشرطية؟

فالجواب: أنه لما فسر الأوَّل بقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ أنَّثه؛ لتأنيث الرحمة، وترك الآخَر على الأصل من التذكير.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد إمساكه.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ رفْعُ ﴿غَيْرُ﴾: على الصفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على الموضع.

وخفْضه: صفةٌ على اللفظ.

---

(١) في د: «الإعطاء».

ورزق السماء: المطر، ورزق الأرض: النبات.

والمعنى: تذكيرٌ بنعم الله، وإقامةُ حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذِّبوك[1] فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كُذِّبت رسل من قبلك فنصرهم الله.

﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

وقيل: التَّسويف.



(١) في أ، هـ: «كذبوك».

[﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾].

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ توقيفٌ، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زُيّن له سوء عمله كمن لم يُزيَّن له؟»، ثم بنَى على ذلك ما بعده.

فالذي زُين له سوء عمله: هو الذي أضلَّه الله، والذي لم يُزيَّن له سوء عمله: هو الذي هداه الله.

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ عن حُزْنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات

كذلك يحيي الموتى.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ الآيةَ؛ تَحتمل ثلاثة معان:

أحدها - وهو الأظهر -: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله؛ فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فللّه العزة جميعًا، فالمغالب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعًا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني: لا إله إلا الله.

واللفظ يعمُّ ذلك وغيرَه من الذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، فالعموم أولى.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ لله، وضمير المفعول: للعمل الصالح، فالمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح؛ أي: يتقبَّله ويثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل: للكلم الطيب، وضمير المفعول: للعمل الصالح، والمعنى على هذا: أنه لا يُقبل عملٌ صالح إلَّا ممن له كلمٌ طيب.

وهذا يصح إن قلنا: إن الكلم الطيب: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا يُقبل العمل إلَّا من موحِّدٍ.

والثالث: أن ضمير الفاعل: للعمل الصالح، وضمير المفعول: للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب،

فلا يُقبل الكلمُ إلَّا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنى عن ابن عباس، واستبعده ابن عطية[١]، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبَّل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يُتأوَّل: أن الله يزيد في رفعه وحسن موقعه.

﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لا يتعدَّى «مَكَر»؛ فتأويله:

«يمكرون المكَراتِ السيئاتِ»، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مصدرًا.

أو تضمَّن[٢] ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنى: يكتسبون، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مفعولًا.

والإشارة هنا: إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البوار: الهلاك أو[٣] الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يَبطُل ولا ينفعهم.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا.

وقيل: ذُكرانًا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ التعمير: طول العمر، والنقص: قِصَره، والكتاب: اللوح المحفوظ.

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٢٠٦).

(٢) في أ، هـ: «يُضمَّن».

(٣) في د: «و».

فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ على الشخص المعمَّر؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو الصحيح -: أن المعنى: ما يعمَّر من أحد ولا ينقص من عمره إلَّا في كتاب، فوَضع ﴿مِن مُّعَمَّرٖ﴾ في موضع: «من أحدٍ»، وليس المراد شخصًا واحدًا، وإنما ذلك كقولك: «لا يعاقب الله عبدًا ولا يثيبه إلَّا بحقٍّ».

والثاني: أن المعنى: لا يُزاد في عمر إنسانٍ ولا يُنقَص من عمره إلَّا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدَّق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»[1]، إلَّا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طُعن عمر: «لو دعا اللهَ لزاد في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجَّ بهذه الآية[2].

والثالث: أن التعمير هو: كَتْبُ ما يُستقبل من العمر، والنقص هو: كَتْبُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١): «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال: قال كعب. . »، ورواه أيضًا عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملحق بالمصنف (١١/ ٢٢٤)، ورواه أيضًا الفريابي في كتاب القدر (ص: ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

ما مضى منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حقِّ كل شخص[(١)].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ﴾ قد فسَّرنا البحرين والفرات والأجاج في «الفرقان»[(٢)]، و﴿سَآئِغٌ﴾ في «النحل»[(٣)].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ في الوجه الثاني من وجوه مرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أن المراد من يعمر بسبب كالصدقة، أو يُنقص من عمره لعدم ذلك، فمن تصدق أو وصل رحمه زيد في عمره، بخلاف من ليس كذلك، واعترض ﷺ على هذا الوجه بأنه يوافق قول المعتزلة القائلين بالأجلين، وأنه خلاف قول الأشاعرة، ولا شك أن قول المعتزلة بأن للإنسان أجلين مكتوبين؛ أحدهما معلق على سبب، وهذا السبب غير معلوم لله، وغير مكتوب، ولا ريب أن هذا القول باطل، وأهل السنة يقولون بما دلت عليه السنة؛ بأن طول العمر قد يكون بسبب من قبل العبد؛ كالبر والصلة، فمن عمر بهذا السبب، فالسبب والمسبَّب قد سبق بهما علم الله وكتابه؛ بمعنى أن الله قد علم وكتب أن هذا يطول عمره بذلك السبب، ويعلم سبحانه أنه لو لم يكن منه ذلك السبب لكان عمره دون ذلك، فهما أجلان؛ أجل معلوم مكتوب فلا يقع سواه، وأجل معلوم أنه لا يقع، فهو غير مكتوب، فعلم الله شامل لما كان وما يكون، وما لا يكون لوكان كيف يكون. وبذلك يعلم أنه لا تغير في علم الله ولا في كتابه، ويمتنع أن يحدث ما يوجب ذلك؛ أي: التغير في علم الله وكتابه. وأما المعتزلة فقولهم بالأجلين معناه - على ما ذكره أبو منصور الماتريدي في تفسيره (١/ ٤٩١) - أن اللّٰه تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وَصل رحمه أماته في أبعد الأجلين، وإذا لم يصل جعلَ أجله الأولَ، قال أبو منصور متعقبا: «فهذا أمر من يجهل العواقب، فأما من كان عالما بالعواقب فلا؛ لأنه بدوٌ ورجوعٌ عما تقدم من الأمر» اهـ. ومن فروع قول المعتزلة: إن أفعال العباد غيرُ مخلوقة لهم ولا مقدَّرة، من فروع ذلك: أن المقتول مقطوعٌ عليه أجله، وأهل السنة يقولون: إن المقتول ميت بأجله.

(٢) انظر صفحة ٣٤٤.

(٣) انظر (٢/ ٧٦٠).

والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده.

وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين الملح والعذب مَثَلين للمؤمن والكافر[١]، وهذا بعيد.

﴿لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ يعني: الجوهر والمرجان.

فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلَّا من البحر المِلْح دون العَذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِن كُلّٖ﴾ أي: من كل واحد منهما؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّزٌ في العبارة، كما قال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصَبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ[٢] في البحر الملح: كان الإخراج منهما جميعًا.

الثالث: زعم قومٌ أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحسُّ.

﴿مَوَاخِرَ﴾ ذُكر في «النحل»[٣].

---

(١) الكشاف (١٢/ ٦٢٥).

(٢) في ج، د: «تصبُّ».

(٣) انظر (٢/ ٧٣٦).

﴿يُولِجُ﴾ ذُكر في «لقمان»[١].

﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرَّقيق الأبيض الذي على نوى التمر، والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقلَّ الأشياء فكيف أكثرها؟.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم، فالمصدر مضاف للفاعل.

وكُفْر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون:

بكلام يخلقه الله عندها.

أو بقرينة الحال.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخبِرٌ مثل مخبرٍ عالمٍ به، يعني: نفسَه تعالى في إخباره أن الأصنام يَكْفرون يوم القيامة بمَن عبدهم.



(١) انظر صفحة ٥١١.

[﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾].

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطابٌ لجميع الناس، وإنما عرَّف ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ بالألف واللام؛ ليدلَّ على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقْرَ(١) الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر.

ووصْفُه بأنه الحميد؛ ليدلَّ على جوده وكرمه الذي يوجب أن يَحمَده عباده.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذُكر في «سبحان»(٢).

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ﴾ الحِمل: عبارةٌ عن الذنوب.

والمثقلة: الثقيلة الحِمْل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب.

---

(١) في ج، د: «فقراء».

(٢) انظر (٢/٧٩٨).

والمعنى: أنها لو دعت أحدًا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يَحمِلْ عنها.

وحذف مفعول ﴿وَإِن تَدْعُ﴾؛ لدلالة المعنى، وقصْدِ العموم.

وهذه الآية بيانٌ وتكميل لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ المعنى: ولو كان المدعوُّ ذا قربى ممن دعاه إلى حَمل ذنوبه لم يَحملْ عنه شيئًا؛ لأن كل أحدٍ يقول: نفسي نفسي.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلَّا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى: اختصاصهم بالإنذار.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: يخشون ربهم، وهم غائبون عن عذابه، أو غائبون عن الناس، فخشيتهم حقٌّ لا رياء.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ تمثيلٌ للكافر والمؤمن.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ تمثيلٌ للكفر والإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ تمثيلٌ للثواب والعقاب.

وقيل: ﴿ٱلظِّلُّ﴾: الجنة، و﴿ٱلْحَرُورُ﴾: النار.

(والحرور في اللغة: شدة الحر بالنهار والليل، والسَّموم: بالنهار خاصة)[1].

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ تمثيلٌ لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت.

---

(١) سقط من أ، ب، هـ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ﴾ عبارةٌ عن هداية الله لمن يشاء.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ عبارةٌ عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبَّههم بالموتى في عدم إحساسهم.

وقيل: المعنى: أن أهل القبور - وهم الموتى حقيقة - لا يسمعون، فليس عليك أن تُسمعهم، وإنما بعثت إلى الأحياء.

وقد استدلت عائشة بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جُعلوا في القَليب.

ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتى في القبور إذا رُدَّت إليهم أرواحهم سمعوا، وإن لم تردَّ إلى أجسادهم لم يسمعوا.

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيًّا يقيم عليهم الحجة.

فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فتَراتٌ وأزمنة طويلة؟ ألَا ترى أن بين عيسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبي؟

فالجواب: أن دعوة عيسى ومَن تقدَّمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة.

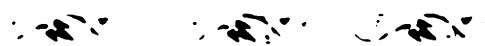
فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [السجدة: ٣]؟

فالجواب: أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم، فلا يعارض ذلك مَن تقدَّم قبل عصرهم، وأيضًا فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أن نبوة

محمد ﷺ ليست ببِدْعٍ، فلا ينبغي أن تنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل مَن قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَنٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدَّم مَن يُنذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيَةَ؛ تسليةٌ بالتأسي.

﴿نَكِيرِ﴾ ذكر في «سبأ»[1].



(١) انظر صفحة ٥٩٥.

[﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا
لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم
مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ
صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ
النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾].

﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد: الصفرةَ والحمرة وغير ذلك من الألوان.

وقيل: يريد الأنواع.

والأول أظهر؛ لذكره البِيض والحمر والسُّود بعد ذلك.

وفي الوجهين دليلٌ على أن الله تعالى فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار.

وفيه ردٌّ على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلَّا نوع واحد.

﴿جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّةٍ، وهي الخِطَط والطرائق في الجبال.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غِرْبيب، وهو الشديد السواد.

وقدَّم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخَّر؛ لقصد التأكيد، ولأن[1] ذلك كثيرًا ما يأتي في كلام العرب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يتعلَّق بما قبله فيتمُّ الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، مثل الجبالِ المختلفِ ألوانُها، والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلالٌ على قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ يعني: العلماءَ بالله وصفاته وشرائعه علمًا يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدُّكم له خشيةً»[2]؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخفْ منه؛ فلذلك خصَّ العلماء بالخشية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن.

وقيل: معنى ﴿يَتْلُونَ﴾: يتبعون.

والأول أظهر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩): لم أجده هكذا، وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية».

والخبر:

﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً﴾.

أو محذوف.

﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسُد، ويعني بالتجارة: طلب الثواب.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ توفية الأجور: هي ما يستحقه المطيع من الثواب، والزيادة: التَّضعيف فوق ذلك.

وقيل: الزيادة: النظر إلى وجه الله.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذُكر في «البقرة»[1].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، والتوريث: عبارةٌ عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقيُّ[2]، والمقتصد: بينهما.

وقال الحسن: السابق: من رجحت حسناته على سيِّئاته، والظالم لنفسه: من رجحت سيِّئاته (على حسناته)[3]، والمقتصد: من استوت حسناته

---

(١) انظر (١/ ٣٠٨).

(٢) في ج: «المتقي».

(٣) زيادة من د، وهامش ب.

وسيِّئاته، وجميعهم يدخلون الجنة.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له»[١].

وقيل: الظالم: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي.

فالضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذا: يعود على العباد.

وأما على القول الأول: فيعود على ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾، وهو أرجح وأصح؛ لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

فإن قيل: لم قدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وأخَّر السابق؟

فالجواب: أنه قدَّم الظالم لنفسه رفقًا به؛ لئلا ييئس، وأخَّر السابق لئلا يُعجَب بنفسه.

وقال الزمخشري: قدَّم الظالم لكثرة الظالمين، وأخَّر السابق لقلة السابقين[٢].

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى الاصطفاء.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿الْفَضْلُ﴾.

أو خبر مبتدإ تقديره: «ثوابهم[٣] جنات عدن».

أو مبتدأ تقديره: «لهم جنات عدن».

---

(١) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٦٠).

(٢) الكشاف (١٢/ ٦٥٩).

(٣) في د: «مثواهم».

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة.

وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصةً.

وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصةً[١]، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد.

﴿أَسَاوِرَ﴾ ذُكر في «الحج»[٢].

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار.

وقيل: أهوال القيامة.

وقيل: الموت.

وقيل: هموم الدنيا.

والصواب: العموم في ذلك كلِّه.

﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿الْمُقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سمِّيت الجنة دارَ المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبٌ﴾ النصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفْس اللازم عن تعب البدن.

---

(١) الكشاف (١٢/ ٦٥٨).
(٢) بل ذُكر في «الكهف» (٣/ ٢٦).

﴿يَصۡطَرِخُونَ﴾ يَفتعِلون من الصُراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾.

وفي قولهم: ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ اعترافٌ(١) بسوء عملهم وتندُّمٌ عليه.

﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ لهم وحجةٌ عليهم.

وقيل إن مدة التَّذكير: ستون سنة.

وقيل: أربعون.

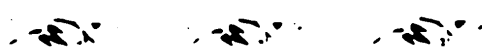
وقيل: البلوغ.

والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عَمَّرهُ اللهُ ستِّين فقد أَعذر إليه في العمر»(٢).

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ يعني: النبيَّ ﷺ.

وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذيرٌ بالموت.

والأول أظهر(٣).



---

(١) في أ، هـ: «اعترافهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، وأخرجه البخاري (٦٤١٩) بلفظ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

[﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ هُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ
إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ
بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ٤٠ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورٗا ٤١ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ
فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ٤٢ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ
ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن
تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ
وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا
مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾].

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضْمره الصدور وتعتقده.

قال الزمخشري: «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور(١).

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ ذكر في «الأنعام»(٢).

---

(١) الكشاف (١٢/ ٦٦٥-٦٦٦).

(٢) انظر ٢/ ٣٢٧.

﴿مَقْتًا﴾ المقت: احتقارك[١] الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على المشركين وإبطالٌ لمذهبهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيبٌ.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ أي: على أمر جليٍّ.

والضمير في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل أن يكون:

للأصنام.

أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنى.

والأول أليق بما قبله من الضمائر.

﴿أَن تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تزولا.

أو مفعول به؛ لأن ﴿يُمْسِكُ﴾ بمعنى: يمنع.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ أي: لو فُرِض زوالهما لم يمسكْهما أحدٌ.

وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طيِّ السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال.

﴿مِنْ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد ترك[٢] الإمساك.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود

---

(١) في ج، د: «احتقار».

(٢) في أ، ب، هـ: «تركه».

والنصارى؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكوننَّ أهدى منهم.

﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود والنصارى.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بدلٌ من ﴿نُفُورًا﴾.

أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف[1]، كقولك: «مسجدُ الجامعِ»، و«جانبُ الغربيِّ»، والأصل أن يقال: المكرَ السيِّئَ.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: لا يُحيط وبالُ المكر السيئ إلَّا بمن مكَره ودبَّره.

وقال كعب لابن عباس: إن في التوراة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، فقال ابن عباس: أنا أجد هذا[2] في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلَّا عادة الأمم المتقدِّمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

---

(١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية، والعبارة فيها قلبٌ ولعل صوابها: «من إضافة الموصوف إلى الصفة»، كذا قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٩٦)، فالموصوف - وهو ﴿مَكْرَ﴾ - أضيف إلى صفته - وهي ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾، وليس العكس.

(٢) في أ، هـ: «أجدها».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ أي: لا يَفُوته شيءٌ، ولا يصعب عليه.

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الضمير للأرض، والدابة: عمومٌ في كل ما يَدِبُّ.

وقيل: أراد بني آدم خاصة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

وباقي الآية وعدٌ ووعيد.

﴿ سورة يس ﴾

[﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدۡ حَقَّ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ
فَهُم مُّقۡمَحُونَ ٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ
لَا يُبۡصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ
ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ إِنَّا نَحۡنُ
نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾].

قد تكلَّمنا في «البقرة»[1] على حروف الهجاء.

وقيل: في ﴿يسٓ﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ.

وقيل: معناه: «يا إنسان».

﴿تَنزِيلُ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمر.

وبالنصب:

مصدر.

أو مفعول بفعل مضمر.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويَحتمل أن يدخل معهم سائرُ العرب وسائر الناس.

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ﴿مَآ﴾ نافيةٌ، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لآبائهم رسولٌ ينذرهم.

وقيل: المعنى: لتنذر قومًا مثلَ ما أُنذر آباؤهم، فـ ﴿مَآ﴾ على هذا: موصولة بمعنى «الذي»، أو مصدرية.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾، يعني: أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون[(١)] بمعنى قولهم: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾[السجدة: ٣] ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدِّمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم[(٢)] ولا آباؤهم الأقربون.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيةَ؛ فيها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها عبارةٌ عن تماديهم على الكفر، ومنْعِ الله لهم من الإيمان، فشبَّههم بمن جُعِل في عنقه غُلٌّ يمنعه من الالتفات، وغُطِّي على بصره فصار لا يرى.

والثاني: أنها عبارةٌ عن كفِّهم عن إذاية النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميَه بحجر، فرجع عنه فَزِعًا مرعوبًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «وتكون».
(٢) لم ترد في أ، ب، د، هـ.

والثالث: أن ذلك حقيقةٌ في حالهم في جهنم.

والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ وقوله بعدها ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾.

﴿فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ الذَّقَن: هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية.

والضمير للأغلال، وذلك أن الغُلَّ حَلْقةٌ في العنق، فإذا كان واسعًا عريضًا وصل إلى الذَّقن فكان أشدَّ على المغلول.

وقيل: الضمير للأيدي، على أنها لم يتقدَّم لها ذكرٌ، ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يداه[1] في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود: «إنا جعلنا في أيديهم أغلالًا فهي إلى الأذقان»، وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري[2].

﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ يقال: قمَح البعيرُ: إذا رفع رأسه، وأقمحه غيرُه: إذا فعل به ذلك.

والمعنى: أنهم لما اشتدَّت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرَّت رؤوسهم إلى الارتفاع.

وقيل: معنى ﴿مُّقۡمَحُونَ﴾: ممنوعون من كل خيرٍ.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا﴾ الآيةَ؛ السُّدُّ: الحائل بين الشيئين، وذلك عبارةٌ عن منعهم من الإيمان.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يده».

(٢) الكشاف (١٣/ ١٣-١٤).

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي: غطَّينا على أبصارهم، وذلك أيضًا مجازٌ يراد به: إضلالهم.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآيةَ؛ ذكرنا معناها وإعرابها في «البقرة»[١].

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلَّا من اتبع الذكر، وهو القرآن.

﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد ذكرناه في «فاطر»[٢].

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: نبعثُهم يوم القيامة.

وقيل: إحياؤهم: إخراجهم من الشرك إلى الإيمان.

والأول أظهر.

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي: ما قدَّموا من أعمالهم، وما تركوه بعدَهم، كعِلْمٍ علَّموه أو تحبيسٍ حبَّسوه.

وقيل: الآثار هنا: الخُطَا إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث[٣].

---

(١) انظر (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر صفحة ٢١٦.

(٣) أخرج البخاري (٦٥٥) من حديث أنس، ومسلم (٦٦٥) من حديث جابر بن عبد الله: قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم، يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة ديارَكم تُكتَب آثارُكم، ديارَكم تكتب آثاركم».

﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتابٍ، وهو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال.



[﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ
أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا
عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٧ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩ وَجَآءَ
مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ
أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ
ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا
لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ
قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ
بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ۝٢٩ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠ أَلَمْ
يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا
مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الضمير لقريش، و﴿مَّثَلًا﴾ و﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مفعولان بـ ﴿ٱضْرِبْ﴾ على القول بأنها تتعدّى إلى مفعولين، وهو الصحيح.

والقرية: أنطاكية.

﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعون الناس إلى عبادة الله.

وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدلُّ على هذا: قولُ قومهم: ﴿مَآ أَنتُمْ

﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادَّعى أن الله أرسله.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوَّينا الاثنين برسول ثالث، **وقيل**: اسمه شمعون.

﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكَّدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جوابٌ للمنكرين، بخلاف الموضع الأول؛ فإنه إخبار مجرَّدٌ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة: مِن زَجْرِ الطير؛ ليستدلَّ على ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم؛ لأنهم جاؤوا بدينٍ غيرِ دينهم.

وقيل: وقع فيهم الجُذَام لما كفروا.

وقيل: قَحِطوا.

﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية: شؤمكم معكم؛ أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم، لا بسببنا.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذفٌ تقديره: أتتطيَّرون إن ذُكِّرتم؟.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يسرع؛ لجِدِّه[1] ونصيحته.

وقيل: اسمه: حبيب النجار.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا يسألونكم أُجرةً على الإيمان، فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم،

---

(١) في ج: «بجدِّه».

وتربحون معهم الاهتداءَ في دينكم.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى: أيُّ شيءٍ يمنعني من عبادة ربي؟، وهذا توقيفٌ وإخبارٌ عن نفسه قَصد به البيان لقومه، ولذلك قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فخاطبهم.

﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ هذا وصفٌ للآلهة، والمعنى: كيف أتخذُ من دون الله آلهةً لا يشفعون، ولا ينقذونني من الضُّرِّ.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: إن اتخذت آلهةً غير الله فإني لفي ضلال مبين.

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ خطابٌ لقومه؛ أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي.

وقيل: خطاب للرسل؛ ليشهدوا له.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ قبلَ هذا محذوفٌ يدلُّ عليه الكلام، وروي في الأثر؛ وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل الجنة.

واختُلف هل دخلها حين موته كالشهداء؟ أو هل ذلك بمعنى البِشارة بالجنة ورؤيته لمقعده منها؟

﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنَّى أن يعلم قومه بغُفْران الله له على إيمانه فيؤمنوا، ولذلك ورد في الحديث: «أنه نصَح لهم حيًا وميتًا»[1].

وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه، ويَحزُنَهم ذلك.

---

(١) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٦٣): «رواه ابن مردويه في تفسيره».

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المعنى: أن الله أهلكهم بصيحة صاحها جبريل، ولم يحتج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنهم أهون من ذلك.

وقيل: المعنى: ما أنزل الله على قومه ملائكةً رسلًا كما قالت قريش: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك ذِكْرُ الصيحة بعد ذلك.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ما كنا لنُنْزِل جندًا من السماء على أحد.

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي: ساكنون لا يتحرَّكون ولا ينطقون.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداءٌ للحسرة، كأنه قيل[١]: «يا حسرةً احضري فهذا وقتكِ»، وهذا التفجُّع عليهم استعارةٌ في معنى التهويل والتعظيم لِمَا فعلوا من استهزائهم بالرسل.

ويحتمل أن يكون من كلام: الملائكة، أو المؤمنين من الناس.

وقيل: المعنى: يا حسرةَ العبادِ على أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ الضمير: لقريش، أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا: بمعنى العلم.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قرئ ﴿لَمَا﴾ بالتخفيف، وهي لام التأكيد دخلت على «ما» الزائدة، و﴿إِن﴾ على هذا: مخفَّفة من الثقيلة.

وقرئ بالتشديد، وهي بمعنى «إلَّا»، و﴿إِن﴾ على هذا نافية.

---

(١) في ب، د، هـ: «قال».

[﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن
ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا
تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن
تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ
فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ
لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿مَا﴾ معطوفةٌ على ﴿ثَمَرِهِۦ﴾؛ أي: ليأكلوا من الثمر ومما[1] عملته أيديهم بالحرث والزِّراعة والغِراسة.

وقيل: ﴿مَا﴾ نافية.

وقرئ ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ بغير هاء و﴿مَا﴾ على هذا: معطوفة.

﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ يعني: أصناف المخلوقات، ثم فسَّرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ

(١) في ب، ج، د: «وما».

﴿ٱلْأَرْضُ﴾ وما بعده، فـ «مِن» في المواضع الثلاثة للبيان.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أشياءَ لا يعلمها بنو آدم كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أن نجرِّده منه، وهي استعارةٌ.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لحدٍّ موقت تنتهي إليه من فَلَكِها، وهي نهاية جَرْيها إلى أن ترجع في المنقلَبَينِ: الشَّتْوي والصَّيفي.

وقيل: مستقرُّها: وقوفها كلَّ يومٍ وقتَ الزوال، بدليل وقوف الظل حينئذ.

وقيل: مستقرها: يوم القيامة حين تكوَّر.

وفي الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها»(١) وهذا أصحُّ الأقوال؛ لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

وقرئ ﴿لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾؛ أي: لا تستقرُّ عن جَرْيها.

﴿والْقَمَرُ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ قرئ بالرفع:

على الابتداء.

أو عطفٌ على ﴿ٱلَّيْلُ﴾.

وبالنصب: على إضمار فعلٍ.

ولا بدَّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ من حذفٍ، تقديره: قدَّرنا سيرَه منازل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

ومنازل القمر ثمانية وعشرون، ينزل القمر كلَّ ليلةٍ واحدةً منها مِن أول الشهر، ثم يستتر[١] في آخر الشهر ليلةً أو ليلتين.

قال الزمخشري: «وهذه المنازل هي مواقع النجوم؛ وهي: الشَّرَطان[٢]، البُطَين، الثريا، الدَّبَران، الهَقْعة، الهَنْعة، الذِّراع، النَّثْرة، الطَّرْف، الجَبهة، الزُّبْرة، الصَّرْفة، العوَّا، السِّماك، الغَفْر، الزُّبانَى، الإكليل، القَلب، الشَّوْلة، النَّعائم، البَلْدة، سَعْدُ الذَّابحِ، سعدُ بُلَعَ، سعدُ السعودِ، سعد الأَخْبيَةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المقدَّمُ، فرغُ الدلو المؤخَّرُ، الرِّشاءُ[٣]»[٤].

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ العرجون: هو غصن النخلة، شبّه القمر به إذا تناهى في نقصانه.

والتشبيه في ثلاثة أوصاف؛ وهي: الرِّقَّة، والانحناء، والصُّفرة.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: «يَستسرُّ»، قال ابن سيده في المحكم (٨/ ٤٠٨) «واسْتَسرَّ الهلالُ في آخرِ الشَّهر: خَفِيَ، لا يُلفَظُ به إلَّا مزيدًا.. والسَّرَرُ والسِّرَرُ والسَّرارُ والسِّرارُ كلُّه: الليلةُ التي يَسْتَسِرُ فيها القَمرُ»، وهي الموافقة لما في الكشاف (٢/ ١١٩٠) ط: كلكتا.

(٢) في ب، ج، د: «السرطان» بالسين، والمثبت هو الصواب فالشرطان -بالشين- هو الذي يعدُّ من منازل القمر الثمانية والعشرين، وأما السرطان -بالسين- فهو من البروج الاثني عشر. انظر: الأنواء لابن قتيبة (ص: ١٧، ١٢٠).

وفي أ، هـ: «النَّطح»، وهو اسم لمنزلة الشَّرَطان أيضًا، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٣/ ٥١).

(٣) في ب: «بطن الحوت»، وهو من أسماء هذه المنزلة كما في الأنواء لابن قتيبة (ص: ٨٥) والمثبت موافق لما في الكشاف.

(٤) الكشاف (١٣/ ٥١-٥٥).

ووصفه بالقديم؛ لأنه حينئذ تكون له هذه الأوصاف.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمسَ أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحوَ نوره، هكذا قال بعضهم.

ويَحتمل أن يريد: أن سَيْرَ الشمس في الفَلَك بطيءٌ، فإنها تقطع الفلَك في سنة، وسير القمر سريع، فإنه يقطع الفلَك في شهر، والبطيء لا يدرك السريع.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: أن كلَّ واحد منهما جعل الله له وقتًا موقَّتًا، وحدًّا معلومًا لا يتعدَّاه، فلا يأتي الليل حتى ينفصلَ النهار، كما لا يأتي النهار حتى ينفصل الليل.

ويحتمل أن يريد: أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه، فيكون المعنى كالذي قيل[1] في قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فحصل من ذلك: أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس.

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في «الأنبياء»[2].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّـٰتِهِمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١﴾ معنى ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

---

(١) في ب، ج، هـ: «قبلُ».

(٢) انظر (٣/ ١٤٣).

و﴿ٱلْفُلْكِ﴾ هنا يحتمل أن يريد به:

جنسَ السفن.

أو سفينةَ نوح عليه السلام.

وأما الذرية: فقيل: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام، وسمَّى الآباء ذريةً؛ لأن الذرية تناسلت[1] منهم، وأنكر ابن عطية ذلك[2].

وقيل: يعني: النساء، وذلك بعيد.

والأظهر: أنه إن أراد بالفُلك جنس السفن: فيعني جنسَ بني آدم، وإنما خصَّ ذريتهم بالذِّكر؛ لأنه أبلغُ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارةً إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة.

وإن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بالذرية: مَن كان في السفينة، وسمَّاهم ذريةً؛ لأنهم ذرية آدم ونوح، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ على هذا: لنوع[3] بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ إن أراد بالفلك سفينة نوح: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ سائرَ السفن التي يركبها الناس.

وإن أراد بالفلك جنس السفن: فيعني بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الإبلَ وسائرَ المركوبات، فتكون المماثلة على هذا في أنه مركوبٌ لا غيرُ.

---

(١) في أ، هـ: «متناسلة».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٠).

(٣) في ب، ج، هـ: «النوع».

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يُتصوَّر هذا في المركوبات غير السفن.

﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث، ولا مُنقِذ لهم من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ قال الكسائي: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ على الاستثناء، كأنه قال: إلَّا أن نرحمَهم.

وقال الزجاج: نصْبُ ﴿رَحْمَةً﴾ على المفعول من أجله، كأنه قال: إلَّا لأجل رحمتِنا إيَّاهم.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش، وجواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوفٌ، تقديره: «أعرَضوا»، ويدلُّ عليه: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

والمراد بما بين أيديهم وما خلفهم: ذنوبُهم المتقدِّمة والمتأخِّرة.

وقيل: ما بين أيديهم: عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم: عذاب الآخرة.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضُّون على الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمنذ حرَمهم الله نَحرِمهم نحن، وهذا كقولهم: «كن مع الله على المدْبِر».

والآخر: أن قولهم ردٌّ على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: الأمور كلها بيد الله، فكان الكفارُ يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء؛ فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟.

ومقصدهم[1] في الوجهين: احتجاجٌ لبخلهم ومنعِهم الصدقات، واستهزاء بمن حضَّهم على الصدقة[2].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون:

من بقية كلامهم خطابًا للمؤمنين.

أو يكون من كلام الله خطابًا للكافرين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون: يوم القيامة، أو نزولَ العذاب بهم.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي ما ينتظرون إلَّا صيحة واحدة، يعني: النفخة الأولى في الصور، وهي نفخة الصَّعْق.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي: تأخذهم بغتةً وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم.

وأصل ﴿يَخِصِّمُونَ﴾: يختصمون، ثم أدغم.

وقرئ بفتح الخاء، وبكسرها، واختلاس حركتها.

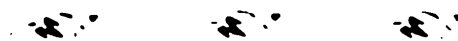
﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يقدرون أن يوصوا بما لهم وما عليهم؛ لسرعة الأمر.

---

(١) في ب، د: «ومقصودهم».

(٢) في ب: «بمن يعطي الصدقة».

﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم؛ لسرعة الأمر.



[﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا
مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ
إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ
﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ
﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ
إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا
صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ
جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَـٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى
ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾].

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ هذه النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور.

و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾: هي القبور.

و﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون المشي.

وقيل: يخرجون.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾ الويل: منادى، أو مصدر.

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ المرقد: يحتمل أن يكون: اسمَ مصدر، أو اسم مكان.

قال أبيُّ بن كعب ومجاهد: إن البشر ينامون نومةً قبل الحشر.

قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم: ﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ أنها استعارةٌ وتشبيه به[١]، يعني: أن قبورهم شبِّهت بالمضاجع، لكونهم فيها على هيئة الراقد[٢]، وإن لم يكن رقادٌ[٣] في الحقيقة.

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ ﴿هَٰذَا﴾: مبتدأ، وما بعده: خبره.

وقيل: إن ﴿هَٰذَا﴾ صفةٌ لـ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر، وهذا ضعيف.

ويحتمل أن يكون هذا الكلام:

من بقية كلامهم.

أو يكون من كلام الله تعالى.

أو من كلام الملائكة.

أو المؤمنين، يقولونها[٤] للكفار على وجه التقريع.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٢٥٦).

(٢) في ب: «الراقدين».

(٣) في ج، د: «راقدًا».

(٤) في ب: «يقولونه».

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: النفخة الثانية، وهي نفخة القيام.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ قيل: هو افتضاض الأبكار.

وقيل: سماع الأوتار.

والأظهر: أنه عام في الاشتغال بالنعيم[1] واللذات.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ قرئ:

بالألف، ومعناه: أصحاب فاكهة.

وبغير ألف، وهو في الفكاهة بمعنى الراحة والسرور.

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظِلٍّ.

وقرئ بالضم، جمع ظُلَّةٍ.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير.

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ أي: ما يتمنَّون.

وقيل: معناه: أن ما يدعون به يأتيهم.

﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ.

وقيل: بدلٌ من ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾.

﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكّد، والمعنى: أن السلام عليهم قولٌ من الله، بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة.

---

(١) في ب: «بالنعم».

﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حِدَةٍ.

﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ الجِبِلُّ: الأمة العظيمة.

وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها.

وقرئ:

بكسر الجيم والباء وتشديد اللام.

وبضمهما مع التخفيف.

وبضم الجيم وإسكان الباء.

وهي لغاتٌ بمعنى واحد.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: نمنعهم من الكلام، فتنطق أعضاؤهم يوم القيامة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ هذا تهديدٌ لقريش.

والطمس على الأعين: هو العمى، و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق، و﴿أَنَّىٰ﴾: استفهامٌ يراد به النفي.

فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم؛ فلو راموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه.

وقيل: يعني: عمَى البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم، والطريق على هذا استعارةٌ بمعنى الإيمان والخير.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ هذا تهديدٌ بالمسخ.

فقيل: معناه: المسخ قردةً وخنازير، أو حجارة.

وقيل: معناه: لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطولين لا يستطيعون تصرُّفًا.

وقيل: إن هذا التهديد كلَّه بما[١] يكون يوم القيامة.

والأظهر أنه في الدنيا.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة: المكان، والمعنى: لو نشاء لمسخناهم مسخًا يُقعِدهم في مكانهم.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مُسخوا في مكانهم لم يَقدِروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي: نحوّل خِلْقتَه من القوة إلى الضعف، ومن الفَهم إلى البَلَه، وشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وإنما قصد بذكر ذلك هنا: الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار، كما قَدَر على تنكيس الإنسان إذا هَرِمَ.

* * *

(١) في أ، ب، هـ: «إنما».

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ
حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَامًا فَهُمْ
لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ
تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ
وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ﴾ الضميران[(١)] لمحمد ﷺ، وذلك ردٌّ على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا يَنظِم الشعر ولا يزنه، وإذا ذكر بيت شعر كسَر وزنه.

فإن قيل: قد روي عنه ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وروي عنه أيضًا ﷺ:

هل أنت إلَّا إصبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

وهذا كلامٌ على وزن الشعر.

---

(١) في ج، د: «الضمير».

فالجواب: أنه ليس بشعر؛ لأنه[١] لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونًا بالاتفاق لا بالقصد، فهو كالكلام المنثور، ومثل هذا يقال فيما جاء في القرآن من الكلام الموزون.

ويقتضي قولُه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ تنزيهَ النبي ﷺ عن الشعر؛ لما فيه من الأباطيل وإفراط التجوُّز[٢]، حتى يقال: «إن الشعرَ أطيبُه أكذبُه»، وليس كلُّ الشعر كذلك؛ فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[٣].

وقد أكثر الناس في ذمِّ الشعر ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلامٌ، والكلام منه حسَنٌ ومنه قبيح.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير للقرآن؛ يعني:

أنه ذكرٌ لله.

أو تذكير للناس.

أو شرَفٌ لهم.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيَّ القلب والبصيرة.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يجبَ عليهم العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ مقصد الآية: تعديدُ نعمةٍ[٤] وإقامة حجة.

---

(١) في ج، د: «وأنه».

(٢) في ب، ج: «التجاوز».

(٣) أخرجه البخاري (٦١٤٥).

(٤) في أ، هـ: «نعمة الله».

والأيدي هنا:

عند أهل التأويل: عبارةٌ عن القدرة.

وهي عند أهل التسليم: من المتشابه الذي يجب الإيمان به، وعلمه عند الله[١].

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الرَّكوب -بفتح الراء-: هو المركوب.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ يعني: الأكْلَ منها والحَمْلَ عليها، والانتفاعَ بالجلود والصوف وغيره.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ يعني: الألبان.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿نَصْرَهُمْ﴾ للمشركين.

ويحتمل العكس.

ولكنَّ الأول أرجح؛ فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلهم يُنصرون: أخبر أن الأصنام لا يستطيعون نصرهم، فخاب أملُهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ الضمير الأول: للمشركين، والثاني: للأصنام يعني: أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصَّبون لهم؛ حتى إنهم لهم كالجند.

وقيل: بالعكس؛ بمعنى: أن الأصنام جندٌ محضرون لعذاب المشركين في الآخرة.

---

(١) انظر (٢/١٩٥)

والأول أرجح؛ لأنه تقبيحٌ لحال المشركين.

﴿فَلَا يُحْزِنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ، معلَّلةٌ بما بعدها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهينُ على الحشر يوم القيامة، وردٌّ على من أنكر ذلك.

والنطفة: هي نقطة[1] المنيّ التي خلق الإنسان منها، ولا شكَّ أن الإله الذي قدَرَ على خِلْقته من نطفة قادرٌ على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث.

وسبب الآية: أن العاصيَ بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم فقال: يا محمد من يحيي هذا؟

وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف.

وقيل: أبيُ بن خلف.

فقال له رسول الله ﷺ: «الله يحييه ويميتك ثم يحييك ويدخلك جهنم»[2].

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: متكلِّمٌ قادر على الخصام، يُبِين ما في نفسه بلسانه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارةٌ إلى قول الكافر: من يحيي هذا العظم؟.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نسي الاستدلالَ بخِلْقته الأولى على بعثه.

والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول، أو الترك.

---

(١) انظر (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٦/٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

﴿وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتّتة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ استدلالٌ بالخِلْقة الأولى على البعث.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كلَّ شيء، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها.

والخَلْق هنا يحتمل أن يكون مصدرًا، أو بمعنى المخلوق.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليلٌ آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه من الكفار والطبائعيين قالوا: طَبْعُ الموت يضادُّ طبعَ الحياة فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء، مع مضادَة طبع الماء للنار.

ويعني بـ ﴿ٱلشَّجَرِ﴾: زِنادَ العرب، وهو شجر المرْخ والعَفَار، فإنه يُقطع من كل واحد منهما غصنًا أخضر يَقطُر منه الماء، فيُسحق المرخ على العفار، فينقدح[1] النار بينهما.

قال ابن عباس: ليس من شجرة إلَّا وفيها نار إلَّا العُنَّاب، ولكنه في المرخ والعَفَار أكثر.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ هذا دليلٌ آخر على البعث، فإن الإله الذي قَدَر على خِلْقة السموات والأرض على عظمتها وكِبَرِ أجرامها[2] قادرٌ على أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها.

---

(١) في ب، ج: «فيقدح».
(٢) في د: «عظمتهما وكبر أجرامهما».

والضمير في ﴿مِثْلَهُم﴾ يعود على الناس.

﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ في ذِكْر هذه الاسمين أيضًا استدلالٌ على البعث، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾؛ لأن هذه[1] عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شكَّ أن الخلاق العليم القدير[2] لا يصعب عليه إعادة الأجساد.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ في هذا استدلالٌ على البعث، وتنزيهٌ لله عما نسبه[3] الكفار إليه من العجز عن البعث، وإنهم[4] ما قدروا الله حق قدره، وكلُّ من أنكر البعث فإنما أنكره لجهله بقدرة الله سبحانه.



(١) في د: «هذا».
(٢) في أ، ب، ج، هـ: «القادر».
(٣) في ب، ج: «ينسبه».
(٤) في د: «فإنهم».

﴿ سورة الصافات ﴾

[﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤
رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ
۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ
۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠
فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ
دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ
الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾].

﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ ﴾ تقديره: والجماعات الصافات.

ثم اختُلف فيها:

فقيل: هي الملائكة التي تصفُّ في السماء صفوفًا لعبادة الله.

وقيل: هي مَن يصفُّ مِن بني آدم في الصلوات والجهاد.

والأول أرجح؛ لقوله حكايةً عن الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾.

﴿ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ ﴾ هي الملائكة تزجر السَّحاب وغيرها.

وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم.

وقيل: هي آياتُ القرآن المتضمِّنةُ الزَّجرَ عن المعاصي.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر.

وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم.

وهي كلُّها أشياءُ أقسم الله بها على أنه واحدٌ.

﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ يعني: مشارق الشمس، وهي ثلاث مئة وستون مَشرِقًا، وكذلك المغارب فإنها تَشرُقُ كلَّ يوم من أيام السنة في مَشرق منها، وتَغرب في مغرب.

واستغنى بذكر المشارق عن ذكر المغارب؛ لأنها مُعادِلةٌ لها، فتُفهم مِن ذكرها.

﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ قرئ بإضافة الزينة إلى الكواكب، والزينة تكون: مصدرًا واسمًا لما يُزَان به.

فإن كان مصدرًا فهو:

مضافٌ إلى الفاعل، تقديره: «بأنْ زَيَّنَت الكواكبُ السماءَ».

أو مضاف إلى المفعول، تقديره: «بأنْ زيَّنَّا الكواكبَ».

وإن كانت اسمًا: فالإضافة بيانٌ للزينة.

وقرئ بتنوين ﴿بِزِينَةٍ﴾:

وخفْضِ ﴿ٱلۡكَوَاكِبِ﴾: على البدل.

وبنصب ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾: على أنها:

مفعولٌ بـ ﴿زِينَةٍ﴾.

أو بدلٌ من موضع ﴿زِينَةٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ:

على المصدر، تقديره: وحفظناها حفظًا.

أو مفعولٌ من أجله، والواو زائدة.

أو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكبَ زينةً للسماء وحفظًا.

﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشرّ.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ للشياطين، و﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ هم الملائكة الذين يسكنون في السماء.

والمعنى: أن الشياطين مُنِعت من سمْع أحاديث الملائكة.

وقرئ ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديد السين والميم، ووزنه يتفَعَّلون، والتَّسمُّع: طلب السماع.

فنفى السَّماع على القراءة الأولى، ونفى طلَبه على القراءة بالتشديد.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢]، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون، لكنه لا يسمعون شيئًا منذ بعث محمد ﷺ؛ لأنهم يُرْمَون بالكواكب.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: يُرجَمون، يعني: بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقضُّ.

قال النقاش ومكي: ليست الكواكبُ الراجمةُ للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تُرى حركتها، وهذه الرَّاجمة تُرى حركتها؛ لقربها منا[١].

قال ابن عطية: وفي هذا نظر[٢].

﴿دُحُورًا﴾ أي: طَرْدًا وإبعادًا وإهانةً؛ لأن الدَّحْر: الدفعُ بعنف.

وإعرابه:

مفعول من أجله.

أو مصدر من ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ على المعنى.

أو مصدر في موضع الحال، تقديره: مدحورين.

﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يُرجمون بالنجوم في الدنيا، ثم يعذَّبون بجهنم.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفعٍ، بدلٌ من الضمير في قو ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾.

والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار السماء إلَّا الشيطان الذي خطف الخطفة.

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٦٠٨٦)

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٧٣).

﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديدُ الإضاءة.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء: نوعٌ من السؤال، وكأنه سؤال مَن يُعتَبر قوله ويُجعل حجةً؛ لأن جوابهم عن السؤال مما تقوم عليهم به الحجة.

و﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يراد به: ما تقدَّم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب.

وقيل: يراد به: من تقدَّم من الأمم.

والأول أرجح؛ لقراءة ابن مسعود: «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا».

ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعثَ في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشدُّ خلقًا منكم، فكما قدَرْنا على خِلْقتهم[1] كذلك نَقدِر على إعادتكم بعد فنائكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ اللازب: اللازم؛ أي: يَلزم ما جاوره ويَلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعفُ خِلْقة بني آدم.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: عجبتَ يا محمد من ضلالهم[2] وإعراضهم عن الحق.

أو عجبتَ من قدرة الله على هذه المخلوقات العِظام المذكورة.

وقرئ ﴿عَجِبْتُ﴾ بضم التاء، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب

---

(١) في أ، ب، هـ: «خلقكم»، وفي ج: «خلقتكم».

(٢) في ب، ج، د: «ضلالتهم».

مستحيلٌ على الله فتأوَّله[(١)] بمعنى: أنه جعله على حالٍ تعجَّب منها[(٢)] الناس.

وقيل: تقديره: «قل يا محمد: عجبتُ».

وقد جاء التعجُّب من الله في القرآن والحديث، كقوله ﷺ: «يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة»[(٣)]، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلًا على الله؛ لأنهم قالوا إن التعجُّب استعظامٌ خَفِيَ سببُه، والصواب: أنه لا يلزم أن يكون خفيَّ السببِ، بل هو لمجرَّد الاستعظام؛ فعلى هذا: لا يستحيل على الله[(٤)].

---

(١) في د، هـ: «فتأولوه».

(٢) في ب، ج: «ليعجب منه»، وفي د: «يتعجب منها»

(٣) أخرجه أحمد (١٧٣٧٠).

(٤) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قول المصنف ﷺ، «وأشكل ذلك» إلخ أي: نسبة العجب إلى الله، كما في القراءة المشار إليها، وهي قراءة سبعية، أي: أشكل ذلك على نفاة العجب عن الله، وهم كل من ينفي قيام الصفات الفعلية بالله؛ كالأشاعرة والكلابية والماتريدية، وهم الذين عناهم المؤلف بقوله: إنهم يقولون: إن التعجب مستحيلٌ على الله؛ لأنه استعظام شيء خفي سببه، وقد خالفهم المؤلف في تفسير التعجب، فجوَّزه على الله، واستشهد له ببعض ما جاء في السنة، وقد أصاب في ذلك، والذين نفوا العجب عن الله أوَّلوا ما جاء في القرآن والسنة مما يدل على إثبات العجب بتأويلات، منها ما أورده المؤلف، فجمعوا بين التعطيل بنفي الصفات، والتحريف بتأويل الآيات، والجاري على مذهب أهل السنة والجماعة إثبات العجب من الله، كغيره من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، كالغضب والرضا والمحبة والكراهة، وليس شيء من ذلك يشبه صفات المخلوقين، فليس عَجب الله كعَجب المخلوق، ولا حبه كحبه، ولا رضاه كرضاه. وهذا هو الحق الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك، أو من العبث.

﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤﴾ الآية هنا: العلامة، كانشقاق القمر ونحوه.

وروي أنها نزلت في مشرك اسمه رُكَانة، أراه النبي ﷺ آياتٍ فلم يؤمن.

و﴿يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ معناه: يسخرون، فيكون «فَعَلَ» و«استفْعَلَ» بمعنى واحد.

وقيل: معناه: يستدعي بعضهم بعضًا لأنْ يسخر.

وقيل: يبالغون في السُّخريَة.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا﴾ الآيةَ؛ معناها: استبعادهم للبعث.

وقد تقدَّم الكلام على الاستفهامين في «الرعد»[1].

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت[2] همزة الإنكار على واو العطف.

وقرئ بالإسكان عطفًا بـ «أو».

﴿قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾ أي: قل: تبعثون. والدَّاخر: الصَّاغر الذَّليل.

﴿زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ﴾ يَحتمل أن يكون:

مِن النظر بالأبصار.

أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يُفعل بهم.

---

(١) انظر (٢/ ٦٦٩).

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ودخلت».

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ يحتمل أن يكون:

من كلامهم، مثل الذي قبله.

أو مما يقال لهم، مثل الذي بعده.

* * *

[﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ
الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾
وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا
لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ
﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا
نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ
إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾

﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ الآيةَ؛ خطابٌ للملائكة، خاطبهم به الله تعالى، أو خاطب به بعضهم بعضًا.

﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ يعني: نساءَهم المشركات.

وقيل: يعني: أصنافَهم وقرناءهم من الجن والإنس.

﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ يعني: الأصنام والآدميين الذي كانوا يرضون بذلك.

﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق[1] جهنم ليدخلوها.

﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ يعني: إنهم يُسألون عن أعمالهم، توبيخًا لهم.

وقيل: يسألون عن قول: «لا إله إلا الله».

والأول أرجح؛ لأنه أعم.

ويحتمل أن يُسألوا عن عدم تناصرهم، على وجه التهكُّم بهم، فيكون ﴿مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عاملًا فيما بعده، والتقدير: يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا وقد كنتم في الدنيا تقولون: نحن جميع منتصرٌ؟.

﴿مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ أي: منقادون عاجزون عن الانتصار.

﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ الضمير في ﴿قَالُوٓاْ﴾:

للضعفاء من الكفار خاطبوا الكبراءَ منهم في جهنم.

أو للإنس خاطبوا الجنَّ.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «صراط».

و﴿ٱلْيَمِينِ﴾ هنا يَحتمل ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يراد بها: طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين، كما أن العبارة عن الشر بالشمال، والمعنى: أنهم قالوا لهم: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدُّوننا عنه.

والثاني: أن يراد بها: القوة، والمعنى على هذا: إنكم كنتم تأتوننا بقوَّتكم وسلطانكم فتأمروننا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان.

والثالث: أن يراد بها: اليمين التي يُحلَف بها؛ أي: كنتم تأتوننا بأنْ تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدِّقكم في ذلك ونتَّبِعَكم.

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ الضمير في ﴿قَالُوٓا۟﴾:

للكبراء من الكفار.

أو للشياطين.

والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم: ليس الأمر كما ذكرتم، بل كفرتم باختياركم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي: وجب العذاب علينا وعليكم.

و﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ معمول القول، وحذف معمول ﴿لَذَآئِقُونَ﴾ تقديره: وجب القول بأنا ذائقون العذابَ.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: دعوناكم إلى الغيِّ؛ لأنا كنَّا على غيٍّ.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، ويعنون بـ﴿شَاعِرٍ مجنون﴾: محمدًا ﷺ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام، وهو الحق، ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله؛ لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به.

ويَحتمل أن يكون صدَّقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوَّته فظهر صدْقهم لما بُعِث ﷺ.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ استثناء منقطع بمعنى «لكن».

وقرئ ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها في كل موضع، وقد تقدَّم تفسيره[١].

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ السُّرر: جمع سرير، وتقابُلُهم في بعض الأحيان؛ للسُّرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره[٢].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ الذين يطوفون عليهم: الولدان، حسَبما ورد في الآية الأخرى[٣].

والكأس: الإناء الذي فيه خمر. قاله ابن عباس.

وقيل: الكأس: إناءٌ واسع الفم، ليس له مِقبَض، سواءٌ كان فيه خمر أم لا.

---

(١) انظر (٢/ ٦٢٧).

(٢) في ب، ج، د: «بقصره».

(٣) يعني قوله تعالى في الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

والمعين: الجاري الكثير؛ ووزنه فَعِيل، والميم فيه أصلية.

وقيل: هو مشتقٌّ من العين، فالميم زائدة، ووزنه: مفعول.

﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة، فوصَفها بالمصدر اتساعًا.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الغول: اسم عامٌّ في الأذى والضُّر، ومنه يقال: غاله يغوله: إذا أهلكه.

وقيل: الغول: وجعٌ في البطن.

وقيل: صداعٌ في الرأس.

وإنما قدَّم المجرور هنا؛ تعريضًا بخمر[1] الدنيا لأن الغول فيها.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ أي: لا يَسكرون من خمر الجنة، ومنه النَّزِيف، وهو السكران.

و«عن» هنا سببية، كقولك: «فعلته عن أمرك»، أي: لا يُنزَفون بسبب شربها.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ معناه: أنهن قصرْنَ أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

﴿عِينٌ﴾ جمع عَيْناءَ، وهي الكبيرة العينين في جمالٍ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ قيل: شبَّههن في اللون ببَيض النعام؛ لأنه

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الخمر».

بياض خالطه[١] صفرة حسنةٌ، ولذلك قال امرؤ القيس:

كبِكْرِ مُقاناةِ البياض بصُفْرةٍ[٢]

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيضة الداخلي الرقيق، وهو المكنون المصون تحت القشر الأول[٣].

وقيل: أراد الجوهر المصون.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠﴾ هذا إخبارٌ عن تحدُّث أهل الجنة.

قال الزمخشري: هذه الجملة معطوفة على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والمعنى: أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب بما جرى لهم في الدنيا[٤].

﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقرينَه من البشر، مؤمنٌ وكافرٌ.

وقيل: كان قرينُه من الجن.

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار: أتصدِّق بالدين والآخرة؟

﴿لَمَدِينُونَ﴾ أي: مجازَون ومحاسَبون على الأعمال، ووزنه: مفعول، وهو من الدِّين، بمعنى الجزاء والحساب.

---

(١) في ب: «خالَلهُ»، وفي ج، هـ: «خالطته».

(٢) هذا صدر بيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: «غذاها نَميرُ الماء غيرَ محلَّلِ»، والبكر: أول بيضةٍ تبيضها النعامة، والمقاناة: المخالَطة، التي قُونِيَ بياضُها بصفرة؛ أي: خُلط بياضها بصفرة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري (ص: ٧٠-٧١).

(٣) في ب، هـ: «القشرة الأولى».

(٤) الكشاف (١٣/ ١٤٧).

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائلُ لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخُدَّامه: هل أنتم مطَّلعون على النار لأريكم ذلك القرينَ فيها؟

وروي أن في الجنة كُوًى ينظرُ منها أهلُها إلى النار.

﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسَطها.

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ أي: تهلكُني بإغوائك، والرَّدى: الهلاك، وهذا خطابٌ خاطب به المؤمن قرينَه الذي في النار.

﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ هذا من كلام المؤمن:

خطابًا لقرينه.

أو خطابًا لرفقائه في الجنة، ولهذا قال: ﴿نَحْنُ﴾، فأخبر عن نفسه وعنهم.

ويَحتمل أن يكون من كلامه وكلامهم جميعًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام المؤمن.

أو من كلامه وكلام رفقائه في الجنة.

أو من كلام الله تعالى.

وكذلك يَحتمل[1] هذه الوجوه في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.

---

(١) في د، هـ: «تحتمل».

والأرجح فيه: أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلًا به، ولأن الأمر بالعمل إنما هو حقيقةٌ في الدنيا ففيه تحريضٌ على العمل الصالح.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ الإشارة بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى نعيم الجنة وكلِّ ما ذكر من وصفها.

وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله: ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[1].

والنُّزُل: الضيافة.

وقيل: الرزق الكثير.

وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراكٌ؛ لأن الكلام تقريرٌ وتوبيخ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قيل[2]: سببها: أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم، قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟

فالفتنة على هذا: الابتلاء في الدنيا.

وقيل: معناه: عذاب الظالمين في الآخرة.

والمراد بالظالمين هنا: الكفار.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قَعْر جهنم، وترتفع

---

(١) الكشاف (١٣/ ١٥٤).

(٢) لم ترد في أ، ب، ج، هـ.

أغصانها إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ الطلع: ثمر النخلة، فاستُعير لشجرة الزقوم، وشُبِّه برؤوس الشياطين؛ مبالغةً في قبحه وكراهته؛ لأنه قد تقرَّر في نفوس الناس كراهتُها وإن لم يروها، ولذلك يقال للقبيح المنظر: وجه شيطان.

وقيل: رؤوس الشياطين: شجرة معروفة باليمن.

وقيل: هو صنف من الحيات.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مِزاجًا من ماء حار.

فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بـ ﴿ثُمَّ﴾؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان، فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد ذلك يشربون الحميم.

والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب، فالمعنى: أن شُرْبهم للحميم أشدُّ مما ذُكِر قبله.

﴿يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع: الإسراع الشديد.

[﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ
مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ
﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا
لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا
تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي
الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾].

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ أي: دعانا، يعني: دعاءه بإهلاك قومه ونصرته عليهم.

﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ أهلُ الأرض كلُّهم من ذرية نوح؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة، تناسل الناس من أولاده الثلاثة: سامٍ وحامٍ ويافثٍ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨﴾ معناه: أبقينا له ثناءً جميلًا في الناس إلى يوم القيامة.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ هذا تسليمٌ من الله على نوح عليه السلام.

وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول ﴿وَتَرَكْنَا﴾، وهي محكيةٌ؛ أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني: أن الخلق يسلِّمون عليه.

فيُبتدأ بـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ على القول الأول، لا على الثاني.

والأول أظهر.

ومعنى ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

على القول الأول: تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين، كما تقول: أُحبُّ فلانًا في الناس، أي: أحبه خصوصًا من بين الناس.

ومعناه على القول الثاني: أن السلام عليه ثابتٌ في العالمين.

وهذا الخلاف يجري حيثما ذُكِر ذلك في هذه السورة.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ الشِّيعة: الصنف المتفِق، فمعنى ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾: على دينه في التوحيد.

والضمير يعود: على نوح.

وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ عبارةٌ عن إخلاصه، وإقباله بكليَّته على الله تعالى، وليس

المراد المجيء بالجسد.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سليمٍ من الشرك والشك وجميع العيوب.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ الإفك: الباطل، وإعرابه هنا: مفعول من أجله، و﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مفعول به، و﴿ءَالِهَةً﴾: بدل منه.

وقيل: ﴿أَئِفْكًا﴾: مصدر في موضع الحال، تقديره: «آفِكين»؛ أي: كاذبين.

والأول أحسن.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ المعنى: أيُّ شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبَكم به، وقد عبدتم غيره؟

أو أي: شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟، كما تقول: «ما ظنك بفلان؟» إذا قصدتَ تعظيمه.

فالمقصد على المعنى الأول: تهديدٌ، وعلى الثاني: تعظيمٌ لله وتوبيخ لهم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه، فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ ليمتنعَ عن الخروج معهم، فيكسرَ أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم.

وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنها كانت تأخذه الحمَّى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى

وقت الحمى، واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى.

والثاني: أن قومه كانوا منجِّمين وكان هو يعلم أحكام النجوم، فأوهمهم أنه استدلَّ بالنظر في علم النجوم أنه يَسقَم، فاعتذر بما يخاف من السُّقْم عن الخروج معهم.

والثالث: أن معنى نظر في النجوم: أنه نظر وفكَّر فيما يكون من أمره معهم فقال: إني سقيم، والنجوم على هذا: ما يَنجُم من حاله معهم، وليست نجوم السماء، وهذا بعيد.

وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على حسَب هذه الأقوال:

[أ-] **يَحتمل أن يكون حقًّا لا كذبَ فيه ولا تجوُّز أصلًا**، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «أن إبراهيم كَذَب ثلاث كذبات، أحدها[1]: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾»[2].

[ب-] **ويحتمل أن يكون كذِبًا صُرَاحًا**، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال؛ لأنه فعَل ذلك من أجل الله؛ إذ قصَد كسر الأصنام.

[ج-] **ويحتمل أن يكون من المعاريض**:

فأراد أنه سقيم فيما يُستقبل؛ لأن كل إنسان لا بدَّ أن يمرض.

أو أراد أنه سقيمُ النفْس من كفرهم وتكذيبهم له.

وهذا التأويل أولى؛ لأن نفْيَ الكذب بالجملة يُعارض الحديث، والكذب

---

(١) في أ، هـ: «إحداها».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١).

الصراح لا يجوز على الأنبياء، عند أهل التحقيق، أما المعاريض فهي جائزة.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠﴾ أي: تركوه إعراضًا عنه، وخرجوا إلى عيدهم.

وقيل: إنه أراد بالسُّقْم الطاعون وهو داءٌ يعدي، فخافوا منه وتباعدوا عنه؛ مخافة العدوى.

﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال.

﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام.

﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بيمنى يديه.

وقيل: بالقوة.

وقيل: بالحَلِف، وهو قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

والأول أظهر وأليق بالضرب.

و﴿ضَرْبًا﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥﴾ أي: تَنْجرون، والنحت: النِّجارة، إشارةٌ إلى صنعهم[1] للأصنام من الحجارة أو الخشب.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ ذهب قوم إلى ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى:

---

(١) في أ، هـ: «صنعتهم».

الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدةٌ في خلق أفعال العباد.

وقيل: إنها موصولة بمعنى «الذي»، **والمعنى**: الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها، وهذا أليق بسياق الكلام، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام.

وقيل: إنها نافية.

وقيل: إنها استفهامية.

وكلاهما باطل.

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا﴾ **قيل**: البنيان: في موضع النار.

وقيل: بل كان للمنجنيق، الذي رُمي عنه.

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ **يعني**: حَرْقَه بالنار.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ **أي**: المغلوبين.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ **قيل**: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد: أنه ذاهب؛ أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام.

وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يُطرح في النار، وأراد: أنه ذاهب إلى ربه بالموت؛ لأنه ظن أن النار تحرقه.

و﴿سَيَهْدِينِ﴾:

على القول الأول: يعني الهدى إلى صلاح[1] الدين والدنيا.

---

(١) في أ، ج: «إصلاح».

وعلى القول الثاني: إلى الجنة.

وقالت المتصوفة: معناه: إني ذاهب إلى ربي بقلبي، أي: مقبلٌ على الله بكليته، تاركٌ لما سواه.

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني: ولدًا من الصالحين.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ أي: عاقل.

واختلف الناس في هذا الغلام المبشَّر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟

فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه:

الأول: أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**»[(١)] يعني: إسماعيلَ عليه السلام، ووالدَه عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب أن ينحره إن يسَّر الله له أمر زمزم، ففداه بمئة من الإبل.

والثاني: أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾، فدلَّ ذلك على أن الذبيح غيره.

والثالث: أنه روي أنه إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل.

وذهب عليُّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة من التابعين: إلى أن

---

(١) لم أقف على إسناد له.

الذبيح إسحاق، وحجتهم من وجهين:

الأول: أن البِشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق؛ لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب: من يعقوب إسرائيل[١] ابن إسحاق ذبيح الله.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ يريد بالسعي هنا: العمل والعبادة.

وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ﴿قال إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ يحتمل أن يكون:

رأى في المنام الذَّبح، وهو الفعل.

أو أُمِر في المنام أن يذبحه.

والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤيا الأنبياء وحيٌ، فوجب[٢] عليهم الامتثال على الوجهين.

---

(١) في أ، ب، د، هـ: «إسرائيل الله» بزيادة اسم الله، وقال الشيخ أحمد شاكر تعليقًا على هذا المروي في تفسير الطبري (١٦/ ٢٠١): «في التاريخ [يعني: تاريخ الطبري]: «إسرائيل الله»، وكأن الذي في التفسير [أي: بدون زيادة اسم الله] هو الصواب، لأن «إيل» بمعنى «الله»، و«إسرا»، يضاف إليه، وكأن «إسرا»، بمعنى: «سَرِيّ»، وهو بمعنى المختار، كأنه: «صفي الله» الذي اصطفاه. وفي تفسير ذلك اختلاف كثير».

(٢) في ب، ج: «يوجب».

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ إن قيل: لم شاوره في أمرٍ هو محتَّمٌ[1] من الله؟

فالجواب: أنه لم يشاوِرْه ليَرجعَ إلى رأيه، ولكن ليَعلم ما عنده فيثبِّت قلبَه ويوطِّن نفسَه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرَعه بالأرض على جبينه، وللإنسان جبينان حول الجبهة.

وجواب ﴿فَلَمَّآ﴾:

محذوفٌ عند البصريين، تقديره: فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم.

وقال الكوفيون: جوابها: ﴿تَلَّهُۥ﴾ والواو زائدة.

وقال بعضهم: جوابها: ﴿نَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ والواو زائدة.

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ يَحتمل أنه يريد:

بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقةٌ فعملتَ بحسَبها.

ويحتمل أن يريد: بعملك؛ أي: وفَّيت حقَّها من العمل.

فإن قيل: إنه أُمر بالذبح ولم يَذْبَح، فكيف قيل له: ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؟

فالجواب: أنه قد بذل جهده؛ إذ عزم على الذِّبح ولو لم يَفْدِه الله لذَبحه، ولكن الله هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناعُ ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله، وقد قضَى إبراهيم ما عليه.

---

(١) في أ، هـ: «حتمٌ».

﴿ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي الاختبار البيِّن، الذي تظهر[1] به طاعة الله.

أو المحنة البيِّنة الصعوبة.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ الذِّبح: اسم لما يذبح، وأراد به هنا: الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة.

وقيل: إنه الكبش الذي قرَّب به ولد آدم، ووصفه بـ ﴿عَظِيمٖ﴾ لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبَّل.

وروي في القَصص: أن الذبيح قال لإبراهيم: «اشدد رباطي لئلا أَضطرب واصرف بصرك عني لئلا ترحمني»، وأنه أمرَّ الشفرة على حَلْقه فلم تقطع، فحينئذ جاءه الكبش من عند الله.

وقد أكثر الناس في قَصص هذه الآية، وتركناه لعدم صحته.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ دون قوله: «إنَّا»، وقال في غيرها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قصة إبراهيم نفسها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ فأغنى عن تكرار «إنَّا» هنا.

* * *

(١) في ب، ج، د: «يظهر».

[﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ يعني: بالنبوة وغير ذلك.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرقَ، أو تعذيبَ فرعون وإذلالَه لهم.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما.

وقيل: على موسى وهارون خاصةً، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم، وهذا ضعيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ يعني: التوراة، ومعنى ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البيِّن.

وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع[1].

---

(١) انظر المقدمة (١/ ١١٧).

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ إلياس: من ذرية هارون.

وقيل: إنه إدريس.

وقد أخطأ من قال: إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البَعْل: الربُّ بلغة اليمن.

وقيل: بعل: اسم صنم كان لهم يقال له: بعلبك.

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ﴾ ﴿ءَالِ﴾ هنا - على هذه القراءة -: بمعنى أهل، و﴿يَاسِينَ﴾ اسم لإلياس.

وقيل: لأبيه.

وقيل: اسم لمحمد ﷺ.

وقرئ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياسيّ؛ أي: منسوب لإلياس، حذفت منه الياء كما حذفت من «أعجمين».

وقيل: سمَّى كل واحد من آل إلياس بإلياس، ثم جمعهم.

وقيل: هي لغة في «إلياس».

﴿عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[١].

---

(١) انظر (٢/ ٧٢٣).

[﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾)].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في «يونس»[١] و«الأنبياء»[٢].

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ أي: هرب إلى السفينة، والفلك هنا: واحد، و﴿الْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

---

(١) انظر (٢/ ٥٦٧).

(٢) انظر صفحة ١٦٤.

وسبب هروبه: غضبه على قومه حين لم يؤمنوا.

وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معيَّن حسَبما أعلمه الله، فلما رأى قومه مَخايِل العذاب آمنوا، فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوه إلى الكذب فهرب.

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ معنى ﴿سَاهَمَ﴾: ضرب القرعة، والسُّهْمة: هي القرعة، والمدحض: المغلوب في القرعة والمحاجَّة.

وسبب مقارعته[1]: أنه لما ركب السفينة، وقفت ولم تجْرِ، فقالوا: إنما وقفت مِن حدثٍ أحدثه أحدنا، فنقترِع لنرى على من تخرج القرعة فنطرحه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحوه في البحر فالتقمه الحوت.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ تسبيحه: هو قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، حسَبما حكى الله عنه في «الأنبياء».

وقيل: هو قوله: «سبحان الله».

وقيل: هو الصلاة، واختُلف على هذا: هل يعني صلاتَه في بطن الحوت، أو قبل ذلك.

---

(١) في د: «قرعته»..

واختُلف في مدة بقائه في بطن الحوت:

فقيل: ساعة.

وقيل: ثلاثة أيام.

وقيل: سبعة أيام.

وقيل: أربعون يومًا.

﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ العراء: الأرض الفضاء التي لا شجر فيها، ولا ظل.

وقيل: يعني: الساحل.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بَضعةَ لحمٍ.

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦﴾ أي: أنبتناها فوقَه؛ لتُظِلَّه وتقيَه حرَّ الشمس.

واليقطين: القَرع، وإنما خصَّه الله به؛ لأنه يجمع برد الظل، ولين الملمس، وكِبَر الورق، وأن الذباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب.

وقيل: اليقطين: كل شجرة لا ساق لها، كالبقول، والقرع، والبطيخ.

والأول أشهر.

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ يعني: رسالته الأولى التي أبَقَ بعدها.

وقيل: هذه رسالةٌ ثانية بعد خروجه من بطن الحوت.

والأول أشهر.

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل: ﴿أَوْ﴾ هنا: بمعنى «بل»، وقرأ ابن عباس: «بل يزيدون».

وقيل: هي بمعنى الواو.

وقيل: هي للإبهام.

وقيل: المعنى: أن البشر إذا نظر إليهم يتردَّد فيقول: هم مائة ألف أو يزيدون.

واختُلف في عددهم:

فقيل: مئة وعشرون ألفًا.

وقيل: مئة وثلاثون ألفًا.

وقيل: مئة وأربعون ألفًا.

وقيل: مئة وسبعون ألفًا.

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرقوا بينها[1] وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرفع الله العذاب عنهم.

و﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم[2].

وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياءَ كثيرة أسقطناها؛ لضعف صحتها.

---

(١) في ب، ج: «بينهما».

(٢) في أ، هـ: «أجلهم».

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما[١].

والضمير المفعول: لقريش وسائر الكفار، أي: اسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الملائكة إناثٌ[٢] وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾.

ويحتمل أن يكون:

بمعنى الشهادة.

أو بمعنى الحضور؛ أي: أنهم لم يحضروا على ذلك ولم يعلموه.

ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾، ثم قرَّرهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله ردٌّ عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علوًّا كبيرًا.

﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل.

﴿مَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها: التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٠٦).

(٢) في ب، ج: «بنات».

﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ مُّبِينٌ ١٥٦﴾ أي: برهان بيِّنٌ.

﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ﴾ تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتجُّون به.

﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ الضمير في ﴿جَعَلُواْ﴾ لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الجِنَّة هنا: الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتقٌّ من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستورون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذين جعلوا بين الله وبينهم: قولهم: إنهم بنات الله.

والقول الثاني: أن الجن هنا الشياطين(١)، وفي النسب الذي جعلوا بينه وبينهم قولان:

أحدهما: أن بعض الكفار قالوا: إن الله والشيطان(٢) أخوان، تعالى الله عن ذلك.

والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكَح في الجن فوَلدت له الملائكةَ ﷻ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا

﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة: فالضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة أن الكفار محضرون في العذاب.

ومن قال: إن الجن الشياطين: فالضمير يعود عليهم؛ أي: قد علمت

---

(١) في أ، ج، هـ: «الشيطان».

(٢) في أ، د، هـ: «والشياطين».

الشياطين إنهم محضرون في العذاب.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ استثناءٌ منقطع: من المحضرين، أو من الفاعل في ﴿يَصِفُونَ﴾.

والمعنى:

لكنَّ عباد الله المخلصين لا يُحضَرون في العذاب.

أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ هذا خطابٌ للكفار والمراد بـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها.

و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ عطفٌ على الضمير في ﴿إِنَّكُمْ﴾، ويجوز أن تكون الواو بمعنى «مع».

ومعنى ﴿فَٰتِنِينَ﴾: مُضِلِّين.

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، و«على» سببية معناها التعليل، و﴿مَنْ هُوَ﴾: مفعول بـ ﴿فَٰتِنِينَ﴾.

والمعنى: إنكم أيها الكفار وكلَّ ما تعبدونه لا تُضِلون أحدًا إلَّا من قضى الله أن يصلى الجحيم؛ أي: لا تقدرون على إغواء الناس إلَّا بقضاء الله.

وقال الزمخشري: الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود على الله تعالى[1].

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢١٢)، وقال: «فإن قلتَ: كيف يَفتنونهم على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، من قولك: فَتن فلانٌ على فلان امرأتَه، كما تقول: أفسدها عليه وخبَّبها عليه».

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾ هذا حكايةُ كلام الملائكة عليهم السلام، وتقديره: ما منا ملَك إلَّا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام.

والمقام المعلوم:

يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم من هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي السموات وحيث شاء الله.

ويحتمل أن يراد به: المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ أي: الواقفون صفوفًا في العبادة، ولذلك أُمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم؛ ليقتدوا بالملائكة، وليس أحدٌ من أهل الملل يصلُّون صفوفًا إلَّا المسلمون.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ **قيل**: معناه: المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها: تسبيحٌ.

وقيل: معناه: القائلون «سبحان الله».

وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة ردٌّ على من قال: إنهم بنات الله أو شركاء له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتنزيه له.

ويدلُّ هذا الكلام أيضًا على أن المراد بالجن قبلَ هذا: الملائكة.

وقيل: إن هذا كلَّه من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين.

والأول أشهر.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨﴾ الضمير: لكفار قريش وسائر العرب.

والمعنى: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أرسل الله إلينا رسولًا أو أنزل علينا كتابًا لكنا عباد الله المخلصين.

﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ﴾ الضمير:

للذِّكر.

أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدَّم ذكره.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ على كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ المعنى: سبق القضاءُ بأن المرسلين منصورون على أعدائهم، وأن جند الله غالبون.

وهذا النصر والغلبة: بظهور الحجة والبرهان، وبهزيمة الأعداء في القتال، وبالسعادة في الآخرة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادَعةٌ منسوخة بالسيف.

والحين هنا يراد به: يوم بدر.

وقيل: حضور آجالهم[1].

وقيل: يوم القيامة.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيد لهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ إشارةٌ إلى قولهم: «متى هذا الوعد؟» و«أمطر

(١) في أ، هـ: «أجلهم».

علينا حجارة من السماء»، وشبه ذلك.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ السَّاحة: الفِناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور.

وسوء الصباح: مستعمل في ورودِ الغارات والرَّزايا.

ومقصد الآية: التهديد بعذابٍ يحُلُّ بهم بعد أن أُنذِروا فلم ينفعهم الإنذار، وذلك تمثيلٌ بقوم أنذرهم ناصحٌ بأن جيشًا يحُلُّ بهم فلم يقبلوا نصحه، حتى جاءهم الجيش فأهلكهم.

﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرَّر الأمرَ بالتولِّي عنهم والوعدَ والوعيدَ على وجه التأكيد.

وقيل: أراد بالوعيد الأول: عذاب الدنيا، وبالثاني: عذاب الآخرة.

فإن قيل: لم قال أوَّلًا ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، وقال هنا: ﴿وَأَبْصِرْ﴾، فحذف الضمير المفعول؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه اكتفى بذكره أوَّلًا عن ذكره ثانيًا، فحذفه اختصارًا.

والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدَّم وغيرِهم، كأنه قال: «أبصر جميع الكفار»، بخلاف الأول، فإنه في قريش خاصةً.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ نزَّه اللهُ تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالًا كثيرةً شنيعةً.

و﴿ٱلْعِزَّةِ﴾:

إن أراد بها: عزة الله فمعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها.

وإن أراد بها: عزة الأنبياء والمؤمنين فمعنى ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾: مالكُها وخالقها.

ومن هذا قال محمد بن سُحنون[1]: من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفةَ الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين[2].

ثم ختم الله هذه السورة بالسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فأما السلام على المرسلين: فيحتمل أن يريد به:

التحيةَ.

أو سلامتَهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلًا لقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾.

وأما الحمد فيحتمل أن يريد به:

الحمدَ على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك.

---

(١) محمد بن سُحنون - واسمه عبد السلام - بن سعيد التنوخي، ابن الفقيه المالكي المعروف، تفقه بأبيه، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). الديباج المذهب (٢/ ١٦٩).
(٢) انظر: النوادر والزيادات، لابن أبي زيد القيرواني (٤/ ١٥).

ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق[١].

* * *

(١) جاء في ب هنا: «كمل تفسير «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم قوي معين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مباركًا فيه».
وجاء في ج هكذا: «كمل تفسير سورة «والصافات»، وبتمامها تم جميع الربع من «كهيعص» من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته والتابعين من بعده وسلم تسليمًا، والحمد لله، ثم يتلو هذه سورة «ص»، رزقنا الله العون والقوة إنه حليم كريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿ سورة داود عليه السلام[(١)] ﴾

[﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم
مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ
كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ
وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا
ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ
عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ
فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ
وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن
كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾)].

﴿صٓ﴾ تكلمنا في حروف الهجاء في «البقرة»[(٢)].

ويختصُّ بهذا أنه قيل فيه: معناه: «صدَق محمدٌ».

وقيل: هو حرف من اسم الله: «الصمد»، أو «صادق الوعد»، أو «صانع المصنوعات».

---

(١) قال السخاوي في «جمال القراء وكمال الإقراء» (ص: ٩١): «سورة ص»، وتسمى سورة داود عليه السلام».

(٢) انظر (١/ ٢٦١).

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ هذا قسمٌ، جوابه محذوفٌ تقديره: إن القرآن من عند الله، أو إن محمدًا ﷺ لصادق وشبه ذلك.

وقيل: جوابه في قوله ﴿صٓ﴾؛ إذ هو بمعنى: صدَق محمد.

وقيل: جوابه: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾، وهذا بعيد.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ وهذا أبعد.

ومعنى ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾:

ذي الشرف.

أو الذِّكرى بمعنى الموعظة.

أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: قريشًا، و﴿بَلْ﴾ للإضراب عن كلام محذوف، وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس ببرهان بل هو بسبب العزة والشِّقاق.

والعزة هي: التكبر، والشقاق: العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدَّتهما، وتفاقُم الكفار فيهما.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ إخبارٌ يتضمَّن تهديدًا لقريش.

﴿فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك.

و﴿لَاتَ﴾ بمعنى: ليس، وهي «لا» النافية زيدت عليها علامة التأنيث،

كما زيدت في «رُبَّت» و«ثَمَّت»، ولا تدخل «لات» إلَّا على الأزمان، واسمها مضمر، و﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ خبرها، والتقدير: وليس الحينُ الذين دعوا فيه حينَ مناص.

والمناصُ: المفرُّ والنجاة، من قولك: ناص ينوص إذا فرَّ.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر: محمد ﷺ؛ أي: استبعدوا أن بَعث الله رسولًا منهم.

ويَحتمل:

أن يريد مِن قبيلتهم.

أو يريد من البشر مثلهم.

﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كان الأصل: «وقالوا»، ولكن وضع هذا الظاهر موضع المضمر؛ إظهارًا للغضب، وقصدًا لوصفهم بالكفر.

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ هذا إنكارٌ منهم للتوحيد.

وسبب نزول هذه الآيات: أن قريشًا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كُفَّ ابن أخيك عنَّا، فإنه يعيب ديننا ويذمُّ آلهتنا، ويُسَفِّه أحلامنا، فكلَّمه أبو طالب في ذلك، فقال: ﷺ: «إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتَدين لهم بها العرب»، فقالوا: نعمْ، وعشر كلمات معها. فقال: «قولوا لا إله إلا الله»، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدًا[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤١٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في الكبرى (٨/ ٩٠).

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا﴾ ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾: عبارةٌ عن خروجهم عن أبي طالب.

وقيل: عبارةٌ عن تفرُّقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر.

و﴿أَنِ امْشُوا﴾ معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدًا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضًا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان:

أحدهما: إن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد؛ أي: إن هذا التوحيد شيءٌ يراد به الانقيادُ إليه.

والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم؛ أي:

إن هذا شيءٌ ينبغي أن يُراد ويُتمسَّك به.

أو إن هذا شيء يريده الله منا لما قضَى علينا به.

والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه، فيكون الكلام على نسَقٍ واحد.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضًا مما حُكِي من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة.

والمراد بـ ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: ملةُ النصارى؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد.

وقيل: المراد: ملة قريش؛ أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركْنا عليها آباءنا.

وقيل: المراد: الملة المنتظَرة؛ إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكُهَّان أن رسولًا يبعث يكون آخر الأنبياء.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ هذا أيضًا مما حُكي من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام.

ومعنى الاختلاق: الكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنهم أنكروا أن يخصَّ الله محمدًا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ هذا ردٌّ عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان، بل هم في شكٍّ من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا.

ويَحتمل أن يريد بـ ﴿ذِكْرِى﴾: القرآنَ.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ هذا وعيدٌ لهم وتهديد، والمعنى: أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشكُّ، وأذعنوا للحقِّ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة.

والمعنى: أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاؤوا ويمنعوها ممن شاؤوا، بل يعطيها الله لمن يشاء.

ثم وصف نفسه بـ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب يُنعم على من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضًا ردٌّ عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاؤوا؟، بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء.

و﴿أَمْ﴾ الأولى: منقطعة بمعنى «بل» وهمزة الإنكار.

وأما الثانية: فيحتمل:

أن تكون كذلك.

أو تكون عاطفةً معادِلة لما قبلها.

﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هذا تعجيزٌ لهم، وتهكُّمٌ بهم.

ومعنى ﴿يَرْتَقُوا۟﴾ يَصعَدوا، و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ هنا: السلاليم[١] والطرق، وشبه ذلك مما يوصل به إلى العلْوِ.

وقيل: هي أبواب السماء.

والمعنى: إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش ويدبِّروا الملك.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ هذا وعيدٌ بهزيمتهم في القتال، وقد هُزِموا يوم بدر وغيره.

---

(١) في أ، هـ: «السلالم» وهما جمعان صحيحان للكلمة.

و﴿مَّا﴾ هنا: صفةٌ لـ﴿جُندٌ﴾، وفيها معنى التحقير لهم.

والإشارة بـ﴿هُنَالِكَ﴾: إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر والاستهزاء.

وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب، وهذا بعيد.

وقيل: الإشارة إلى موضع بدر.

و﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا للباطل فهَلكوا.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال ابن عباس: كانت له أوتادٌ وخشب يلعب بها وعليها.

وقيل: كان له أوتاد يُسمِّرها في الناس لقتلهم.

وقيل: أراد المبانيَ العظام الثابتة، ورجحه ابن عطية[١].

وقال الزمخشري: إن ذلك استعارةٌ في ثبات الملك كقول القائل:

.... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ[٢]

﴿وَأَصْحَٰبُ لَيْكَةِ﴾ قد ذُكِر[٣].

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٢٨).

(٢) الكشاف (١٣/ ٢٤٣)، وهذا عجز بيت للأسود بن يَعفُر النهشلي كما في ديوانه (ص: ٢٧)، وصدر البيت: «ولقد غَنوا فيها بأنعم عيشةٍ».

(٣) انظر صفحة ٣٧٨.

[﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾].

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ ﴿يَنظُرُ﴾ هنا بمعنى: ينتظر، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: قريشًا.

والصيحة الواحدة: النفخة في الصور، وهي نفخة الصعق.

وقيل: الصيحة: عبارةٌ عما أصابهم من قتل وشدائد.

والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي ﷺ(١).

﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: ما لها من رجوع؛ أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا، وهو على

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٣٣).

هذا مشتقٌ من الإفاقة.

الثاني: ما لها من تَرداد؛ أي: إنما هي واحدةٌ لا ثانية لها.

الثالث: ما لها من تأخيرٍ ولا توقُّفٍ مقدارَ فُوَاقِ ناقةٍ، وهي ما بين حَلْبَتَي اللبن.

وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة ﴿فُوَاقٍ﴾ بالضم؛ لأن فُواق الناقة بالضم، والقولان الأولان على الفتح والضم.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ القِطُّ في اللغة له معنيان:

أحدها: الكتاب.

والآخر: النصيب.

وفي معناه هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: نصيبنا من الخير؛ أي: دعوا أن يعجّله الله لهم في الدنيا.

والآخر: نصيبهم من العذاب، فهو كقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء».

والثالث: صحائف أعمالنا.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ الأيدُ: القوة، وكان داود جمع قوةَ البدن والقوةَ في الدين، والملكَ والجنود.

والأوَّاب: الرجّاع إلى الله.

فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار

وبين أمره له بذكر داود؟

فالجواب عندي: أن ذِكْر داود ومن ذُكِر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسليةٌ للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعدٌ له بالنصر وتفريج الكُرَب، وإعانةٌ له على ما أُمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدَّة ملكه، وإعطائه الحكمة وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه[1] يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم؛ كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذَكر مَن ذَكر بعد ذلك من الأنبياء.

والمقصد: ذكر الإنعام عليهم؛ لتقوية قلب النبي ﷺ.

وأيضًا فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرَّجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمدًا ﷺ بذكرهم؛ ليُعْلمه أنه يفرّج عنه ما يلقى من إذاية قومه، ويُعْقِبُها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال ابن عطية: المعنى: واذكر داود ذا الأيد في الدين؛ فتأسَّ به وتأيَّدْ كما تأيَّدَ[2].

وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ: اصبر على ما يقولون، وعظِّمْ أمر المعصية في أعين الكفار بذِكْر قصة داود،

---

(١) في ب، ج: «فإنه».

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٠).

وذلك أنه نبيٌّ كريم عند الله ثم زلَّ زلة فوبَّخه الله عليها فاستغفر وأناب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟[١].

وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود ﷺ؛ حيث جعله مثالًا يهدِّد الله به الكفار، وصرَّح بأنه زلَّ وأن الله وبَّخه على زلته، ومعاذ الله مِنْ ذِكْرِ الأنبياء بمثل هذا!.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ يعني: وقتَ الإشراق وهو حين تُشرِق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى، وأما شُروقها: فطلوعها.

﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: مجموعةً.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: كلٌّ مسبِّحٌ لأجل تسبيح داود.

ويَحتمل أن يكون ﴿أَوَّابٌ﴾ هنا بمعنى: رجَّاع؛ أي: يَرجع إلى أمره.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: يعني: النبوة.

وقيل: العلم والفَهم.

وقيل: الزبور.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ ابن عباس: هو فصل القضاء بين الناس بالحق.

عليُّ بن أبي طالب: هو إيجاب اليمين على المدَّعَى عليه، والبينة على المدَّعِي.

وقيل: أراد قول: «أما بعد» فإنه أول من قالها.

---

(١) الكشاف (١٣/٢٤٦-٢٤٧).

وقال الزمخشري: معنى فصل الخطاب: البيِّن من الكلام الذي يفهمه مَن يُخاطَب به[(١)].

وهذا المعنى اختارَ[(٢)] ابنُ عطية، وجعله من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ [الطارق: ١٣][(٣)].

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام؛ تنبيهًا للمخاطَب ودلالةً على أنها من الأخبار العجيبة، التي ينبغي أن يُلقَى البالُ لها.

والخصم: يقع على الواحد والاثنين والجماعة، كقولك: عَدْلٌ وزَوْرٌ.

واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنهما جبريل وميكائيل، بعثهم الله؛ ليضرب بهم المثل لداود في نازلةٍ وقَع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعةٌ عليه في نازلته، ولما شعَر وفهِم المراد أناب واستغفر، وسنذكر القصة بعد هذا.

ومعنى ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ عَلَوْا على سُوره ودخلوه.

والمحراب: الموضعَ الأرفع من القصر، أو المسجد، وهو موضع التعبد.

ويحتمل أن يكون المتسوِّر للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٥٣).

(٢) في ج، د، هـ: «اختيار».

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٣٣٢).

إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضمائر في ﴿تَسَوَّرُواْ﴾، و﴿دَخَلُواْ﴾، و﴿فَزِعَ منهم﴾: على وجه التجوُّزِ والعبارةِ عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائزٌ على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان.

ويحتمل أنه جاءه مع كل واحد من الخصمين جماعةٌ فيقع على جميعهم خصمٌ، وتجيء الضمائر المجموعة حقيقةً، وعلى هذا عوَّل الزمخشري[1].

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ هنا: ﴿تَسَوَّرُواْ﴾.

وقيل: هي بدلٌ من الأولى.

وأما ﴿إِذْ﴾ الأولى: فالعامل فيها: ﴿أَتَىٰكَ﴾، أو ﴿نَبَؤُاْ﴾.

وردَّ الزمخشري ذلك، وقال: إن العامل فيها محذوفٌ، تقديره: هل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا[2].

وإنما فزع داود منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذن، ودخلوا من غير الباب.

وقيل: إن ذلك كان ليلًا.

﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى ﴿بَغَىٰ﴾: تعدَّى.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ علينا في الحكم، يقال: أشَطَّ الحاكم: إذا جارَ

وقرئ في الشاذ: ﴿لا تَشْطُطْ﴾ بفتح التاء؛: أي: لا تبعد عن الحق، يقال: شطَّ إذا بَعُد.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٢٥٨).

(٢) الكشاف (١٣/ ٢٥٩).

﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: وسَط الطريق، ويعني: القصد والحق الواضح.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ هذا حكاية كلام أحد الخصمين، والأُخوَّة هنا: أُخوَّة الدين.

والنعجة في اللغة: تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن، وهي هنا عبارةٌ عن المرأة، ومعنى ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: مَلِّكْها لي، وأصله: اجعلها في كفالتي.

وقيل: اجعلها كِفْلي؛ أي: نصيبي.

ومعنى ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: غلبني في الكلام والمحاورة، يقال: عزَّ فلانٌ فلانًا: إذا غلبه.

وهذا الكلام تمثيلٌ للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديمًا وحديثًا، حتى قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حدَّث بما يقول هؤلاء القُصَّاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدَّين لما ارتكب مِن حرمة مَن رفَع الله محلَّه».

ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه[1] داود عليه السلام.

روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت[2] لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة

(١) في ب، ج: «تبرئة».
(٢) في ب، ج: «وكان».

رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها ففعل، وتزوَّجها داود ﷺ فوُلِد له منها سليمان ﷺ، وكان لداود تسع وتسعون امرأةً، فبعث الله إليه الملائكة مثالًا لقصته، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ إشارةً إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، ﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ إشارةً إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلَّا تلك المرأة الواحدة، ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ إشارةً إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته.

فأجابهم داود ﷺ بقوله: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسَّم الملَكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعَر أن ذلك عتابٌ من الله له على ما وقع فيه، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ولا تقتضي هذه القصة على هذه الراوية أن داود ﷺ وقع فيما لا يجوز شرعًا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزَّه عنه؛ لعلُوِّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يُعاتَب الفضلاءُ على ما لا يُعاتَب عليه غيرهم، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأيضًا؛ فإنه كان له تسعٌ وتسعون امرأةً، كان غنيًا عن هذه المرأة، فوقع العتاب على الاستكثار من النساء، وإن كان جائزًا.

وروي هذا الخبر على وجه آخر، وهو أن داود ﷺ انفرد يومًا في محرابه للتعبُّد، فدخل عليه طائرٌ من كَوَّةٍ، فوقع بين يديه فأعجبه، فمدَّ يده ليأخذه فطار على الكوة، فصَعِد داود ليأخذه، فرأى من الكوة امرأةً تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأُخبر أنها امرأة رجل من جنده، وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يقدِّم ذلك الرجل

يقاتل عند التابوت، وهو موضع قلَّما يخْلُص أحدٌ منه، فتقدَّم ذلك الرجل فقاتل[١] حتى قتل شهيدًا، فتزوج داود امرأته بعده، فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل، وتزوُّجِه امرأتَه بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأةً سواها.

وقيل: إن داود همَّ بذلك كله ولم يفعلْه، وإنما وقعت المعاتبة على همِّه بذلك.

وروي أن السبب فيما جرى له مثل ذلك: أنه أُعجب بعلمه[٢]، وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه، ففُتِن بتلك القصة.

وروي أيضًا أن السبب في ذلك: أنه تمنَّى منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يُبتلى كما ابتلوا، فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ ﴿سُؤَالِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بـ «إلى»؛ لأنه تضمَّن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافةً أو مضمومة إلى نعاجه.

فإن قيل: كيف قال له داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يَثْبُت عنده ذلك؟

فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك، وحُذف ذكْر اعترافه اختصارًا.

---

(١) في أ: «يقاتل».

(٢) في أ، هـ: «بعمله».

ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ على تقدير صحة قوله.

وقد قيل: إن قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئتَه التي استغفر منها وأناب.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الخُلَطاء: هم الشركاء في الأموال، ولكن الخُلْطة أعمُّ من الشَّركة، ألَا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها.

وقصَد داود بهذا الكلام الوعظَ للخصم الذي بغَى، والتسليةَ بالتأسّي للخصم الذي بُغِيَ عليه.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿مَّا﴾ زائدةٌ للتأكيد.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ظن هنا: بمعنى شعَر بالأمر.

وقيل: بمعنى أيقن.

و﴿فَتَنَّٰهُ﴾ معناه: اختبرناه.

﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى ﴿خَرَّ﴾: ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود:

فقيل: إن الركوع هنا: بمعنى السجود.

وقيل: خرَّ من ركوعه ساجدًا بعد أن ركع.

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾: تاب.

وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا يبكي حتى نبت البقل من دموعه.

وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك، خلافًا للشافعي، إلَّا أنه اختُلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾، أو عند قوله: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾؟.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ الزُّلفى: القُربة والمكانة الرفيعة.

والمآب: المرجع في الآخرة.

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله يا داود.

وخلافة داود: بالنبوة والملك.

قال ابن عطية: لا يقال «خليفةُ الله» إلَّا لنبيٍّ، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفةُ الذي قبله، وقول الناس فيهم: «خليفة الله» تجوُّزٌ[١].



(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٢).

[﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾].

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ أي: عبثًا، بل خلقها الله بالحق؛ للاعتبار بها والاستدلال على خالقها.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خِلْقة السموات والأرض عندهم باطلًا لغير الحكمة؛ فإن الحكمة في ذلك إنما تظهر في الجزاء الأخراوي(١).

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهاميةٌ يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل أحد بعمله؛ لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلالٌ على الحشر والجزاء، وفيه أيضًا وعد(٢) ووعيد.

---

(١) في ب، هـ: «الأخروي».

(٢) في ب، ج: «وعظ».

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: جمع صافن، وهو الفرس الذي يرفع إحدى يديه أو رجليه، ويقف على طرف الأخرى.

وقيل: الصافن: هو الذي يسوِّي يديه.

والصَّفن علامةٌ على فَراهة الفرس.

و﴿الْجِيَادُ﴾: السريعة الجري.

واختلف الناس في قصص هذه الآية:

فقال الجمهور: إن سليمان عليه السلام عُرِضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه، وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر، وكانت ذوات أجنحة، وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر، فتشاغل بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العشي، وقيل: العصر، فأَسِف لذلك، وقال: ردوا عليَّ الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف حتى عقرها؛ لما كانت سبب فوْت الصلاة، ولم يترك منها إلَّا اليسير، فأبدله الله أسرع منها، وهي الريح.

وأنكر بعض العلماء هذه الرواية، وقال: تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان، وعَقْرُ الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام؟ وأيُّ ذنب للخيل في تفويت الصلاة.

فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعةٍ، فعقرها تقرُّبًا إلى الله.

وقال بعضهم: لم تفته صلاةٌ، ولا عَقَر الخيلَ، بل كان يصلي فعُرِضت عليه الخيل، فأشار إليهم فأزالوها حتى دخلت اصطبلاتها، فلما فرَغ من الصلاة قال: «ردُّوها عليَّ» فطفق يمسح عليها بيده كرامةً لها ومحبة.

وقيل: إن المسح عليها كان وسْمًا في سُوقها وأعناقها بوسم: «حَبْسٌ في سبيل الله».

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة:

فأما الذين قالوا: إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها حتى فاتته الصلاة: فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الخير هنا: يراد به الخيل، وزعموا أنه يقال للخيل خيرٌ، و﴿أَحْبَبْتُ﴾ بمعنى: آثرتُ، أو بمعنى فعلٍ يتعدَّى بـ «عن»؛ كأنه قال: آثرت حب الخيل فشَغلني عن ذكر ربي.

والآخر: أن الخير هنا: يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مالٌ، فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] أي: مالًا.

والثالث: أن المفعول محذوفٌ، و﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ مصدرٌ، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير، فشغلني عن ذكر ربي.

وأما الذين قالوا: كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى: أنه قال: إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، فشَغلني ذلك عن النظر إلى الخيل.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدَّم ذكرُها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذِكْر العشيِّ يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس.

وقيل: الضمير للخيل، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾: دخلت اصطبلاتها.

والأول أشهر وأظهر.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا عليَّ الخيل.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ السُّوق: جمع ساق، يعني: سوقَ الخيل وأعناقَها؛ أي: جعل يمسحها مسحًا.

وهذا المسح مختلفٌ على حسَب الاختلاف المتقدِّم: هل هو قَطْعُها وعقرها؟ أو مَسْحُها باليد محبةً لها؟، أو وَسْمُها بالتحبيس[١].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسَب الاختلاف في قصَّتها، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أن سليمان كان له خاتَم مُلْكِه، وكان فيه اسم الله[٢]، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء؛ توقيرًا لاسم الله تعالى، فنزعه يومًا ودفعه إلى جاريته، فتمثَّل لها جنيٌّ في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر، فقعد على كرسيِّ سليمان يأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فارًّا بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتًا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنيُّ قد رماه في البحر، فلبِس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه.

ففتنة سليمان على هذا: هي ما جرى له من سلْب ملكه.

والجسد الذي أُلقي على كرسيه: هو الجنيُّ الذي قعد عليه، وسماه

(١) في ب، ج: «للتحبيس».
(٢) في هامش ب زيادة: «الأعظم».

جسدًا؛ لأنه تصوَّر في صورة إنسان.

ومعنى ﴿أَنَابَ﴾:

رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء.

أو رجع إلى ملكه.

والقول الثاني: أن سليمان كانت له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكًا كافرًا قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنمًا معبودًا في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يومًا، فلما علم به كسره.

فالفتنة على هذا: عمل الصورة.

والجسد: هو الصورة.

والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد، وكان يحبه حبًّا شديدًا، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السُّخْرة أبدًا، فلم يشعر إلَّا وولده ميت على كرسيِّه.

فالفتنة على هذا: حبُّه في الولد.

والجسد: هو الولد لما مات، وسمي جسدًا؛ لأنه جسد بلا روح.

والقول الرابع: أنه قال: «لأطوفن الليلة على مئة امرأة، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فلم تحمل واحدةٌ منهنَّ إلَّا واحدة جاءت بشقِّ إنسان.

فالفتنة على هذا: كونه لم يقل: «إن شاء الله».

والجسد: هو شِقُّ الإنسان الذي وُلِد له.

فأما القول الأول: فضعيفٌ من طريق النقل، مع أنه يَبعد ما ذُكِر فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه.

وأما القول الثاني: فضعيفٌ أيضًا، مع أنه يَبعد أن يُعْبَد صنمٌ في بيت نبيٍّ، أو يأمر نبي بعمل صنم.

وأما القول الثالث: فضعيفٌ أيضًا.

وأما القول الرابع: فقد روي في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ[1] لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ قدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهمَّ من الدنيا، فقدَّم الأَولى والأهمَّ.

فإن قيل: لأيِّ شيءٍ قال: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحَجَّاج: إنه كان حسودًا[2]؟

فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجريَ عليه مثل ما جرى من أَخْذ الجني لملكه، فقصَد أن لا يُسلَب ملكه عنه في حياته ويصيرَ إلى غيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ٣٤٩): «وروي في مثالب الحجاج بن يوسف أنه لما قرأ هذه الآية قال: «لقد كان حسودًا»، وهذا من فسْق الحجاج».

والآخر: أنه طلب ذلك لتكون[١] معجزة، دلالة على نبوته.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ معنى ﴿رُخَآءً﴾: لينةً طيبة.

وقيل: مطيعةً[٢] له.

وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] في «الأنبياء»[٣].

و﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصد وأراد.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ معطوف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾.

أي: سخَّرنا له الريح والشياطين من يبني منهم ومن يغوص في البحر.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ أي: آخرين من الجنِّ مُوثَقِين في القيود والأغلال.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارةُ إلى الملك الذي أعطاه الله، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت.

وقيل: المعنى: امنن على من شئت من الجنِّ بالإطلاق[٤] من القيود، وأمسك من شئت منهم في القيود.

---

(١) في أ، هـ: «ليكون».

(٢) في أ: «طائعة»، وفي هـ: «طيِّعة»

(٣) انظر صفحة ١٦١.

(٤) في أ، هـ: «بإطلاق».

والأوّل أحسن، وهو قول ابن عباس.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يَحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أنه لا يُحاسَب في الآخرة على ما فَعل.

والآخر: بغير تضييقٍ عليه[١] في الملك.

والثالث: بغير حساب ولا عدد، بل خارج عن الحصْر.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قد ذُكر في قصة داود.



(١) في د: «عليك».

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ
هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾
وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ
ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا
الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً
لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا
وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ
﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ
﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا
هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾
أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في «الأنبياء»(١).

والنُّصْبُ: يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد، وبفتحهما، ومعناه واحد: وهو المشقة.

فإن قيل: لم نَسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟

---

(١) انظر صفحة ١٦٢.

فالجواب: من أربعة أوجه:

أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرًا فلم يغيِّره.

وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جارَه منها شيئًا.

والثاني: أنه أراد: ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع[1] عنه وسوسة الشيطان بذلك.

والثالث: أنه روي أن الله سلط الشيطان عليه ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنَسب ذلك إلى الشيطان؛ لتسليط الشيطان عليه.

والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدةً أذهبتُ ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب، فقال لها: «ذلك عدوُّ الله الشيطان»، وحينئذ دعا.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير: «قلنا له: اركض برجلك»، فضرَب الأرض برجله فنبَعت له عينُ ماءٍ صافيةٌ باردة، فشرب منها فذهب[2] كلُّ مرض كان داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده.

وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان، فشرب من أحدهما،

---

(١) في أ، ب، هـ: «يرفع».

(٢) في ب: «فأذهب الله».

واغتسل من الأخرى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ ذُكر في «الأنبياء»[(١)].

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ الضِّغْثُ: القبضة من القُضبان.

وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مئة سوط إذا برئ من مرضه، وكان سببُ ذلك ما ذكرته له من لقاءِ الشيطان وقولِه لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثًا فيه مئة قضيب فيضربَها بها ضربة واحدة فيبرَّ في يمينه.

وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حدِّ رجل زنى، وكان مريضًا، فأمر رسول الله ﷺ بعِذْقِ نخلةٍ فيه شماريخ مئة، فضُرِب به ضربة واحدة، ذكر ذلك أبو داود والنسائي[(٢)].

وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿ٱلْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ، وذلك عبارةٌ عن قوتهم في الأعمال الصالحة، وإنما عبَّر عن ذلك بالأيدي؛ لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي.

وأما ﴿الْأَبْصَٰرِ﴾ فعبارةٌ عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل: إذا تبيَّنت له الأمور.

وقيل: ﴿ٱلْأَيْدِي﴾ جمع يدٍ بمعنى النعمة، ومعناه: أولوا النِّعَم التي

(١) انظر صفحة ١٦٣.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، أبو داود (٤٤٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٣).

أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة، وهذا ضعيف؛ لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما تجمع[١] على أيادي.

وقرأ ابن مسعود: «أولوا الأيد»، بغير ياء، فيحتمل:

أن تكون «الأيدي» محذوفةَ الياء.

أو يكون الأيد بمعنى القوة، كقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾.

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ معنى ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾: جعلناهم خالصين لنا.

أو خصَصناهم[٢] دون غيرهم.

و﴿خَالِصَةٍ﴾ صفةٌ حذف موصوفها، تقديره: بخَصلةٍ خالصةٍ.

وأما الباء في قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾:

فإن كان ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ بمعنى: جعلناهم خالصين: فالباء سببية للتعليل.

وإن كان ﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾ بمعنى خصصناهم: فالباء لتعدية الفعل.

وقرأ نافع بإضافة ﴿خَالِصَةٍ﴾ إلى ﴿ذِكْرَى﴾ من غير تنوين.

وقرأ غيره بالتنوين، على أن تكون ﴿ذِكْرَى﴾ بدلًا من ﴿خَالِصَةٍ﴾ على وجه البيان والتفسير لها.

و﴿ٱلدَّارِ﴾ يحتمل أن يريد به: الآخرة أو الدنيا.

---

(١) في ب، ج، هـ: «يجمع».

(٢) في أ، هـ: «أخلصناهم».

فإن أراد به الآخرة: ففي المعنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ يعني به: ذِكْرَهم للآخرة وحبَّهم فيها.

والآخر: أن معناه: تذكيرُهم للناس بالآخرة، وترغيبهم للناس فيما عند الله.

والثالث: أن معناه: ثواب الآخرة؛ أي: أخصلناهم بأفضل ما في الآخرة.

والأول أظهر.

وإن أراد بالدار الدنيا: **فالمعنى**: حُسْن الثناء والذِّكر الجميل في الدنيا، كقوله: ﴿لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ [الشعراء: ٨٤].

﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ جمع خيِّرٍ بتشديد الياء، أو خَيْرٍ المخفف من خيِّر، كَمَيْت مخفَّف من ميِّت.

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ ذكر في «الأنبياء»[1].

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدَّم في هذه السورة من ذكر الأنبياء.

وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته.

والأول أظهر.

وكأن قولَه: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ ختامٌ للكلام المتقدِّم، ثم شرع بعده في كلام آخر، كما يُتِمُّ المؤلف بابًا ثم يقول: «فهذا باب»، ثم يشرع في آخر.

---

(١) انظر صفحة ١٦٣.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في «الصافات»[١].

﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني: أسنانُهنَّ سواءٌ، يقال: فلان تِرْبُ فلان: إذا كان مثله في السنِّ.

وقيل: يعني: أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواءٌ.

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: ماله من فناءٍ ولا انقضاء.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ تقديره: «الأمر هذا»، لما أتمَّ ذكرَ أهل الجنة ختمَه بقوله: ﴿هَٰذَا﴾، ثم ابتدأ وصف أهل النار.

ويعني بالطَّاغين: الكفار.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿حَمِيمٌ﴾، و﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾: اعتراضٌ بينهما.

والحميم: الماء الحار.

والغَساق: قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار.

وقيل: ما يَسيل من عيونهم.

وقيل: هو عذابٌ لا يعلمه الله.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿ءَاخَرُ﴾ معطوفٌ على ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، تقديره: وعذاب آخرُ، قيل: يعني: الزَّمهرير.

ومعنى ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾: من مثله ونوعه؛ أي: من مثل العذاب المذكور.

---

(١) انظر صفحة ٦٦٥.

و﴿أَزْوَٰجٌ﴾ معناه: أصنافٌ، وهو صفة للحميم والغساق والعذابِ الآخر.

والمعنى: أنها أصنافٌ من العذاب.

وقال ابن عطية: ﴿ءَاخَرُ﴾ مبتدأ، واختُلف في خبره؛ فقيل: تقديره: ولهم عذاب آخر[1].

وقيل: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ مبتدأ، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ خبر ﴿أَزْوَٰجٌ﴾، والجملة خبر ﴿ءَاخَرُ﴾.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبر ﴿ءَاخَرُ﴾، و﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ في موضع الصفة.

وقرئ ﴿أُخَرُ﴾ بالجمع، وهو أليق أن يكون ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ خبره؛ لأنه جمعٌ مثله.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: جماعة من الناس.

والمقتحم: الداخل في زحامٍ وشدة.

وهذا من كلام خزَنة النار، خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أوَّلًا، ثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه.

وقيل: هو كلام أهل النار بعضهم لبعض.

والأول أظهر.

﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا يَلقون رُحْبًا ولا خيرًا، وهو دعاءٌ من كلام رؤساء

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٥٨).

الكفار؛ أي: لا مرحبًا بالفوج الذين هم أتباعٌ لهم.

﴿قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ هذا حكايةُ كلام الأتباع للرؤساء، لما قالوا لهم: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أجابوهم بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع خطابًا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾.

والضمير في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب، ومعنى ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾: أوجبتموه لنا بما قدَّمتم في الدنيا من إغوائنا، وأمْرِكم لنا بالكفر.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ هذا أيضًا من كلام الأتباع، دعوا إلى الله تعالى أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

والضِّعف: زيادة المثل.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ الضمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ لرؤساء الكفار.

وقيل: للطَّاغين.

والرجال: هم ضعفاء المؤمنين.

فقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم: عمّار، وبلال، وصهيب، وأمثالهم.

واللفظ أعم من ذلك.

والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى في النار رجالًا كنا في الدنيا نعدُّهم من الأشرار.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قرئ ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بهمزة قطع، ومعناها: توبيخُ أنفسِهم على اتخاذهم المؤمنين سُخريًا.

وقرئ بألف وصلٍ، على أن تكون الجملة صفة للرجال.

وقرئ ﴿سُخْرِيًّا﴾:

بضم السين: من التَّسخير؛ بمعنى الخدمة.

وبالكسر: من معنى الاستهزاء.

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هذا يَحتمل ثلاثةَ أوجه:

أحدها: أن يكون معادِلًا لقولهم: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم؟ فهم ليسوا فيها؟، أم هم فيها ولكن زاغت عنه أبصارنا؟

ومعنى ﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ﴾: مالتْ فلم ترهم[1].

الثاني: أن يكون معادلًا لقولهم: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سُخْرِيًّا﴾، والمعنى: أتخذناهم سُخريًا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا؟

ومعنى زاغت الأبصار على هذا: مالت عن النظر إليهم؛ احتقارًا لهم.

---

(١) في أ، هـ: «نرهم».

الثالث: أن تكون «أم» منقطعةً بمعنى «بل» والهمزة، فلا تعادل شيئًا ما قبلها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارةُ إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسَّره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

وإعراب ﴿تَخَاصُمُ﴾:

بدلٌ من ﴿لَحَقٌّ﴾.

أو خبر مبتدأ مضمر.



﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ
بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى
خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا
مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى
مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ
ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ
فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ النبأ: الخبر، ويعني به: ما تضمَّنته الشريعة من التوحيد والرسالة والدار الآخرة.

وقيل: يعني: القرآن.

وقيل: يوم القيامة.

والأول أعم وأرجح.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الملأ الأعلى: هم الملائكة.

ومقصد الآية: الاحتجاج على نبوَّة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمُها قبل ذلك.

والضمير في ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ للملإ الأعلى، واختصامهم: هو في قصة آدم حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: ٣٠] حسَبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ رأى ربه فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟، فقال: لا أدري، قال: في الكفارات، وهي: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد» الحديثَ بطوله(١).

وقيل: الضمير في ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ للكفار؛ أي: يختصمون في الملإ الأعلى فيقول بعضهم: هم بنات الله، ويقول آخرون: هم آلهة تعبد. وهذا بعيد.

﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١﴾ ﴿إِذۡ قَالَ﴾ بدلٌ من ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾.

وقد ذكَرنا في «البقرة» معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس(٢).

وذكرنا في «الحجر» معنى قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾(٣).

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لله ﷻ، و﴿بِيَدَيَّۖ﴾: من المتشابه الذي ينبغي الإيمان به، وتسليمُ عِلْمِ حقيقته إلى الله.

وقال المتأوِّلون: هو عبارةٌ عن القدرة(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣).

(٢) انظر (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر (٢/ ٧١٩).

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البراك ٢/ ١٩٥.

وقال القاضي أبو بكر ابنُ الطيب: إن اليد والعين والوجه صفاتُ ذاتٍ زائدةٌ على الصفات المتقرّرة.

قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه[١].

وحكى الزمخشري: أن معنى ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: خلقتُ بغير واسطة[٢].

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل، و﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ.

والمعنى: أستكبرت الآن أم كنت قديمًا ممن يعلو ويستكبر؟، وهذا على جهة التوبيخ له.

﴿رَجِيمٌ﴾ أي: لعينٌ مطرود.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ يعني: القيامة، وقد تقدَّم الكلام على ذلك في «الحجر»[٣].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ الباء للقسم، أي: أقسم إبليس بعزَّة الله أن يُغوِي بني آدم.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ هنا: لله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٤).

(٢) الكشاف (١٣/ ٣٢٤).

(٣) انظر (٢/ ٧١٩).

و﴿الْحَقَّ﴾ الأول: مُقسَمٌ[١] به، وهو منصوب بفعل مضمرٍ، كقولك: «اللهَ لأفعلنَّ»، وجوابه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر تقديره: الحقُّ يميني.

وأما ﴿الْحَقَّ﴾ الثاني: فهو مفعولٌ بـ ﴿أَقُولُ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراضٍ بين القسَم وجوابه، على وجه التأكيد للقسم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: لتعلمُنَّ صدق خبره بعد حين.

والحينُ:

يوم القيامة.

أو موتهم.

أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.



---

(١) في ب، ج: «المقسم».

﴿ سورة الزمر ﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن
تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا
يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾].

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾.

أو خبر ابتداء مضمر تقديره: «هذا تنزيل»، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على هذا الوجه: يتعلق بـ ﴿تَنزِيلُ﴾.

أو يكون خبرًا بعد خبر.

أو خبر مبتدإ آخَرَ محذوفٍ.

و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: القرآن، أو السورة.

واختار ابن عطية أن يراد به: جنس الكتب المنزلة[1].

وأما ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الثاني: فهو القرآن باتفاق.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يَحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون معناه: متضمِّنًا الحقَّ.

والثاني: أن يكون معناه: بالاستحقاق والوجوب.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ قيل: معناه: مِن حقِّه ومِن واجبه أن يكون له الدين الخالص.

ويحتمل أن يكون معناه: أن الدين الخالص هو دين الله وهو[2] الإسلام، الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٦٩).

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من ج.

معنى ﴿ٱلۡخَالِصُۚ﴾: الصافي عن شوائب الشرك.

وقال قتادة: الدين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال الحسن: هو الإسلام، وهذا أرجح؛ لعمومه.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يريد بالأولياء: الشركاءَ المعبودين.

ويحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾:

الكفارَ العابدين لهم.

أو الشركاء المعبودين.

والأول أظهر؛ لأنه يُحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ عائدًا على غير مذكور.

وارتفاع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على الوجهين بالابتداء، وخبره:

إما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

أو المحذوفُ المقدَّر قبلَ قوله: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾؛ لأن تقديره: «يقولون ما نعبدهم».

والأول أرجح؛ لأن المعنى به أكمل.

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ هذه الجملة في موضع معمولِ قولٍ محذوف، والقول في موضع الحال، أو في موضع بدل من صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

وقرأ ابن مسعود: «قالوا ما نعبدهم» بإظهار القول.

أي: يقول الكفار: ما نعبد هذه الآلهة إلَّا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك: الكفار الذين عبدوا الملائكة.

أو الذين عبدوا الأصنام.

أو الذين عبدوا عيسى أو عزيرًا.

فإن جميعَهم قالوا هذه المقالة.

ومعنى ﴿زُلْفَىٰٓ﴾: قربى، فهو مصدرٌ من ﴿يُقَرِّبُونَا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارةٌ إلى كذبهم في قولهم: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿لَا يَهْدِى﴾ في تأويله وجهان:

أحدهما: لا يهديه في حال كفره.

والثاني: أن ذلك مختصٌّ بمن قضَى عليه بالموت على الكفر.

وهذا تأويل: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ و﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ حيثما وقع.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ الولَد يكون على وجهين:

أحدهما: بالوِلادة الحقيقية، وهذا محالٌ على الله تعالى، لا يجوز في العقل.

والثاني: التبنِّي، بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدًا؛ لإفراط محبته له، وذلك ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩٢] يعمُّ نفْيَ الوجهين.

فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية[١] : لو أراد الله أن يتخذ ولدًا على وجه التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يُرد ذلك ولا فعله.

وقال الزمخشري: معناه: لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك، ولكنه يصطفي من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب، لا على وجه اتخاذه ولدًا، فاصطفى الملائكة وشرَّفهم بالتقريب، فحَسِبَ الكفار أنهم أولادُه، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثًا، فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته[٢].

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ نزَّه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد؛ لأن الوَحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه، ولا جنسَ له؛ لأنه واحد.

ووصف نفسه بالقهار؛ ليدلَّ على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهورٌ تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكًا له؟

ثم أَتبع ذلك بما ذكره من خِلْقة السموات والأرض وغيرهما؛ لتدلَّ على وحدانيته وقدرته وعظمته.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ التَّكوير: اللَّفُّ واللَّيُّ، ومنه: كَوْرُ العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارةٌ.

ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأنَّ الذي يطول

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧١).

(٢) الكشاف (١٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءٌ فيستره، وكأن الذي يَقصر يدخل في الذي يطول فيستتر فيه[١].

ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيِّب الآخرَ إذا طرأ عليه، فشُبِّه في ستره له بثوب يلفُّ على آخر.

﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء، خلقها من ضِلَعِ آدم.

فإن قيل: كيف عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ﴾ على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شكَّ أن خِلْقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - وهو المختار -: أن العطف إنما هو على معنى قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ لا على ﴿خَلَقَكُمْ﴾، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدةً، ثم خلق منها زوجها بعد وَحْدتِها.

الثاني: أن «ثم» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود.

الثالث: أنه يعني بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ إخراجَ بني آدم من صلب أبيهم كالذرِّ، وكان ذلك قبل خِلْقة حواء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ يعني: المذكورةَ[٢] في «الأنعام»:

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٧٢).

(٢) في أ، هـ: «المذكورين».

﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وسماها أزواجًا؛ لأن الذكر زوج الأنثى[1] والأنثى زوج الذكر[2].

وأما لفظ ﴿وَأَنزَلَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أوَّل هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض.

الثاني: أن معنى ﴿وَأَنزَلَ﴾: قضى وقسم، فالإنزال عبارةٌ عن نزول أمره وقضائه.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات، فتعيش منه هذه الأنعام، فعبَّر بإنزالها عن إنزال رزقها، وهذا بعيد.

﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ يعني: أن الإنسان يكون نطفةً، ثم علقة، ثم مضغة، إلى أن يتمَّ خلقه، ثم ينفخ فيه الروح.

﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ هي: البطن والرَّحِم والمشِيمة.

وقيل: صلب الأب والرحم والمشيمة.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ ولم يذكر الصُّلب.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ أي: لا يضرُّه كفرُكم.

﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ تأوَّل الأشعرية هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ ﴿عِبَادِهِۦ﴾ من قضى الله

---

(١) في ب، د: «للأنثى».

(٢) في ب، د: «للذكر».

له بالإيمان والوفاةِ عليه، فهو كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

والآخر: أن الرضا غيرُ الإرادة، والعباد على هذا: على العموم، أي: لا يرضى الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم، فهو لم يرضه دينًا ولا شرعًا، وأراده وقوعًا ووجودًا.

وأما المعتزلة: فالرضا عندهم: بمعنى الإرادة، والعباد على العموم؛ جريًا على قاعدتهم في القدر وأفعال العباد(١).

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عمومٌ، والشكر الحقيقي يتضمَّن الإيمان.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ذكر في «الإسراء»(٢).

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ الآيةَ؛ يراد بالإنسان هنا: الكافر؛ بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

والقصد بهذه الآية: عتابٌ وإقامة حجة، فالعتاب: على الكفر وترك دعاء الله، وإقامة الحجة: على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد.

فإن قيل: لم قال هنا: ﴿وَإِذَا مَسَّ﴾ بالواو وقال بعد هذا: ﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ بالفاء؟

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: ذكر المصنف الوجهين عن الأشاعرة، ولم يرجح، والصواب هو القول الثاني، وهو أن الرضا غير الإرادة، وأنه لا تلازم بين الرضا والإرادة الكونية، وعلى هذا فالله لا يرضى الكفر لأحد من عباده، وإن كان قد يشاؤه من بعضهم، فالكافر قد شاء الله منه الكفر، وإن كان لا يرضاه، وهذا يوافق قول أهل السنة.

(٢) انظر (٢/ ٧٩٨).

فالجواب: أن الذي بالفاء مسبَّبٌ عن قوله: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، فجاء بفاء السببية[١]. قاله الزمخشري[٢]، وهو بعيد.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةً مِّنۡهُ﴾ معنى ﴿خَوَّلَهُۥ﴾: أعطاه.

والنعمة هنا: يحتمل أن يريد بها:

كشفَ الضر المذكور.

أو أيَّ نعمةٍ كانت.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾:

مصدريةً؛ أي: نسي دعاءه.

أو تكون بمعنى «الذي»، والمراد بها: الله تعالى.

﴿أَمَنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بتخفيف الميم، على إدخال همزة الاستفهام على «مَن».

وقيل: هي همزة النداء.

والأول أظهر.

وقرئ بتشديدها، على إدخال «أم» على «مَن» و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوفٌ، وهو المعادِل للاستفهام، تقديره: «أمَّن هو قانتٌ كغيره»، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذُكِر قبله وما ذكر بعده من قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «التسبيب»، وفي د: «التسبب».

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٠٤).

والقنوت هنا: بمعنى الطاعة، أو الصلاة بالليل.

و﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعاته.



[﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآيةَ؛ نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة.

ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يَحتمل أن يتعلَّق ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾: بـ ﴿أَحْسَنُوا۟﴾، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة.

أو يتعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والحسنة على هذا: حُسْن الحال والعافية[1] في الدنيا.

---

(١) في ب، د: «والعاقبة» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٣٥٣).

والأول أرجح.

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ يراد بها: البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها.

والمقصد من ذلك: حضٌّ على الهجرة.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن الصابر يؤتى أجره، ولا يحاسَب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابرين بغير حصْرٍ بل أكثر من أن يحصر[1] بعددٍ أو وزن، وهذا قول الجمهور.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ اللام هنا يجوز أن تكون: زائدةً.

أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفًا.

فإن قيل: كيف عطف ﴿أُمِرْتُ﴾ على ﴿أُمِرْتُ﴾ والمعنى واحد؟

فالجواب: أن الأول أمرٌ بالعبادة والإخلاص، والثاني أمرٌ بالسَّبْق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان.

وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ ليس تكرارًا لقوله: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾؛ لأن الأول إخبارٌ بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبارٌ بأنه يفعل العبادة.

وقدَّم اسم الله تعالى؛ للحصر واختصاص[2] العبادة به وحده.

---

(١) في أ: «ينحصر»، وفي ب: «يحصى».

(٢) هنا ينتهي سقط الورقة من ج.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ هذا تهديدٌ، ومبالغة في الخذلان والتَّخلية لهم على ما هم عليه.

﴿ظُلَلٌ﴾ جمع ظُلَّة -بالضم-، وهو ما غَشِي من فوق، كالسقف، فقوله: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ بيِّنٌ، وأما: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماه ظُلَّةً؛ لأنه سقفٌ لمن تحتَهم؛ فإن جهنم طبقات.

وقيل: سماه ظلةً؛ لأنه يلتهب ويصعد[1] من أسفلهم إلى فوقهم.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا.

وقيل: نزلت في أبي ذرٍّ، وسلمان، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، والآيةُ مكية.

والأظهر: أنها عامة.

والطاغوت هنا: كلُّ ما عُبد من دون الله.

وقيل: الشياطين.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه: يستمعون القول على العموم، فيتَّبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام.

وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار، وشبه ذلك.

---

(١) في ب، ج: «ويتعقد»!.

وقيل: هو الذي يسمع حديثًا فيه حسَنٌ وقبيح، فيحدِّث بالحسَن ويكفُّ عما سواه، وهذا قول ابن عباس، وهو الأظهر.

وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال؛ والقصد الثناء على هؤلاء ببصائرَ ونظرٍ سديدٍ يفرِّقون به بين الحق والباطل وبين الصواب والخطإ، فيتبعون الأحسن من ذلك(١).

وقال الزمخشري مثل هذا المعنى(٢).

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الكلام جملةً واحدة تقديره: أفمن(٣) حقت(٤) عليه كلمة العذاب أأنت(٥) تنقذه؟ فوضع ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ موضع المضمر.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ هي الهمزة التي في قوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ وهي همزة الإنكار؛ كُرِّرت للتأكيد.

والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه العذاب تتأسَّفُ عليه؟، فحذف الخبر، ثم استأنف قولَه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾؟ وعلى هذا يوقف على ﴿ٱلْعَذَابِ﴾.

والأول أرجح؛ لعدم الإضمار.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٨٣).
(٢) الكشاف (١٣/ ٣٦٢-٣٦٣).
(٣) من هنا يبدأ سقط ورقة من هـ.
(٤) في أ: «حق».
(٥) في ب، ج: «أفانت».

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معنى ﴿سَلَكَهُۥ﴾: أدخله وأجراه.

والينابيع: جمع ينبوع، وهو العين.

وفي هذا دليلٌ على أن ماء العيون من المطر.

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي: أصنافه، كالقمح والأَرُزِّ والفول وغير ذلك.

وقيل: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾: الخضرة والحمرة وشبه ذلك.

وفي الوجهين دليلٌ على الفاعل المختار، وَرَدٌّ على أهل الطبائع.

* * *

[﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب؟

وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام: عليّ بن أبي طالب، وحمزة، والمراد بالقاسية قلوبهم: أبو لهب، وأولاده.

واللفظ أعم من ذلك.

﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ قال الزمخشري: ﴿مِّن﴾ هنا: سببية؛ أي: قلوبهم قاسيةٌ من أجل ذكر الله[1]، وهذا المعنى بعيد.

---

(١) الكشاف (١٣/ ٣٦٨).

ويحتمل عندي: أن يكون «قاسية» تضمَّن معنى: خالية، فلذلك تعدى بـ «مِن»، والمعنى: أن قلوبهم خاليةٌ من ذكر الله.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿كِتَٰبٗا﴾ بدلٌ من ﴿أَحۡسَنَ﴾، أو حالٌ منه.

﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضًا في الفصاحة والنُّطق بالحق، وأنه ليس فيه تناقضٌ ولا اختلاف.

﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مُثَنًّى؛ أي: تثنَّى فيه القصص وتُكرَّر[1].

ويحتمل أن يكون مشتقًّا من الثناء؛ لأنه يُثنى فيه على الله.

فإن قيل: ﴿مَّثَانِيَ﴾ جمعٌ؛ فكيف وُصِف به المفرد؟

فالجواب: أن القرآن ينقسم[2] إلى سور وآيات كثيرة فهو جمعٌ بهذا الاعتبار.

ويجوز أن يكون كقولهم: «بُرْمَةٌ أعشارٌ»، و«ثوبٌ أخلاقٌ».

أو يكون تمييزًا من ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾، كقولك: «حسَنٌ شمائلَ».

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ إن قيل: كيف تعدَّى ﴿تَلِينُ﴾ بـ «إلى»؟

فالجواب: أنه تضمَّن معنى فعلٍ تعدَّى بـ «إلى»، كأنه قال: تميل أو تسكن

(١) في أ: «يثنى.. ويكرر».
(٢) في أ زيادة: «فيه».

أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله.

فإن قيل: لم ذُكرت الجلودُ أوَّلًا وحدها، ثم ذُكرت القلوب بعد ذلك معها؟

فالجواب: أنه لما قال أوَّلًا ﴿تَقۡشَعِرُّ﴾ ذكر الجلود وحدها؛ لأن القُشَعْرِيرةَ مِن وصْفِ الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيًا: ﴿تَلِينُ﴾ ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب: فهو ضدُّ قسوتها، وأما لين الجلود: فهو ضد قُشَعْريرتها، فاقشعرَّت أوَّلًا من الخوف، ثم لانت بالرجاء.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة:

إلى القرآن.

أو إلى الخشية واقشعرار الجلد.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ الخبر محذوفٌ كما تقدم في نظائره، تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمَن هو آمنٌ مِن العذاب؟

ومعنى ﴿يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ﴾: يَلْقَى النار بوجهه؛ ليكفَّها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا لَقِي شيئًا من المخاوف استقبله بيديه، وأيدي هؤلاء مغلولةٌ، فاتَّقوا النار بوجوههم.

﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ أي: ذوقوا جزاءَ ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصبٌ[١]:

على الحال.

أو بفعلٍ مضمر على المدح.

﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضادٌّ ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر.

وقيل: معناه: غير مخلوق.

وقيل: غير ذي لحْنٍ.

فإن قيل: لم قال: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ ولم يقل: «غيرَ مُعْوَجٍّ»؟

فالجواب: أن قوله: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أبلغُ في نفي العِوَج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيءٌ من العوج أصلًا.

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون.

وقيل: متشاحُّون.

وأصله من قولك: رجلٌ شَكِسٌ: إذا كان ضيِّقَ الصدر.

ومعنى ضربِ هذا المثل: بيانُ حال من يشرك بالله ومن يوحِّده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه من يوحِّد الله بمملوك لرجلٍ واحد.

فمعنى قوله: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ أي: خالصًا له.

---

(١) في ب: «نصبهما»، وفي ج: «نصبها».

وقرئ ﴿سَلَمًا﴾ بغير ألف، و﴿سَالِمًا﴾ بألف، والمعنى: واحد.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ في هذا وعدٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعًا وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلَك من كان على الباطل.

وفيه أيضًا إخبارٌ بأنه ﷺ سيموت؛ لئلا[1] يختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته، حتى احتجَّ عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الآية، فرجع إليها.

﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني: الاختصامَ في الدماء.

وقيل: في الحقوق.

والأظهر أنه اختصامُ النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له، فيكون من تمام ما قبله.

ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها.

* * *

(١) في ب، ج: «فلا».

[﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله.

ويريد بالكذب على الله هنا: ما نسبوا له(١) من الشركاء والأولاد.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ أي: كذَّب بالإسلام والشريعة.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قيل: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، وهو الذي صدَّق به.

وقيل: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، والذي صدَّق به: أبو بكر.

---

(١) في أ: «إليه».

وقيل: الذي جاء بالصدق: جبريل، والذي صدَّق به: محمد ﷺ.

وقيل: الذي جاء بالصدق: الأنبياء، والذي صدَّق به: المؤمنون.

واختار ابن عطية أن يكون على العموم، وجعَل ﴿ٱلَّذِى﴾ للجنس، كأنه قال: «الفريق الذي..»؛ لأنه في مقابَلة من كذَب على الله وكذَّب بالصدق، والمراد به العموم[١].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ تقويةٌ لقلب محمد ﷺ، وإزالةٌ للخوف الذي كان الكفار يخوِّفونه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ على التوحيد، وردٌّ على المشركين.

﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ ردٌّ على المشركين، وبرهانٌ على الوحدانية.

وروي أن سببها: أن المشركين خوَّفوا رسول الله ﷺ من آلهتهم، فنزلت الآية مبينةً أنهم لا يقدِرون على شيء.

فإن قيل: كيف قال: ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ﴾ بالتأنيث؟

فالجواب: أنها لا تعقل، فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضًا ففي تأنيثها تحقيرٌ لها وتهكُّمٌ بمن عبدها.

﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديدٌ ومسالمةٌ منسوخة بالسيف.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة[٢].

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٣٩٤).

(٢) انظر صفحة ٧٣٥.

[﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾].

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ هذه الآية[1] اعتبارٌ، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين:

أحدهما: وفاة كاملة حقيقية، وهي الموت.

والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وتقديرها: ويتوفى

(١) في ب، ج، د: «آية».

الأنفس التي لم تمت في منامها.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضى عليها الموتَ الحقيقيَّ.

ومعنى إمساكها: أنه لا يردها إلى الدنيا.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة.

وإرسالها: هو ردُّها إلى الدنيا.

والأجل المسمى: هو أجل الموت الحقيقي.

وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق، والصحيح أن هذا مما استأثر بعلمه الله لقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا: بمعنى «بل» وهمزة الإنكار.

والشُّفعاء: هم الأصنام وغيرها، لقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون؟.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مالكها، فلا يشفع أحدٌ إليه إلَّا بإذنه، وفي هذا ردٌّ على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبُّون الإشراك به.

ومعنى ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: انقبضت من شدة الكراهة.

وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة «النجم»، فألقى الشيطان في أمنيَّته حسَبما ذكرنا في «الحج»[1]، فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزُّوا.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ أي: ظهر لهم يومَ القيامة خلافُ ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنونًا كاذبة.

وقال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧][2].

وقيل: معناها: عملوا أعمالًا حَسِبوها حسناتٍ، فإذا هي سيئات.

وقال الحسن: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية.

وهذا على أنها في المسلمين، والظاهر أنها في الكفار.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ معنى ﴿وَحَاقَ﴾: حلَّ ونزل.

وقال ابن عطية: وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاءُ ما كانوا به يستهزئون[3].

---

(١) انظر صفحة ٢١٢.

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠١).

ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف، وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون إذا خوِّفوا بعذاب الله، ويقولون: متى هذا الوعد؟.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ يَحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد: على علمٍ منِّي بالمكاسب والمنافع.

والآخر: على علمِ الله باستحقاقي لذلك.

و﴿إِنَّمَا﴾ هنا تحتمل وجهين:

أحدهما - وهو الأظهر -: أن تكون «ما» كافةً، و﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في موضع الحال.

والآخر: أن تكون «ما» اسم «إنَّ» و﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ خبرها.

وإنما قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ بالضمير المذكَّر وهو عائد على النعمة؛ للحمل على المعنى.

﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ﴾ ردٌّ على الذي قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾.

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني: قارونَ وغيره.

* * *

[﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ قال علي بن أبي طالب، وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أُحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»[1].

واختُلف في سببها:

فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة.

وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا، ففُتِنوا فافتتنوا، ثم ندموا وظنوا

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٦٢).

أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب، وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي لما جرى له ذلك.

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية، قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زنينا، وقتلنا النفوس؟، فنزلت الآية فيهم.

ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيلٍ نذكره، وذلك أن ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:

إن أراد به الكفار: فقد أجمعت[1] الأمة على أنهم إذا أسلموا غُفر لهم كفرُهم وجميع ذنوبهم؛ لقوله ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما قبله»[2]، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم، بل يخلِّدهم في النار.

وإن أراد به العصاة من المسلمين: فإن العاصيَ إذا تاب غفر الله ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها:

المغفرةَ للكفار إذا أسلموا.

أو للعصاة إذا تابوا.

أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضَّل الله عليهم بالمغفرة.

والظاهر: أنها نزلت في الكفار، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا

---

(١) في ب، ج: «اجتمعت».

(٢) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٧٧)، وأخرجه مسلم (١٢١) بلفظ: «الإسلام يهدم ما كان قبله».

أسلموا، والدليل على أنها في الكفار: ما ذكر بعدها إلى قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ يعني: اتبعوا القرآن، وليس المعنى: أن بعض القرآن أحسنُ من بعض؛ لأنه حسَنٌ كلُّه، وإنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر، ويجتنبوا ما فيه من النواهي، فالتفضيل الذي يقتضيه ﴿أَحْسَنَ﴾ إنما هو في الاتباع.

وقيل: يعني: الناسخ دون المنسوخ، وهذا بعيد.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعولٍ من أجله تقديره: كراهةَ أن تقول نفسٌ.

وإنما نكَّر النفس؛ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفوس الكفار.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حقِّ الله.

وقيل: في أمر الله.

وأصله: من الجنب بمعنى الجانب، ثم استعير لهذا المعنى.

﴿ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين.

﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ للنفس التي حُكِي كلامها، ولا يجاوب[1] بـ «بلى» إلَّا النفي.

وهي هنا جوابٌ لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنه في معنى النفي؛ لأن «لو» حرف امتناع، وتقدير الجواب: بل قد جاءك

(١) في د: «ولا يجاب».

الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب.

وقال ابن عطية: هي جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾؛ فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتَّسع للنظر فقيل له: ﴿بَلَىٰ﴾ على وجه الردِّ عليه[١].

والأول أليق بسياق[٢] الكلام؛ لأن قوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ تفسيرٌ لما تضمنته ﴿بَلَىٰ﴾.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يَحتمل أن يريد:

سوادَ اللون حقيقة.

أو يكون عبارةً عن شدَّة الكرب.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله: من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم.

وقيل: معناه بحسناتهم.

وقيل: بفضائلهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: قائمٌ بتدبير كل شيء.

﴿مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح.

وقيل: خزائن.

واحدها: مِقْلِيد.

وقيل: إقليد.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٠٧).

(٢) في ب، ج: «السياق».

وقيل: لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية.

وقال عثمان بن عفان: سألت رسول الله ﷺ عن مقاليد السموات والأرض فقال: «هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير»[١].

وإن صح هذا الحديث فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السماء[٢] والأرض؛ لأن هذه الكلمات تُوصِل إلى ذلك، فكأنها مفاتح[٣] له.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيةَ، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وما بينهما من الكلام اعتراضٌ[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٤).

(٢) هنا ينتهي السقط من هـ.

(٣) في ج: «مفاتيح»، وفي د: «مفتاح».

(٤) الكشاف (١٣/ ٤٢٣).

[﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ منصوب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾.

﴿تَأْمُرُونِيَ﴾ حذفت إحدى النونين تخفيفًا.

وقرئ بنونين على الأصل.

وقرئ بإدغام إحدى النونين في الأخرى.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دليلٌ على إحباط أعمال المرتد مطلقًا، خلافًا للشافعي في قوله: لا يحبط عمله إلَّا إذا مات على الكفر.

فإن قيل: الموحى إليهم جماعةٌ، والخطاب بقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ لواحد؟

فالجواب: أن المعنى: أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حِدَته.

فإن قيل: كيف خوطب الأنبياء بذلك وهم معصومون من الشرك؟

فالجواب: أن ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: لو وقع منهم شرك

لحبطت أعمالهم، لكنهم لم يقع منهم شركٌ بسبب العصمة.

ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا هم؛ ليدلَّ المعنى على غيرهم بالطريق الأولى.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ تعظيمه، ولا وصفوه بما يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به.

والضمير في ﴿قَدَرُواْ﴾: لقريش.

وقيل: لليهود.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ المقصود بهذا: تعظيمُ جلال الله، والردُّ على الكفار الذين ما قدروا الله حق قدره.

ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات:

فقالت المتأوِّلة: إن القبضة واليمين عبارةٌ عن القدرة.

وقال ابن الطيب: إنها صفات زائدة على صفات الذات.

وأما السلف الصالح فسلَّموا عِلْمَ ذلك إلى الله، ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يَعلم حقيقتَه إلَّا الله[١].

وقد قال ابن عباس ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطوياتٌ، كلٌّ ذلك بيمينه.

---

(١) انظر (٢/ ١٩٥)

وقال ابن عمر ما معناه: أن الأرض في قبضة اليد الواحدة، والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو القرن الذين يَنفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق، وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزَع، ولم تذكر في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: يعني: جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميتهم بعد ذلك.

وقيل: استثنى الأنبياء.

وقيل: الشهداء.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام.

﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظَر.

وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، وإنما وحَّدها؛ لأنه أراد الجنس.

وقيل: هو اللوح المحفوظ.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على قومهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يحتمل أن يكون:

جمع شاهد.

أو جمع شهيد في سبيل الله.

والأول أرجح؛ لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشَّاهدين، والمراد على هذا: أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس.

وقيل: يعني: الملائكة الحفَظة.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق.

* * *

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا
خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿زُمَرًاۖ﴾ في الموضعين: جمع زُمْرة، وهي الجماعة من الناس، وقال ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشدِّ نجم في السماء إضاءةً، ثم هم بعد ذلك منازل»[١].

﴿خَزَنَتُهَآ﴾ جمع خازن حيث وقع.

﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعني: القضاءَ السابق بعذابهم.

﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ إنما قال في الجنة ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بالواو وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة كانت مفتَّحةً قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ على هذا محذوفٌ، وأما أبواب النار فإنما فتحت حين جاؤوها، فوقع قوله: ﴿فُتِحَتۡ﴾ جوابًا للشرط، فكان بغير واو.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثمانية؛ لأن أبواب الجنة ثمانية.

وقيل: الواو زائدة، و﴿فُتِّحَتْ﴾ هو الجواب.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الجنة، والوِراثة هنا: استعارةٌ؛ كأنهم ورثوا موضع[1] من لم يدخل الجنة.

﴿نَتَبَوَّأُ﴾ أي: نَنزِل من الجنة حيث نشاء ونتَّخذه مسكنًا.

﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي: مُحْدِقين به، دائرين حوله.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول.

ويحتمل هنا أن يكون للملائكة.

والقضاء بينهم: توفية أجورهم على حسَب منازلهم.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يَحتمل أن يكون القائل لذلك: الملائكةَ.

أو جميعَ الخلق.

أو أهلَ الجنة؛ لقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].



---

(١) في أ، هـ: «مواضع».

﴿ سورة المؤمن ﴾

[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ
شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ
بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ
فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ
وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن
صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ
ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾].

﴿حمٓ ۝١﴾ تقدَّم الكلام في حروف الهجاء[1].

ويختص[2] ﴿حمٓ ۝١﴾ بأنها قيل: معناها: «حم الأمرُ»، أي قُضِي.

وقال ابن عباس: «ألر» و«حم» و«ن» هي حروف الرحمن.

---

(١) انظر (١/ ٢٦١).

(٢) في ب، ج، د: «وتختص».

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ذكر في «الزمر»[١].

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي الفضل والإنعام.

وقيل: الطَّول: الغنى والسَّعة.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ جعل ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بمعنى: لا يَحزُنك، ففيه تسليةٌ للنبي ﷺ، ووعيدٌ للكفار.

﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يراد به: عاد وثمود وغيرهم.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ أي: يبطلوا به الحق.

﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: وجب قضاؤه.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ﴾.

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، ومعلومٌ أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون بالله؟

فالجواب: أن ذلك إظهارٌ لفضيلة الإيمان وشرَفه، قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدةً أخرى وهي: أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق، لا بالرؤية[٢].

وهذه نزعةٌ[٣] إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله.

---

(١) انظر صفحة ٧٣٤.

(٢) الكشاف (١٣/ ٤٦٤-٤٦٥).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «نزغة» بالغين.

﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ أصل الكلام: وسعتْ رحمتُك وعلمك كلَّ شيء، فالسعة في المعنى مسندةٌ إلى الرحمة والعلم، وإنما أُسنِدتا في اللفظ إلى الله تعالى؛ لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمةٌ وعلمٌ واسعان كلَّ شيء.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ يَحتمل:

أن يكون المعنى: قِهم السيئات نفسَها، بحيث لا يفعلونها.

أو يكون المعنى: قِهم جزاء السيئات، فلا تؤاخذهم بها.



[﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ المقت: البغض الذي يوجبه ذنبٌ أو عيب.

وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار؛ فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي: مقت بعضهم بعضًا، ويَحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبرُ من مقتكم أنفسَكم اليوم.

فقوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مضاف إلى الفاعل، وحُذف المفعول لدلالة مفعول ﴿مَّقْتِكُمْ﴾ عليه.

وقوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرفٌ، العامل فيه: ﴿مَقْتُ الله﴾ من طريق

المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو؛ لأن ﴿مَقْتُ الله﴾ مصدرٌ؛ فلا يجوز أن يُفصَل بينه وبين بعض صلته، فيُحتاج أن يقدَّر للظرف عامل، وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾، والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى.

وقد جعل الزمخشري ﴿مَقْتُ الله﴾ عاملًا في الظرف، ولم يعتبر الفصل[1].

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]:

فالموتة الأولى: عبارةٌ عن كونهم عدمًا، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام، والموتة الثانية: الموت المعروف، والحياة الأولى: حياة الدنيا، والحياة الثانية: حياة البعث في القيامة.

وقيل: الحياة الأولى: حياة الدنيا، والثانية: الحياة في القبر، والموتة الأولى: الموت المعروف، والموتة الثانية: بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد؛ لأنه لا بدَّ من الحياة للبعث فتجيءُ الحياة ثلاثة مرات.

فإن قيل: كيف اتِّصال[2] قولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ بما قبله؟

فالجواب: أنهم كانوا في الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ؛ ليُرضوا اللهَ بإقرارهم حينئذ، فقولهم: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إقرارٌ بالبعث على أكمل الوجوه؛ طمعًا منهم أن

---

(١) الكشاف (١٣/ ٤٧١).

(٢) في أ: «اتصل».

يخرجوا عن المقت الذي مقتهم الله؛ إذ كانوا يُدعون إلى الإيمان فيكفرون.

﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة معناها التّسبيب.

فإن قيل: كيف يكون قولهم: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ سببًا لاعترافهم بالذنوب؟

فالجواب: أنهم كانوا كافرين بالبعث، فلمَّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرَّرَا عليهم علموا أن الله قادرٌ على البعث فاعترفوا بذنوبهم، وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي، فإن مَن لا يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في المعاصي.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ الباء: سببية للتعليل.

والإشارة بـ ﴿ذَٰلِكُم﴾ تحتمل أن تكون:

إلى العذاب الذي هم فيه.

أو إلى مقت الله لهم.

أو مقتهم لأنفسهم.

والأحسن: أن تكون إشارةً إلى ما يقتضيه سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ كأنهم قيل لهم: «لا سبيل إلى الخروج»، فالإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى عدم خروجهم من النار.

﴿يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني: العلامات الدالة عليه؛ من مخلوقاته ومعجزات رسله.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾ يعني: المطر.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى:

مرتفع الدرجات، فيكون بمعنى العليِّ[١].

أو رافع درجات عباده في الجنة[٢] وفي الدنيا.

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ يعني: الوحيَ.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد:

الأمرَ الذي هو واحد الأمور.

أو الأمر بالخير.

فعلى الأول: تكون ﴿مِنْ﴾ للتبعيض، أو لابتداء الغاية.

وعلى الثاني: تكون لابتداء الغاية، أو بمعنى الباء.

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يعني: يوم القيامة.

وسمِّي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه.

وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض.

وقيل: لأنه يلتقي الخلق[٣] مع ربهم.

والفاعل بـ﴿لِيُنذِرَ﴾: ضميرٌ يعود على ﴿مَن يَشَآءُ﴾، أو على ﴿ٱلرُّوحَ﴾، أو على الله.

---

(١) في ب، ج: «العلو».

(٢) في ب: «الآخرة».

(٣) في د، هـ زيادة: «فيه».

﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى؛ تقريرًا للخلق يوم القيامة؛ فيجيبونه ويقولون: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه؛ لأن الخلق يسكتون هيبةً له.

وقيل: إن القائل ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: ملَكٌ.

﴿يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ يعني: القيامة، ومعناه: القريبة.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ معناه: أن القلوب قد صَعِدت من الصدور[1]؛ لشدَّة الخوف حتى بلغت إلى الحناجر، فيحتمل أن يكون ذلك:

حقيقةً.

أو مجازًا عبَّر به عن شدَّة الخوف.

والحناجر: جمع حَنْجَرة، وهي الحلق.

﴿كَٰظِمِينَ﴾ أي: محزونين حُزنًا شديدًا كقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقيل: معناه يكظمون حزنهم؛ أي: يطمعون أن يخفوه، والحال تغلبهم.

وانتصابه على الحال:

من أصحاب القلوب؛ لأن معناه: قلوب الناس.

أو من المفعول في ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «الصدر».

أو من ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾، وجمَعها جمع المذكر؛ لما وصفها بالكَظْم الذي هو من أفعال العقلاء.

﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديقٍ مشفق.

﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون:

نفَى الشفاعةَ وطاعة الشفيع.

أو نفَى طاعة خاصة، كقولك: «ما جاءني رجل صالح» فنفيتَ الصلاح، وإن كان قد جاءك رجل غير صالح.

والأول أحسن؛ لأن الكفار ليس لهم مَن يشفع[1] فيهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي: استراقَ النظر.

والخائنة:

مصدرٌ بمعنى الخيانة.

أو وصفٌ للنظرة.

وهذا الكلام متصل بما تقدَّم من ذكر الله، واعتَرض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

---

(١) في ب، هـ: «مِن شفيع».

[﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾].

﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات.

﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أوّلًا قبل ميلاد موسى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه، ولا يخاف من ذلك إن قتله.

ويظهر من قوله: ﴿ذَرُونِيٓ﴾ أنه كان في الناس مَن ينازعه في قتل موسى، وذلك يدلُّ على أنَّ فرعون كان قد اضطرب أمرُه بظهور معجزات موسى.

﴿وَأَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ يعني: فساد أحوالهم في الدنيا.

وقرئ ﴿وَأَن يُظْهِرَ﴾:

بالواو فقط، وبـ﴿أَوْ﴾».

و﴿يُظْهِرَ﴾:

[أ-] بفتح الياء، ورفع ﴿الفَسَادُ﴾ على الفاعلية.

[ب-] وبضم الياء، ونصب ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ على المفعولية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآيةَ؛ لما سمع موسى ما همَّ به فرعون من قتله، استعاذ بالله فعصمه الله منه.

وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره، وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح.

* * *

[﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ
صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾
يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ
فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ
مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ
يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن
يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى
صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ
كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ
إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾].

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب.

وقيل: حِزْقِيل.

وقيل: شمعان بالشين المعجمة.

وروي أن هذا المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة للمؤمن.

وقيل: كان من بني إسرائيل، فقوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ على هذا يتعلَّق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾.

والأول أرجح؛ لأنه لا يُحتاج فيه إلى تقديم وتأخير، ولقوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ لأن هذا كلامُ قريبٍ شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلَّاء، بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام.

﴿أَن يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: أتقتلونه من أجل أن يقول ربي الله.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: إن كان موسى كاذبًا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلأي شيء تقتلونه؟.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ بعد أن كان قد آمن به؟

فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التَّكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجَّة لقومه، فقسَم أمرَ موسى إلى قسمين؛ ليقيم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجهٍ من القسمين.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ قيل: إن ﴿بَعْضُ﴾ هنا بمعنى: «كل»، وذلك بعيد.

وإنما قال ﴿بَعْضُ﴾ ولم يقل «كل» مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم؛ ليلاطفَهم في الكلام، ويَبعُدَ عن التعصُّب لموسى، ويُظهِرَ النصيحة لقومه، فيَرتجيَ إجابتهم للحق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أوَّلًا.

وقيل: هو موسى عليه السلام، وهذا بعيد، وإنما توهَّموا ذلك لأنه صرَّح هنا بالإيمان، وكان كلام المؤمن أوَّلًا غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه؛ إذ كان يكتم إيمانه.

والجواب: أنه كتم إيمانه في أول الأمر، ثم صرَّح به بعد ذلك، وجاهرهم مجاهرةً ظاهرة؛ لما وثق بالله حسَبما حكى الله من كلامه إلى قوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يعني: يوم القيامة، وسمِّي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضًا؛ أي ينادي أهل الجنة: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] وينادي أهل النار: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: ٥٠].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار.

وقيل: هاربين من النار.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب.

وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب.

والبينات التي جاء بها يوسف: لم تعيَّن لنا.

واختُلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؟؛ لأن كل من ملَك مصر يقال له: «فرعون».

﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ كلام هذا لا يدلُّ على أنهم مؤمنون

برسالة يوسف، وإنما مرادهم: لن يأتيَ أحدٌ يدَّعي الرسالة بعد يوسف، قاله ابن عطية[١].

وقال الزمخشري: إنما هو تكذيبٌ لرسالة مَن بعده مضمومٌ إلى تكذيب رسالته[٢].

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدلٌ من ﴿مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه في معنى الجمع، كأنه قال: كلُّ مسرفٍ.

﴿كَبُرَ مَقۡتًا﴾ فاعل ﴿كَبُرَ﴾: مصدرُ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾[٣].

وقال الزمخشري: الفاعل ضمير ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ﴾[٤].

﴿ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ هنا: الطريق.

وقيل: الأبواب.

وكرَّرها؛ للتفخيم وللبيان.

﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع: عطفٌ على ﴿أَبۡلُغُ﴾.

وبالنصب: بإضمار «أنْ» في جواب ﴿لَّعَلِّيٓ﴾؛ لأن الترجِّيَ غيرُ واجب، فهو كالتمني في انتصاب جوابه، ولا نقول: إن «لعل» أُشْرِبت معنى «ليت» كما قال بعض النحاة.

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).

(٢) الكشاف (١٣/ ٥٠٩).

(٣) أي: كبُرَ جِدالهم مقتًا. المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٢).

(٤) الكشاف (١٣/ ٥١٠).

﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران.

[﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾].

﴿مَتَٰعٌ﴾ أي: يُتمتَّعُ به قليلًا.

فإن قيل: لم كرَّر المؤمن نداءَ قومه مرارًا؟

فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم، وإظهار الملاطفة والنصيحة.

فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ في الثالث دون الثاني؟

فالجواب: أن الثانيَ بيانٌ للأول وتفسير، فلم يصحَّ عطفه عليه، بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصحَّ عطفه.

﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: ليس لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم: نفيُ المعلوم، كأنه قال: «وأشرك به ما ليس بإله»، وإذا لم يكن إلهًا لم يصحَّ علمُ ربوبيته.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى: ليس له قدْرٌ ولا حقٌّ يجب أن يُدْعَى إليه أحدٌ، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطَر له في الدنيا ولا في الآخرة[1].

ويحتمل اللفظ أن يكون معناه: ليس له دعوة قائمة، أي: لا يُدْعَى أحدٌ[2] إلى عبادته.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ دليلٌ على أن مَن فوَّض أمره إلى الله ﷻ كان الله معه.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ﴿ٱلنَّارُ﴾ بدلٌ من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

أو مبتدأ.

أو خبر مبتدإ مضمر.

وعَرْضُهم عليها: من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدَّة البرزخ،

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٤٦).

(٢) في أ، ب، هـ: «يُدعَى»، وفي ج: «يدعو».

بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

واستدلَّ أهلُ السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر.

وروي أن أرواحهم في أجواف طيرٍ سود تروح بهم[(١)] وتغدو إلى النار.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه: في كل غُدْوةٍ وعشيَّةٍ من أيام الدنيا.

وقيل: المعنى: على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل: هلَّا قال: «الذين في النار لخزنتها»؟ فلم صرَّح باسمها؟

فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلًا ليس في ذكْر الضمير.

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ يَحتمل أن يكون:

من كلام خزنة جهنَّم، فيكون متَّصلًا بقولهم: ﴿فَٱدْعُواْ﴾.

أو أن يكون من كلام الله تعالى استئنافًا.

* * *

(١) في ب، ج: «بها».

[﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ
لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى الْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَـٰرِ
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ
السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا الْمُسِىٓءُ
قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ قيل: إن هذا خاصٌّ فيمن أظهره الله على الكفار، وليس بعامٍّ؛ لأن مِن الأنبياء مَن قتله قومه كزكرياءَ ويحيى.

والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكروه: أن زكرياءَ ويحيى لم يكونا من الرسل، وإنما كانا من الأنبياء الذي ليسوا بمرسلين، وإنما ضَمِنَ الله نصر الرسل خاصةً، لا نصر الأنبياء كلِّهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ يعني: يوم القيامة.

و﴿الْأَشْهَـٰدُ﴾ جمع شاهد، أو شهيد.

ويَحتمل أن يكون بمعنى:

الحضور.

أو الشهادة على الناس.

أو الشهادة في سبيل الله.

والأظهر: أنه بمعنى الشهادة على الناس؛ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ يحتمل:

أنهم لا يعتذرون.

أو يعتذرون، ولكن لا تنفعهم معذرتُهم.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] فنفى الاعتذار والانتفاع به.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه.

﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ قيل: العشيُّ: صلاة العصر، والإبكارُ: صلاة الصبح.

وقيل: العشي: بعد العصر إلى الغروب، والإبكار: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: كفارَ قريش.

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبُّرٌ وتعاظمٌ يمنعهم مِن أن يتَّبعوك أو ينقادوا إليك.

وقيل: كِبْرُهم: أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم، ورأوا أنهم أحقُّ بها.

والأول أظهر؛ لأن إرادتَهم النبوةَ لأنفسهم حسدٌ، والأول هو الكِبْرُ.

﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أي: لا يَبلغون ما يقتضيه كِبْرُهم من الظهور عليك، أو من نيل النبوة.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ﴾ أي: استعذ من شرِّهم؛ لأنهم أعداءٌ لك.

أو استعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد.

أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الخلق هنا: مصدر مضاف إلى المفعول.

والمراد بهذا[1]: الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كِبَرِها قادرٌ على إعادة الأجسام بعد فنائها.

وقيل: المراد: توبيخ الكفار المتكبِّرين، كأنه قال: خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فما بال هؤلاء يتكبَّرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم؟.

والأول أرجح؛ لوروده في مواضع من القرآن، ولأنه قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدَّم الدليل، ثم ذكَر المدلول.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ الدعاء هنا: هو الطلب والرغبة، وهذا وعدٌ مقيَّد بالمشيئة، وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب له.

---

(١) في أ، هـ: «به».

وقيل: ﴿ادْعُونِي﴾ هنا: بمعنى اعبدوني؛ بدليل قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، وقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا الآية[(١)]، و﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا القول بمعنى: أغفرْ لكم وأعطيكم أجوركم.

والأول أظهر، ويكون قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ بمعنى: يستكبرون عن الرغبة إليَّ، كما قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضبْ عليه»[(٢)].

وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فمعناه: أن الدعاء والرغبة إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقارُ العبد وتضرُّعه إلى الله.

﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين.

* * *

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٤٤)، وابن ماجه (٣٨٢٧).
(٢) أخرجه أحمد (٩٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٣).

[﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾].

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ ذكر في «يونس»[1].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: المستلَذّات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا متصلٌ بما قبله، قال ذلك ابن عطية[2] والزمخشري[3]، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) انظر (٢/ ٥٥٨).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٤).

(٣) الكشاف (١٣/ ٥٤٠).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولذلك قال ابن عباس: من قال: «لا إله إلا الله» فليقل: «الحمد لله رب العالمين».

ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ استئنافًا.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس، ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ذُكِر الأشُدُّ في سورة «يوسف»[1] عليه السلام.

واللام تتعلَّق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا.

وكذلك ﴿لِتَكُونُوا۟﴾.

وأما ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمتعلِّقٌ بمحذوف آخر تقديره: فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلًا مسمى، وهو الموت، أو يوم القيامة.



(١) انظر (٢/ ٦٢٥).

[﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ
وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا
كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا
كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ يعني: كفار قريش.

وقيل: هم أهل الأهواء، كالقدرية وغيرهم، وهذا مردود بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، إلَّا إن جعلته منقطعًا مما قبله، وذلك بعيد.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ العامل في ﴿إِذِ﴾: ﴿يَعْلَمُونَ﴾.
وجعل الظَّرف الماضيَ موضعَ المستقبل؛ لتحقُّق الأمر.

﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: يُجرُّون، والحميم: الماء الشديد الحرارة.

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هذا من قولك: سجرتُ التنُّور: إذا ملأتَه بالنار، فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرَح، وهو الأشَر والبطَر.

وقيل: الفخر والخيلاء.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: «بئس مدخل الكافرين»؛ لأنه تقدَّم قوله: ﴿ٱدْخُلُوٓا۟﴾؟.

فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثَّواء.

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أصل ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: «إِنْ نُـرِكَ»[1] ودخلت «ما» الزائدة بعد «إنْ» الشرطية.

وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرَّت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشدَّ الانتقام.

﴿مِّنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي ﷺ: «**أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول**»[2]، وفي حديث آخر: «**أربعة آلاف**»[3]، وفي حديث أبي ذر: «**إن الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأن الرسل منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر**»[4]؛ فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قصَّ عليه، ولم يذكر سائرَهم فهم الذين لم يَقصُص عليه.

---

(١) في النسخ الخطية هكذا: «إنْ نُرِيكَ» بإثبات الياء، والمثبت هو الصواب نحويًا، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٣/ ٥٤٧)؛ لأن الفعل مجزومٌ بأداة الشرط، وهو معتلٌّ فيحذف منه حرف العلة في حالة الجزم.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٣٦٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ٣٦٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال الزمخشري: أمر الله: القيامة[١].

وقال ابن عطية: المعنى: إذا أراد الله إرسال رسول قضَى ذلك[٢].

ويحتمل أن يريد بأمر الله: إهلاكَ المكذبين للرسل لقوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿هُنَالِكَ﴾ في الموضعين: يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان.

(١) الكشاف (١٣/ ٥٥٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٨).

[﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾].

﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز.

فقوله: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ يعني: الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: اللحوم، والمنافع: اللبن والصوف وغير ذلك، ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني: قطْعَ المسافات البعيدة، وحَمْل الأثقال على الإبل.

و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد: الركوب عليها، وإنما كرَّره بعد قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾؛ لأنه أراد بالركوب الأول: المتعارفَ في القرى والبلدان، وبالحمل عليها: الأسفارَ البعيدة، قاله ابن عطية(١).

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ هذا عمومٌ بعد ما قدَّم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبَّخهم بقوله: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾.

﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين(٢)،

---

(١) المحرر الوجيز (٧/ ٤٥٩).

(٢) في ب، ج: «المذكورين».

وفي تفسير عِلمِهم وجوهٌ:

أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون.

والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها.

والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع.

وقيل: الضمير يعود على الرسل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم وشرائعه، أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذّبهم.

وأما الضمير في: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ فيعود على الكفار باتفاق، ولذلك ترجَّح[1] أن يكون الضمير في ﴿فَرِحُوا﴾ يعود عليهم؛ ليتَّسق الكلام.

﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصْبٌ على المصدرية.



(١) في د: «وذلك يرجّح».

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة